

الرواية الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

كارين م. ماكمانوس

Karen M. McManus

أحدنا يعود مرة أخرى



ONE OF US IS BACK

مكتبة

Telegram Network



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أحدنا يعود مرة أخرى

«مكتبة فـ النخبة»

الرواية الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

كارين م. ماكمانوس

K a r e n M . M c M a n u s

أحدنا
يعود مرّة
أخرى

ONE OF US IS BACK

ترجمة
نور العيون حامد

مراجعة وتحرير
مركز التعرّيف والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي

ONE OF US IS BACK

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلف
c/o Stimola Literary Studio, Inc with Intercontinental Literary Agency Ltd.

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Text Copyright © 2023 by Karen M. MacManus LLC
All rights reserved

Arabic Copyright © 2023 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2024 م - 1445 هـ

ردمك 4-3672-01-614-978

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



الوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقراء للنشر

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

جوال: +971 585597200 - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (>+961-1)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية
أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقرءة
أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطى من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com [asparabic](https://www.instagram.com/asparabic)

تصميم الغلاف: علي القهوجي

القسم الأول

الفصل الأول

أدي

الاثنين، 22 حزيران

«هل نحن نشاهد هذا حَقّاً؟».

رفعت مايف جهاز التحكم، ثم رفعت حاجبيها. أزعجني الأمر جدًا، فهي تعرف أننا في الواقع، نشاهد هذا. فما من سببٍ آخر يجعلنا نجلس أمام التلفاز في يوم صيفي مُشمسٍ وجميل سوى المشاهدة.

ذكرتها، وأنا ألتقط جهاز التحكم قبل أن تناح لها فرصة رميه عبر الغرفة: «ما كان يجدر بك دعوتي، كنت بحالٍ جيد في المنزل». ضغطت على زر التشغيل، ثم على زر تغيير القناة إلى أن وجدت المحطة التي أبحث عنها.

تكلمت برونوبن فجأة من زاوية أريكة محسنة بشكلٍ زائد قائلةً: «لن تكوني بخير أبداً بعد الجلوس على واحدة من هذه الأرائك».

إن مشاهدة التلفاز في غرفة ترفيه عائلة روخاس أكثر راحة بكثير من غرفة معيشتنا، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أمراً إضافياً يتمثل بأن والدتي لن تقترب من الغرفة أو تخليس النظر. لكنني نسيت أن هذه الراحة تتراافق مع جرعة

زائدة من القلق. منذ عدة أسابيع، عادت برونوين من ييل لتمضية الصيف، وبدأت على الفور محاولة السيطرة على كل شيء باعتبارها الشقيقة الأكبر المتسلطة التي اعتدت وجودها.

أنا لا أشتكي، فقد اشتقت للتحدث إليها في محادثة بايفيو فور الجماعية، التي أطّن أن علينا إعادة تسميتها بعد أن أصبحت تضم تسعة أشخاص، أنا وبرونوين ونيت ماكولي ومايف وصديقتها لويس سانتوس، وكوبر كلاي وصديقه كريس بيكر وزميلي مايف من مدرسة بايفيو الثانوية فيبي لوتون ونوكس مايرز. إنها محادثة جماعية تتألف من أربعة ثانويات، باستثنائي أنا وأخر اثنين. ربما أنا فحسب، لأن أحداً لا يُصدق إصرار فيبي ونوكس على أنهم مجرد صديقين.

طاقم بايفيو، ربما؟ التقطت هاتفي وعَدَّلت اسم المحادثة الجماعية. لا يبدو سينّا جدّاً.

سألتني مايف وهي تحدّق إلى الشاشة: «من هو هذا الشاب؟ هل سيقوم بتعريف...؟».

أجبتها بسرعة: «كلا، هذا ليس برنامج مدرسة إسٌتاند الثانوية، الذي يبدأ عند الساعة الثالثة. إنه... في الواقع ليست لدي أي فكرة».

قالت برونوين: «إنه اجتماع مجلس المدينة»، بالطبع هي تعرف، ربما تشاهد مثل هذه الأشياء للمرح. «يبدو أنهم على وشك الانتهاء من التصويت على الميزانية».

وضعت مايف قدميها العاريتين على طاولة القهوة بقوة نوعاً ما وقالت: «هذا مثير، ولكن هذا مهم على الأقل». أجهلت عندما ارتطمت كعبها على السطح الرخامي. «القضية تستحق وجود منبر على الأقل، الأمر الذي يتعدّى ما يمكن قوله بالنسبة إلى...».

قاطعتها قائلة: «إنها قناة محلية يا مايف، وهم لا يمتلكون حرية ما يبثونه».

كان صوتي معتدلاً، ولكن دقات قلبي كانت سريعة وقوية، وقد تنازعوني رغباتي؛ أولاًهما أن أكون وحدي. والأخرى، الامتنان لأنني لست وحدي. يُعلن مستشار المدينة انتهاء الاجتماع، ويبدأ المشهد على التلفاز بالتلاشي في الوقت الذي تعزف فيه الموسيقى. جلست برونوين ومايف

صامتات لثوانٍ، واستمعنا لما يبدو نسخة جريئة مؤثرة من أغنية «الفتاة من إيبانيما».

بعدها ظهرت قاعة مدرسية نصف ممتلئة، وظهرت أسفل الشاشة كلمات مدرسة إيستلاند الثانوية: سلسلة الندوات الصيفية. قبل أن أتمكن من التصرف، قفزت برونوين بشكل مفاجئ من أريكتها وصوّلًا إلى أريكتي ولفت يديها حولي فقلت لها: «يا إلهي، ما الذي تفعلينه؟». ووقع هاتفي على الوسادة.

همست برونوين بشراسة قائلة: «أنت لست بمفردك يا أدي». عبّقت رائحة التفاح الأخضر، إنها رائحة شامبو برونوين المميز، والذي لم تتوقف عن استعماله منذ أن تعرفت إليها، وربما قبل ذلك، لأنها شخصية تحب ما تعودت عليه. ذات مرة، حين كان نيت حزيناً جدًا بشأن علاقتها بعيدة المدى، أعطيته عبوة من الشامبو ملفوفة بشريط حمراء كبيرة. انزعج كثيراً، وهذا ما كنت أسعى إليه من تقديم الهدية، فاستفزاز هدوء نيت أكثر تسليةً من صفع وجهه.

قلتُ وأنا أبصق خصلة من الشعر دخلت فمي: «هذا واضح». ثم غرقت في العناق، لأنني في الواقع بحاجة إلى القليل منه.

«عُمتم مسأً يا طلاب مدرسة إيستلاند الثانوية، وأهلاً بكم في سلسلة ندواتنا الصيفية». لم يقدم الرجل الواقف خلف المنصة نفسه، ربما لأنه ليس مضطراً لذلك... إنه مدّرسٌ أو مدير على الأغلب. شخصٌ مسؤولٌ عن صقل عقول المراهقين الذين يبدون أصغر بآلاف السنوات عما أشعر به، بالرغم من أنني أصبحت في التاسعة عشر من عمري منذ بضعة أشهر.

قالت مايف: «انظروا إلى كل أولئك المتحمسين. انتهت المدرسة منذ أسبوعين، وهذا هم يعودون»، بينما تابع الرجل التحدث عما أسماه المدير غوبتا «بالتدبير المنزلي»... جميع الإعلانات المختلفة التي يجب حشوها قبل أن يبدأ أي حديث يتعلق بالمدرسة. «مدرسة إيستلاند الثانوية القديمة طيبة الذكر، هل تذكرين حين طاردم سام بارون في موقف سياراتهم يا برونوين؟».

قالت برونوين: «أنا لم أطاردته». أنا أعرف أنها طاردته. كان شرّا لا بد منه بالمناسبة.

دار حل لغز موت سايمون كيليهير حول سام وهو الفتى الذي دفع له سايمون ليقوم بعملية الإلقاء أثناء وجودنا في الحجز يوم وفاته. كانت أكبر وأكثر القصص رهبةً في باليبيو، إلى أن أطلق شبيه لسايمون منذ بضعة أشهر لعبة تحدّ مميتة كادت أن تقضي علينا جميعاً في عشاء بروفة زفاف شقيقتي.

أتساءل أحياناً لماذا بقي أي واحد منا في بايفيو.

قالت برونونين: «حققت معه قليلاً، ومن الجيد أنني قمت بذلك، وإن...». وسكت بينما اهتزت كلّ هواتفنا بتتاغم.

أعلنت مايف قبل أن أتمكن من الوصول إلى هاتفي: «اشتعلت محادثة بايفيو فور».

قلت: «أظن أن علينا تغيير اسم المجموعة إلى طاقم بايفيو».

قالت مايف بغير اكتراث: «شخصياً لا أمانع، يقدم كريس دعمه لك يا أدي. وهو يريد أن يعرف إن كنت تريدين تناول الوافل صباح الغد. يُصادف أنني أحب الوافل أيضاً، في حال كانت تلك معلومة تهمكما. يقول لويس تباً لذاك الشاب. يبدو جلياً أنه لا يتحدث عن كريس، إنه يعني...».

قلت: «أعرف ما الذي يعنيه»، بينما رفع المتحدث باسم مدرسة إيستلاند الثانوية يده ليسكت الثرثرة التي بدأت بين الحضور.

قال: «كلنا نعرف أنه في سلسلة الندوات الصيفية لمدرسة إيستلاند الثانوية هناك أمور كثيرة تستطعون القيام بها في عصر يوم جميل من حزيران، وهذا دليل على أهمية الموضوع الذي أتيتم من أجله اليوم».

تمتّمت مايف قائلة: «تباً للتميّز»، وهي تلفّ خصلة من الشعر خلف أذنها. يُشبه شعرها البني الغامق شعر برونونين، الذي قصّته مؤخّراً قصيراً. بعد معركة مع مرض اللوكيميا في الطفولة، أمضت مايف السنوات القليلة الأولى من المدرسة الثانوية وهي تحاول الهروب من ظل برونونين، وأظن أن هيئتها الأخيرة ظهرت حين توقفت عن ربط شعرها على شكل ذيل الحصان الذي يميز أختها.

همست برونونين قبل أن تفلتني في النهاية: «صمّنا».

أكمل المتحدث قائلاً: «نريد في مدرسة إيستلاند الثانوية أن تلهمكم أن تحلموا وتحقّقوا ما تحلمون به، ولكننا نريد أيضاً تجهيزكم من أجل الحياة الأكثر قسوة، ستشكل القرارات التي ستتخذونها اليوم، بصفتكم طلاباً ثانويين، مستقبلكم في السنوات القادمة، ويمكن لعواقب القرارات الخاطئة أن تكون مدمرة».

سألت مايف: «هل هذا ما نسمى به الأمر الآن؟ خيار خاطئ».

قالت برونوين: «مايف، أقسم لك...».

«صمتاً!»، قلت ذلك بأعلى مما نويت، فاللتزمت ببرونوين ومايف الصمت. كنت سأشعر بالحزن من نوبة غضبي، التي لم تستحقها أي منهما، ولو لم أكن في غاية التوتر. لأنه في أي دقيقة، سوف أرى...

«لا أحد يعرف ذلك أفضل من ضيفنا اليوم. وهو موجود هنا بفضل شراكة تعليمية مع الإصلاحية في كاليفورنيا، للتحدث بصراحة عن تغيير تصرفاته لما كان مستقبلاً واعداً ومُشرقاً ذات يوم. من فضلكم رحبوا بضيفنا، النزيل الحالي في مركز كرينشاو إيست لجز الأحداث والطالب السابق في مدرسة بايفيو الثانوية المجاورة... جيك ريورдан».

ضغطت برونوين على ذراعي، وتنهدت مايف ملء رئتها، لكنهما ظلتا صامتين، وما كنت سأهتم إن تكلمتا، لأن غضبي حال دون قدرتي على سماع أي شيء.

جيك ريوردان.

حبيبي السابق، والذي كان حب حياتي ذات يوم، حين كنت ساذجة ولم أعرفه على حقيقته. كنت أعرف أنه يمكن أن يغار، لو ضغط علىّ وقتها، مع أن أحداً لم يضغط علىّ سوى شقيقتي أشتون، ربما كنت سأعترف بأنه شخص مُسيطراً. لكنني لم أتخيل عندما خنته، أنه سينتقم ويتعاون مع سايمون لتفريق تهمة قتل سايمون، وأنه كان سيقدم على قتلي عندما حاولت فضح تعاونه.

في الحقيقة، لم يحاول جيك قتلي عملياً، وفقاً لما قالته محاميته عن عدم وجود نية واضحة، في معرض قولها لكثير من العبارات القانونية الطنانة الأخرى، وهي تعرض حجج الدفاع عنه، والتي حالت دون محاكمة باعتباره قاصراً.

في تلك الأثناء، تحدث كثير من الأشخاص عن صورية المحاكمة وزيفها، خصوصاً وأنها أفضت إلى وضع جيك في مركز الأحداث حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر. كل ما فعله، ليس معه ومع أصدقائي فحسب، بل مع سايمون، نجم عنه عقوبة سبع سنواتٍ ونصف السنة خلف القضبان. ذكرت العناوين «الامتياز الواضح!» وكانت هناك نصف ذرية من العرائض عبر الإنترنت تحت القاضي على فرض عقوبة أشد. لكن سرعان ما نُسي الأمر.

كان جيك سجينًا يُحتذى به منذ أن دخل السجن، وفي كانون الثاني الماضي، عرض برنامج جريمة حقيقة ملقاً تعربياً عنه، كما ذكرت «بايفيو

بليد». كان جيك متواضعًا ونادمًا، وكان ملتزمًا بمساعدة الشبان الآخرين حتى لا يرتكبوا الأخطاء نفسها التي ارتكبها. ولكن بعد أسبوعين من زفاف شقيقتي في نهاية آذار، ظهر المخلف المجهول. أو بالأحرى، ظهرت حبيبته السابقة، امرأة ادعت أنها تلقت المئات من الرسائل عن محاكمة جيك من أحد المخلفين أثناء حدوثها، وتبين في وقت لاحق أن المخلف المجهول أطلعها على سيل من المعلومات المؤكدة وزار موقع جديد كان يفترض به البقاء بعيدًا عنها. حين ظهرت لقطات الشاشة على موقع بازفید، أصيب المخلف المجهول بالهلع، وحاول حذف سجل الإنترنت الخاص به، وكذب تحت القسم، ومنح فريق الدفاع عن جيك المبرر القانوني الذي كانوا يبحثون عنه من أجل إعادة المحاكمة.

إن الاسم الحقيقي للمخلف المجهول هو مارشال ويتفيلد، الذي اكتشفه الجميع على الإنترنت في غضون أسبوع من ظهور المقال. والذي أصبح يعمل بالخفاء بعد تعرضه للهجوم، كنت لأتعاطف معه لو أنه لم يُخرب حياتي.

الآن أمست قضية جيك معلقة، وفي هذه الأثناء، بدأت المرحلة التي تسميها مايف ساخرةً، جولة إعادة تأهيل جيك ريوارдан. لا تُثبت الزيارات المدرسية دائمًا، ولكن حين تُثبت... أشاهدها. في الحقيقة لا أستطيع كبح نفسي.

قالت مايف وهي تحدق إلى الشاشة: «إنه يبدو بحال مزري».

لم يكن وصفها دقيقًا، صحيح أن جيك يبدو أكبر من عمره الحقيقي، تسعه عشر عامًا، ولكنه لا يبدو سينًا، فهو لا يزال وسيمًا، بشعره البني القصير وعينيه الصغيرتين الزرقاء وبشرته الشاحبة. من الواضح أنه يتمرن كما لم يسبق له أن فعل، وهذا ما يبدو جليًا بالرغم من أنه يرتدي ملابس فضفاضة. اقترب من المنصة وسط تصفيق متقطع، سار خافضًا رأسه وجامعًا يديه أمامه. بالطبع، لم تكونا مقيدتين، خصوصًا وأنه في زيارة مدرسية، مع أن رجال الشرطة الثلاثة الجالسين متقاربين كانوا مستعدين لأي طارئ.

لكن جيك بدا مسالماً جدًا.

كعادته، بدأ حديثه بجدية وصوت منخفض وقال: «جئت هنا لأحدثكم عن أسوأ فترات حياتي». ثم أكمل بعد أن أمسكت يداه بحافة المنصة، وركزت عيناه على الطلاب الجالسين أمامه وتحدّث عن أسوأ فترات حياتي أنا.

إنه ذكي، أفرط في الحديث عن الصفوط، والإكراه، وتأثير الأنداد، وكأنه لم يكن مؤيداً لسايمون، لقد أظهر نفسه غبياً جاهلاً وليس شريكاً متأمراً.. وفق ما صرّح به جيك، لا يذكر أنه هاجمني وجين فارغاس في الغابة خلف منزلها. فهو لم يسع، سوى إلى حملنا على التوقف عن تهديده، وقد نال ما سعى إليه خلال المحاكمة. لكن الرأي العام لم يوافق على ما انتهت إليه المحاكمة. لذا، تراه يحرص على عدم التطرق إلى الموضوع خلال زياراته المدرسية. ما إن يذكرني أحد، حتى يسع إلى تغيير الموضوع ويتحدث عن الطريقة التي أذت فيها خياراته البائسة الجميع، وكان هو أول من لحق به الأذى.

في تشرين الثاني القادم، تحل الذكرى الثانية لتلك الليلة المريعة في الدغل. حصلت أمور جيدة كثيرة منذ ذلك الوقت، فقد انتقلت للعيش مع شقيقتي، وكوّنت صداقات جديدة، وترجت من المدرسة الثانوية. أخذت إجازة قصيرة لكي أكتشف ما الذي أريد فعله في حياتي، وقررت أن أعمل مُدرّسة. حصلت على جواز سفرى الأول الشهر الماضي، لأنّمكّن ومايف من السفر إلى البيرو في نهاية تموز لنكون مستشارتين لبرنامج تعلم اللغة الإنكليزية. وبعد ذلك، سأبدأ تقديم الطلبات إلى الجامعة. عرض أبي المساعدة بتكاليف الجامعة، على الرغم من أنه لا يزال خير مثال للأب الذي لا يتدخل بشؤون أولاده.

لطالما كان توقيت إطلاق سراح جيك بعيداً بما يكفي لأكون مؤمنة بأنني سأكون جاهزة حين يحصل، وأكبر سِيّاً وأكثر حكمة، ومستقرة في الحياة المهمة والمليئة بالأشغال بحيث بالكاد أفكّر مرتين بشأن إطلاق سراح حبيبي السابق المُدان.

لم يخطر بيالي إلا مؤخراً، أن إطلاق سراحه يمكن أن يكون أقرب مما تخيلت.

سألت مايف بينما أكمل جيك حديثه الذي تدرّب عليه جيداً: «ما هو رأي إلي بخصوص هذا؟». يترأس زوج اختي مؤسسة دفاع قانوني غير ربحية، لذا كان هو الخبير الذي نذهب لاستشارته بأي شيء يتعلّق بالجرائم.

على الرغم من ذلك، وبعد أن أشار إلى جميع الأعضاء التسعة من طاقم بايفيو في إحدى المرات، نادراً ما نستمع إليه إلا بعد فوات الأوان. «هل يظن أن جيك سيحصل على محاكمة جديدة؟ أم أنه سيُطلق سراحه، أم...».

ذكرتها قائلة: «إلي مشغول بالتفكير بمن سيحل مكانه أثناء إجازة الأبوة». إن حمل شقيقتي أشتون المفاجئ، والتي ستلد في تشرين الثاني، هو سبب عودتي للعيش مع والدتي.

لم أكن ووالدي على وفاق دائمًا، لكن الحماسة بخصوص الولادة منحتنا شيئاً لتعزيز الرابط بيننا. ذلك الرابط الذي رُكِّز مؤخرًا على ابتكار أسماء للجدة لا تجعلها تبدو متقدمة في السن. لقد استقر الرأي مؤخرًا على اسم غراندريا. لأن والدتي ترفض التفكير باسم إنستاغرام الذي اقترحته.

قالت برونوبين: «بإمكان إلي التفكير بأكثر من شيئين في وقتٍ واحد، خصوصاً إذا عرف بمقدار القلق الذي تشعرين به».

قلت وأنا أحدق إلى الشاشة بصوتٍ مكتومٍ بفعل شدة قضمي بترجمة أصبعي: «أنا لست قلقة».

أنهى جيك حديثه وشرع يجيب عن أسئلة الطلاب. سأله أحد الفتيان الذين يجلسون في الصف الأمامي: «كيف هو الطعام في السجن؟».

قال جيك بتوقيت مثالي جعل الجميع يضحكون: «بالمختصر، مقرز».

وسأله إحدى الفتيات: «هل يتمنى لك رؤبة والديك؟». تحركت الكاميرا ببطء نحوها، فرأيت وميض الشعر النحاسي لفتاة أخرى خلفها. إنها تبدو تقريرًا مثل... ولكن، لا. لا شك في أنني أتخيل.

مع ذلك، حين نظرت إلى مايف، رأيتها تحدق إلى التلفاز عابسة محارة.

قال جيك: «ليس بقدر ما أريد، ولكن أجل، لم يتخليا عنِي مطلقاً، إن دعمهما يعني لي كثيراً، أتمنى أن يشعرا ذات يوم بالفخر بي مجدداً».

قالت مايف: «هذا هراء»، ولكن حتى هي لم يبُد أنها تقول ذلك من باب التهكم. إن فترة إعادة تأهيل جيك ريورдан تبدو جيدة حقاً.

رفع فتى آخر يده، وأجا به جيك بإيماءة من رأسه. إنه تعبير مألوف لدرجة أنني شعرت بالقشعريرة، فهي الطريقة التي كان يحيي بها أصدقاءنا في باليو مدرسة باليفيو الثانوية. سأله الفتى: «إن كنت تستطيع العودة بالزمن إلى الوراء، ما الذي كنت ستغيره؟».

قال جيك على الفور وهو ينظر بشكل مباشر إلى الكاميرا، وكأنه دخل إلى الغرفة للتو: «كل شيء».

هذه هي.

هذا ما كنت أنتظره... السبب الذي يجعلني أستمر بتعذيب نفسي بمشاهدة هذه البرامج. لا أريد رؤيته، لكنني أريد التأكد من وجوده. ذلك البريق في عيني جيك، الذي لم يستطع إخفاءه في جلسة استجواب كاملة، مهما يحاول. ذلك البريق الذي يعكس كل الغضب الذي يدعى أنه لم يعد يشعر به. تلك النظرة التي تفید، أنا لست آسفاً.

تلك التي تفید، ما الذي كنت سأغيره؟

ما كنت سأسمح بالامساك بي.

الفصل الثاني

فيبي

الاثنين، 22 حزيران

انحنىت أكثر في مقعدي، وتمنيت لو أنني أرتدى سترة ذات قبعة حتى وإن كانت درجة الحرارة في الخارج تبلغ ثمانين درجة فهرنهايت، وصالحة مدرسة إيسنلاند الثانوية غير مكيفة الهواء. كنت أعرف أنه قد يكون هناك كامييرات هنا، ولكن في العادة يكون الأولاد الذين يجلسون مثلثي في الخلف من النوع الذي لا يطرح أسئلة.

أعرف أن أدي تشاهد البرامج. ماذا سأقول لها إن رأتنى؟ كيف سأشرح لها... هذا؟

أنكري، أنكري بشدة يا فيبي. أنت جيدة في ذلك.

«هل هناك مزيد من الأسئلة؟».

نهض الرجل الذي قدّم جيك ريووردان من الصف الأمامي، ووقف إلى جانبه، وقال: «لا يزال لدينا وقت لسؤال إضافي».

هل أنت آسف حقّاً؟

هل ستؤذني أحداً مجدّداً؟

ما الذي جعلك تصبح على ما أنت عليه؟

تلك هي الأسئلة التي أبحث عن إجابات لها. لا أستطيع حمل نفسي على طرحها، لكنني أمل أن يطرحها أحدهم بدلاً مني، قالت إحدى الفتيات: «هل ستعاد محاكمتك؟».

طاطأ جيك رأسه وقال: «أحاول ألا أفكّر في الأمر، فالامر ليس بيدي، أنا أعيش كل يوم بيومه بأفضل طريقة يمكنني أن أعيشها».

بحثت عمّا يمكن لتعابير وجهه أن تشي به، وأملت أنه يقول الحقيقة.

كنت معجبة بجيك، مثل نصف زميلاتي. كان في الصف الثالث عندما كنت في الصف الأول، وكان هو وأدي بالفعل الثاني الأشهر في مدرسة بايفيو الثانوية. كنت أراقبهما وهما يتجلزان في الأروقة في تلك الأيام، معجبة ب مدى أناقتهما ونضجهما. حين افترقا بعد وفاة سايمون كيليهير، أعرف بأن أول ما فكرت فيه ربما أصبحت لدى فرصة معه. لم تكن لدى فكرة عن مدى الحزن الذي شعرت به أدي، أو عما كان بمقدور جيك فعله. لقد أجاد إخفاء جانبه المُظلم، كثير من الناس يجدون التكتم بخصوص جانبهم المُظلم.

أنا أعرف ما تشعر به أدي من توتر، يا ليتني كنت أستطيع التحدث إليها... حديّاً حقيقياً، وليس تلك الترهات التافهة، ولكنني لا أستطيع ذلك. فقد انقطعت علاقتي بها في شهر نيسان، ولم يعد لدى من أثق به سوى شقيقتي الكبرى إيمى، ولكنها انتقلت للعيش في نورث كارولاينا مع إحدى خالاتنا منذ أسبوعين فور تخرجها، والتي ربما تكون في مكان بعيد جدّاً بالنظر إلى ندرة إجابتها على رسائلني.

قالت قبل أن تغادر: لقد حصل ما حصل، كانت لدينا أسبابنا الخاصة.

«آسفة، أنا آسفة على تأري، وشكراً لك، شكرًا جزيلاً!».

كنت ألهث وأتلعثم وأنا أشق طريقي عبر كافيه كونتيجو حتى أصل إلى إيفي، إحدى النادلات الجديdas، والتي كانت تُحصّر طلباً خارجيًّا عند صندوق المحاسبة. طلبت منها تغطية بداية ورديتي، لأنني عرفت أنني لن أعود من إيستلاند في الوقت المناسب، لكنني لم أتوقع وجود هذا الزحام. تأخرت أكثر من ساعة، ومن حق إيفي، أن تبدو منزعجة فهي تعمل منذ العاشرة صباحاً.

لستني فوجئت عندما ابتسمت وبدت مشرقة. أتمنى لو أنها تستطيع تعليق سلوكها الإيجابي وبيعه، لأنني سأشتريه بكل تأكيد. قالت وهي تمد يدها

التي حملت بها كيساً ورقاً مُنفتحاً لأحد زبائننا المعتادين: «لا تقلقي يا فيبي، قلت لك خذِي راحتك».

تمتمت وأنا التقط مئزراً من تحت الطاولة لألفه حول خصري: «كانت عيادة الطبيب مزدحمة جدّاً». ثم سحبت رباطاً مطاطياً من جيبي لألف به شعرى خلف رأسى على شكل ذيل الحصان. لم يدخل شعرى بأكمله داخل الرابط، ولكن أياً يكن... فالسرعة هي الأساس هنا. قلت: «حسناً، أنا جاهزة، تستطيعين الذهاب».

قالت إيفي مبتسمة، وهي تشد نهاية صغيرتها الشقراء: «على رسلك يا فيبي. اشربي شيئاً لتهدي من روعك. ورتبي شعرك أمام المرأة قبل أن تقومي بخدمة الطاولات بهذه الهيئة».

سألتها: «ماذا؟»، وحينها خرج لويس سانتوس حبيب مايف من المطبخ، وبدأ فجأة بالضحك وهو يقول: «قرنٌ جميل».

تمتمت وأنا أنظر إلى المرأة بعيدة: «يا إلهي». بطريقة ما جعلت نفسي أبدو مثل وحيد القرن. سحبت الرباط المطاطي، وتألمت عندما سحبت بعض الشعرات معه، وجلست على الكرسي بجانب صندوق المحاسبة وسألته: «يا لي من كارثة. هل والدتك غاضبة لأنني تأخرت مجدداً؟».

أجابني: «والدتي ليست هنا لتغضب، أما أنا فغاضب». تنهدت تعبيراً عن الراحة. أنا أحب والديه، ولكن السيد سانتوس هو المدير الأكثر تساهلاً إلى حد بعيد. حين رنت أجراس باب الكافيه، معلنةً دخول مايف وهي تلّوح لنا بكلنا يديها وهي تقدم نحونا، ابتسمت بابتسامة عريضة وقال: «لسنا مشغولين إلى هذا الحد. الجو جميل في الخارج. بالحديث عن الجمال، تلك هي إشارتي للخروج. لديّ الكثير لأفعله أنا ومايف. مرحباً يا جميلتي».

قالت مايف بحماسة أقل من عادتها، وهي تندو من لويس ليقولها: «كيف الحال». أشحت بنظري، متنمية أن لا أغار من سعادة الحبيبين، ذكرت نفسي: إنه خيارك ألا تكوني في علاقة، لكن ذلك لم ينفع. ربما لأنني لم أشعر بأن ذلك خيار.

سألها لويس: «لقد أتيت بالدراجة إلى هنا؟».

أجابت مايف وهي تجر مقدمة حذائها على الأرضية: «نوعاً ما، جئت مشياً معظم الطريق»، تنهدت، ثم أضافت: «أنا متأسفة، ولكن لا أعرف لم يجب أن أتحسن بركوب الدراجة ما دمت قادراً على قيادتها بشكل مثالى».

قال لويس: «لا يمكنك الجلوس على مقود دراجتي إلى الأبد». أجابته مايف: «ولم لا؟ لا يبدو أنني سأكبر أكثر بحيث لا يعد المقود يتسع لي».

سألت إيفي وهي تكبح ابتسامتها: «هل ستذهبان مجدداً إلى مسار الدراجات؟». منذ أسبوعين، اشتري لويس لمายف دراجة مصمماً تعليمها ما فاتها بخصوص ركوب الدراجة عندما كانت صغيرة و تعالج من اللوكيمية، لكن الأمر لا يسير وفقاً لمخطط له. فمายف لا ترکب الدراجة بقدر ما تمشي مستندة إليها أو تمشي فحسب، وهي تسحب الدراجة بجانبها.

قال لويس ويدا متفائلاً أكثر مما يجب: «سيكون الأمر رائعًا».

استدارت مايف نحوی وهي لا تزال تطوق خصره بذراعها وقالت متذمرة: «فيبي، كان أغرب أمر على الإطلاق، كنت أشاهد زيارة جيك إلى المدرسة...».

ضغطت مايف على يده لثريحة، وقالت قبل أن تستدير نحوه: «أعرف، رأيت فتاة بين الجمهور تملك الشعر ذاته و...». خفق قلبي عندما نظرت إلى قميصي المزركش، الذي لم يكن مصمّماً ليجذب الانتباه وأكملت: «القميص».

قلت لها وأنا أحاول شغل نفسي بربط شعرى بطريقة أقل سخافة: «حَفَّ؟ هذا غريب جدًا، كنت أنوي المشاهدة، لكنني علقت في عيادة الطبيب. كيف حال أدي؟». أكره الكذب على مايف، لكنني سأنزعج أكثر لو عرفت بما أخفيه.

قالت مايف: «على حالها». بدت وكأنها تريد أن تقول شيئاً، لكنها توقفت حين دقت أجراس الباب ودخل شخص مألوف باب الكافيه.

قال لويس بينما اقترب أخي الذي لم يعد صغيراً من الطاولة: «أوين! كيف الحال يا صديقي؟ يا للهول، هل زاد طولك قدماً أخرى؟».

تمتم أوبن الذي لم يعد مرحاً في الآونة الأخيرة وقال: «كلا».

قالت له إيفي: «طلبك على الطاولة». لم تحتاج أن تقول: على حساب المحل، لأن السيد سانتوس لا يسمح لأخي بأن يدفع.

قال بصوته الرتيب ذاته، وهو يأخذ طلبه من دون أن ينظر إلى: «شكراً». كنشرت وهي تنظر إلى حزينة وكأنها تقول: عمره ثلاثة عشر عاماً، ما الذي يمكنك فعله؟ أجبرت نفسى على الابتسام، وشعرت بانقباض في معدتي عندما خرج أوبن من الباب وتركه يغلق بقوة خلفه.

قال لويس: «حديث شيق يا أوبن»، فلكلمته مايف برفق.

منذ ثلاثة أشهر تقريباً، عندما كان أوبن في الثانية عشرة، علمت أنا وإيماء أنه انتحل شخصية إيماء على الإنترنت، والتي انتحلت بدورها شخصيتي، ليديردش مع فتى جر إيماء لتنفيذ خطة انتقامية. وعد الفتى الذي يُدعى جاريد جاكسون أنه سيجعل حبيبي السابق، براندون ويب، يدفع ثمن فعلته لأن الأخير تسبب بحادثة رافعة شوكية أودت بحياة والدنا منذ ثلاث سنوات. في المقابل، كان على إيماء مساعدة جاريد لانتقام من صهر أدي، إلى، الذي ساعد بإرسال شقيق جاريد الشرطي الفاسد إلى السجن. دُعِرت إيماء وانسحبت... لكن أوبن استمر في تنفيذ الخطة.

توفي براندون فيما ظن الجميع أنه حادث، كجزء من لعبة تحدّ نظمها جاريد. وعندما توقف أوبن عن التواصل فجأة، قرر جاريد الانتقام بنفسه، وزرع قنبلة في بروفة عشاء زفاف إيماء. لو لم يوقفه نوكس ومايف، كان سيموت كل من في المطعم. بدلاً من ذلك، ألقى القبض على جاريد، ووشى بي على أبني شريكته. إيماء، التي انتهت في المستشفى بعد أسبوع من الشرب الجامح لشعورها بالذنب، اعترفت بأنها هي الفاعلة الحقيقة، لكننا لم ندرك مشاركة أوبن حتى قرأنا سجلات الدردشة بينه وبين جاريد، ورأينا كلمة أوبن التي أخطأها عند تمرنها من أجل مسابقة الإملاء: «بازار» بدلاً من «بيزار»

في تلك اللحظة وأثناء جلوسنا حول مائدة المطبخ رفقة والدتي ومحامي إيماء، عقدنا أنا وشقيقتي معاهدة صامتة بأن نبقي تلك المعلومة طي الكتمان. لم نستطع القيام بشيء آخر، لأنه كان من الواضح من رسائل أوبن إلى جاريد بعد وفاة براندون أنه لم يفهم ما الذي تورّط فيه. لم يقصد أخي اللطيف البريء الحزين أن يُصاب براندون بأي أذى.

سرعان ما بدأت تراودني الشكوك. كنت أعرف أنني لا أستطيع أن أخبر أحداً، وخصوصاً مايف ونوكس، بعدما خاطرا بحياتهما لإيقاف جاريد، وبعد انتقال إيماء أشعرني كتمان السرّ بالعزلة. سيصبح عمر أوبن ثلاثة عشر عاماً بعد بضعة أيام، يبدو لي أنه أصبح طويلاً وأكثر عناً بين ليلة وضحاها، ولم أستطيع التوقف عن التفكير بأنه كان في عمر براندون نفسه عندما قتل والدنا عن طريق الخطأ وأنه ما كان سيموت، لو أنه تحمل مسؤولية ما حصل.

لذا، سأكذب الآن على أصدقائي، أتابع جيك بشكل غير مبال، وأكتب رسائل لشقيقتي في وقت متأخر من الليل ولكنني أخاف من إرسالها:

ماذا لو تحول أوبن إلى براندون آخر؟

أو إلى جيك آخر؟

هل تظنين أننا اقترفنا خطأً؟

هل تظنين أن علينا إخبار أحد؟

أعرف أنه يجدر بي أن أذهب مباشرة إلى المنزل بحلول انتهاء وقت العمل ومساعدتي للسيد سانتوس على الإغلاق. قاربت الساعة الحادية عشرة، أنا مرهقة ولديّ ورديّة عمل مُبكرة غدًا. ولكن حين أهن بالذهاب إلى المنزل، أسلك طريقًا معاكِسًا.

ليس الأمر بيدي. كنت أبحث عن هذا طوال اليوم بوعي ومن دون وعي.

عندما وصلت إلى منزل مألهوف، ركنت عند المدخل، ولكن بدلاً من الدخول عبر الأمامي التفت نحو الباب الخلفي، وتسلقت شجرة إلى أن أصبحت بموازاة حافة السطح، وخطوت إليها بحذر. حشرت نفسي ودخلت، وتمنيت كالعادة أن تكون المساحة أوسع بقليل كي لا تكون المناورة صعبة. ثم هبطت على الأرضية الخشبية، نفست بيديّ، وأغلقت النافذة قبل أن أستدير نحو الغرفة.

قال نوكس: «أنت تعرفين أنك تستطيعين رنّ الجرس ببساطة، أليس كذلك؟».

إنه مستلق في السرير، لقد فتح حاسوبه المحمول ووضعه فوق نصف ذرية من الوسائل، كانت عيناه نعستين جدًا فتأكدت أنه كان نائماً قبل دخولي. تسارعت نبضات قلبي وتحرّرت من بعض التوتر الذي جمعته طوال اليوم، تمسّكت بحافة خزانة لثبيت نفسي ريثما أخلع حذائي.

قلت له: «لا أريد إيقاظ والديك، ثم إن تسلّق الشجرة والدخول عبر النافذة يُشعرني وكأنني شخصية في فيلم مراهقين، لذا أجد أن الأمر مناسب». دخلت سريره، وسحبت الغطاء الأزرق، وانزلقت إلى جانبه، كان

يرتدي قميصاً أبيض فضفاصًا وكأنه بطانية المفضلة وسألت: «ما هي الخطوة التالية؟».

نقر نوكس على بعض المفاتيح قبل أن يوجه الحاسوب المحمول بحوي ويقول: «فيلم، إنها كل ذلك، أظن أنه الفيلم الذي تخلع فيه الفتاة نظارتها وتصبح ملكة حفل التخرج». كنا نشاهد أفلام المراهقين الكلاسيكية منذ أن انتهت المدرسة، ووصلنا مؤخراً إلى أفلام التسعينيات.

قلت له وأنا أريح رأسي على كتفه، وأستنشق رائحة صابون الذي يستعمله: «ربما تريد أن تُسدد شعرها أيضاً».

قال نوكس: «كانت الحياة بسيطة جدًا في القرن العشرين». انتظرت منه أن يبدأ تشغيل الفيلم، ولكن بدلاً من ذلك، نقر بأصابعه على حافة الحاسوب المحمول لفترة طويلة جعلتني أرفع رأسي وأنظر إليه باستغراب. قال وهو يُحدق إلى الشاشة التي لا تعرض شيئاً: «أنا سعيد لأنك أتيت، لأنني... لا أقصد أنني لا أكون في العادة سعيداً بقدومك، فمن الممتع رؤيتك دائمًا، ولا أعني أنني لم أتوقع قدومك أو شيئاً من هذا القبيل...».

قلت له وأنا أعبث بحافة الغطاء: «نوكس، أنت تتلعثم». وهذه ليست إشارة جيدة أبداً.

استمر ينقر واستمررت أتفرسه، وتساءلت إن مَّا وقت لم أره فيه جداباً. كيف فاتتني عظام الوجنتين تلك؟ ثم قال: «صحيح، متأسف، كلّ ما في الأمر... أردت أن أقول لك إنني أفكّر بأن علينا التوقف عن القيام بهذا».

رفعت رأسي عن كتفه مصعوقة وقلت: «القيام بماذا؟ مشاهدة الأفلام؟».

أشار إلى المسافة التي تفصل بيننا، بعد أن نهضت وجلست، وقال: «كلا، ليس هذا، بل هذا». نظرت إليه، فازدرد لعابه بشكلٍ واضحٍ للعيان وأكمل: «وجودك، في سريري. إنه أمر... مبالغ به».

سألته وأنا أسحب غطاءه فوقي كالدرع: «ما هو المبالغ به؟ نحن لا نفعل شيئاً!».

حلّ نوكس رأسه وقال: «أجل، وهنا تكمن المشكلة، انطري يا فيبي، أنا أحترم رغبتك في أن تكون صديقين. أقسم إن الأمر لا يزعجني، فأنا لم أتوقع أمراً آخر».

اعتصر قلبي عندما فهمت حقيقة هذه الكلمات البسيطة. تبادلت ونوكس القبلات ذات مرة، ليلة زفاف أشتون وإلي، وظننت أنها كانت بداية شيء عظيم بيننا. لكن بعدها حصلت حادثة أوين. لم أستطع إخبار نوكس عن الأمر، ولم أستطع التعمق بالعلاقة وأنا أكذب بخصوص شيء بمثل هذه الأهمية. لذا حين طلب مني أن نخرج في موعد، أخبرته أنني أظن أننا سنكون أفضل كصديقين. وعلى الرغم من أن جزءاً مني ارتاح لسرعة تصديقه للكذبة وسهولته، إلا أن الجزء الأكبر مني كره الأمر برمتة.

قال نوكس غارساً سكيناً أخرى في قلبي: «انظري، أنا لست ضعيفاً أو شيئاً من هذا القبيل. لكن أن تكوني بهذا القرب... يُصعب على البقاء في منطقة الأصدقاء، هذا كل ما في الأمر».

حسناً لا تبق في منطقة الأصدقاء. كدت أنطق هذه الكلمات، وأردت أن تعانق شفتاي شفتيه، وإبعاد حاسوبه المحمول جانباً لأتمكن أخيراً، أخيراً من نزع ذلك القميص الأبيض عنه، ولكنني بالطبع لم أستطع. إنه محق بكل تأكيد، ما كان ما يشعرني بالراحة ليدوم. لم يكن هذا منصقاً، لا بد أن نوكس يتحمل ما تنوء الجبال بحمله. قلت بصوت خافت، وأنا أضع قدمي على جانب السرير: «أتفهمك، لا مشكلة».

قال نوكس: «نستطيع مشاهدة الفيلم، ولكن في الأسفل، يمكنني أن أحضر الفشار إن أردت».

يا إلهي. آخر شيء أريده هو النزول إلى غرفة المعيشة والجلوس على الجهة المقابلة من الأريكة ووضع وعاء الفشار بيني وبين نوكس، ومشاهدة فيلم لا أكتثر له أبداً، فأنا لم آت إلى هنا إلا لأكون قريبة منه، ولكنني سأكون عديمة الكرامة إن رفضت ما عُبّر عنه بصراحة، لذا ابتسمت مرغمة وقلت: «هذا يبدو رائعاً».

في النهاية، ما الضير في كذبة أخرى؟

الفصل الثالث

٢٧

الأربعاء، 24 حزيران

أعتقد أن لوحة الإعلانات الرقمية عند ناصية شارع كلاريندون كانت تعرض الإعلان نفسه عن شراب الطاقة. لاحظت أنها تغيرت عندما توقفت أمام إشارات المرور عندما أنير مصباح إشارة المرور الأحمر.

لقد حان الوقت للعبة جديدة يا بآيفيو.

كانت تلك هي الكلمات، بأحرف حمراء على خلفية بيضاء صارخة. اختفت الكلمات عن الشاشة وانتظرت، رغمًا عنني، لرؤيتها ما سيظهر بعد ذلك. ثم ظهر الإعلان نفسه مرة أخرى. هذا يجعل الترقب مسيطراً. ويشوق الناس لمعرفة ما الذي يرّوجون له. عملٌ رائعٌ أيها المُعلّلون.

أنار مصباح إشارة المرور باللون الأخضر، فانطلقت بدراجتي، وسلكت الطريق المأهول إلى نادي بايفيو الريفي. بالنسبة إلى كثير من الناس يعني فصل الصيف في بايفيو الشواطئ، وحفلات الشواء، والتنافس على وضع صور غير مفلترة للعطلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي. أما بالنسبة إلى فالصيف يعني عملاً ثانياً. ففي النهار أعمل في البناء، وفي الليل أقدم المشروبات لحشود مأكمانشن في بايفيو، ثم أحاول النوم لبعض ساعات في

منزل يعيش فيه خمسة أشخاصٍ آخرين لا يفعلون شيئاً سوى إقامة حفلات لا ينفكون عن محاولة جري إليها.

أنا أعيش الحلم.

دخلت المرأب، وركنت دراجتي بين خطين أبيضين مرسومين حديثاً، ثم أخرجت هاتفي لأنفود الوقت. هناك رسالة جديدة تنتظرني، صورة لبرونوين مع ستان، تجلسان جنباً إلى جنب على صخرة كبيرة في حديقة برونوين. بعد عودتها إلى المنزل من بيل لقضاء الصيف، قررت برونوين أن ستان بحاجة، على حد قولها «إلى تدريب ومحاكاة عقلية بشكل أكبر». لذا، تأخذ ستان إلى منزلها عندما يكون لديها متسع من الوقت، وتمضي بعض الوقت معه في الفناء الخلفي. بحسب ما أعرف لا يتحرك ستان كثيراً في هذه الرحلات، ولكنها تبدو في هذه الصورة وكأنها تجلس على صخرة جديدة.

ابتسمت وتحسّن مزاجي فوراً. عادت حبيبي إلى المدينة لتمضي شهرين، لذا أعتقد أنني، في الواقع، أعيش الحلم. تتحصّر برونوين لدراسة القانون، وخطّطت للتدريب في نيو هيفن في نيويورك في الصيف، لكنها بذلت خططها واختارت سان ديغو. إنها وظيفة رائعة مع شركة ناشئة تملّكها نساء، وترى أن تكون مستشاراً فيها ذات يوم، ليس على أن أقلق حتى من أمر تخلّيها عن الفرصة لتكون قريبة مني.

أجيتها، لا تدعني طائراً يهرب به بعيداً.

أجابت برونوين برمز تعابري مرعوب، لن أسمح بذلك أبداً.

لن تسمح بذلك طبعاً. ليس هناك شخصٌ في العالم يمكن الاعتماد عليه أكثر من برونوين روخاس. أنا أمضى معها وقتاً رائعاً، وهذا هو سبب قيامي بكل هذا: العمل في وظيفتين، والدراسة، والإقامة في منزل مع زملاء حتى لا أنفق كل ما أجنيه على الإيجار. سأكون ذات يوم ذلك الشاب الذي تستحقه برونوين، وليس ذلك الشاب الذي اضطرت لإنقاذه من السجن حين كنا في المدرسة الثانوية.

في هذه الأثناء، على تقديم المشرّوبات.

أوقفت عمل محرك دراجتي، ووضعت المفاتيح في جيبي، وتوّجّهت إلى الأعمدة الكبيرة التي تحدد مدخل النادي الريفي. على جانب المرأب، هناك لوحة إعلانات مليئة بنشرات خدمات تنسيق الحدائق، والدروس الخصوصية، والتنظيف المنزلي، وأخذ الكلاب في نزهات كل الأمور التي لا يستطيع الأغنياء

القيام بها بمفردهم، لأنهم مشغولون بالتسكع في النوادي الريفية. وقعت عيني على نشرة لم يسبق لي أن رأيتها والتي كانت أكثر لمعاناً مما يكون موجوداً هناك في العادة. بيضاء ناصعة، مع بعض كلمات بخط أحمر كبير:

لقد حان الوقت للعبة جديدة يا بايفيو.

تباطأ خطاوتي، وعبست قبل أن أقلب النشرة. كان الجانب الآخر فارغاً. من الواضح أنها قطعة مرافقة للوحة الإعلانات التي رأيتها في طريقي إلى هنا، ولا أزال عاجزاً عن فهم سبب وجودها. إلا إن...

إنها على الأغلب شركة تحاول أن تكون جريئة. ولكن خطر لي، الآن بعد أن أمسكت النشرة بين يديّ، أن أحد الحمقى ربما يريد أن يذكر بايفيو بلعبة تحدي أو جرأة التي قتلت براندون وبيير. حصلت هذه الأمور كثيراً بعد وفاة سايمون، واستمرت نسخ من تطبيق النيميمة الخاص بسايمون، الذي يتحدث عن الأمر، بالتداول في المدرسة. أنشئت تلك التطبيقات من قبل الطلاب، وليس من قبل شخص يملك المال ليضع إعلاناً على لوحة. بالرغم من أنه عند التفكير بالأمر، فهناك كثير من طلاب مدرسة بايفيو الثانوية الذين يستطيعون القيام بذلك.

سمعت صوتاً من خلفي يقول: «هل تبحث عن بعض الدروس الخصوصية؟».

استدرت فرأيت فانيسا ميريمان بثوب أبيض شفاف يُكاد يُظهر البيكيني تحته. تخرجت وفانيسا معاً، وكانت صديقة أدي إلى أن وقفت إلى جانب جيك خلال انفصالهما. بطريقة ما، بعد أن انتهى الأمر بجيك في السجن، لم يُبُد أن فانيسا فكرت بالاعتذار لأدي. أظنهما عادت من الجامعة لتمضي عطلة الصيف، ولا أعرف اسم الجامعة التي تردادها فانيسا ميريمان لأنها آخر شخص قد أهتم لأمره.

اتكأت بشكل استفزازي على جانب لوحة الإعلانات وأضافت: «ربما يمكنني مساعدتك. أنا ضليعة في مواضيع عديدة. التشريح البشري، على سبيل المثال». اكتفيت بالتحقيق إليها، إلى أن صاحت وقالت: «بالله عليك! ابتهج، كنت أمنزح». ورفعت يدها وكأنها تريد صفع يدي، ولكنها توقفت قبل أن تنظر إليّ وتتابع: «مهلاً. ألم تتعرض لتجفيف منذ بضعة أشهر؟ كيف ما زلت محفظاً بجميع أطرافك؟».

قلت: «كانت التقارير مُبالغ فيها».

رفعت فانيسا رقبتها، وتوسعت عينها حين رأت يدي اليسرى. تعرضت للأسوأ خلال محاولة تفجير جاريد جاكسون في آذار، كوني كنت أمشي رفقة برونوبين في الدغل خلف المطعم الذي كان إلى وأشتون يقيمان بروفة عشاء زفافهما فيه. رمى نوكس، الذي لم يكن يعلم بوجودنا هناك، الحقيقة التي رأى جاريد يتركها تحت المطعم على بعد أقدام منا. كان علينا الهرب لننجو بحياتنا، ولم نستطع الابتعاد عن النطاق قبل انفجار القنبلة. رميت بنفسي فوق برونوبين لحمايتها، وانتهى بي المطاف بيد ملئية بالشطايا. شفيت الجروح، لكن الندوب لم تختفِ.

قالت فانيسا قبل أن تربت خدي وتصيف: «هذا مؤلم. حسناً، حمداً لله أن الشطايا لم تصب وجهك الجميل».

يبدو أن أولويات فانيسا لم تتغير منذ الثانوية. حاولت الوصول إلى النشرة التي أمسكها، لكنني رميتها في القمامنة قبل أن تصل إليها.

سألت وهي تدفع شعرها نحو إحدى كتفيها: «ما كان هذا؟». تُنفق فانيسا كثيراً على شعرها، فهو يبدو قاتماً في الأعلى ويصبح لونه أفتح كلما اقترب من أطرافه، وقد صُبغت كثير من خصلاته بألوان مختلفة. كانت أدي تعرف اسم هذه التسريحة. أضافت: «لماذا رميتها؟».

قلت لها وأنا أتابع طريقي نحو المدخل: «لأنها غريبة».

مشت فانيسا بعيداً عنني بخطوة وقالت: «ماذا تعني بغريبة؟».

أنا لست مهتماً في تبادل النظريات حول لوحات الإعلانات الغامضة مع فانيسا ميريمان. لذا سألتها: «أليست متوجهة إلى المسيح؟».

قالت فانيسا وهي تضع حقيبتها على كتفها: «أولاً أريد مشروباً». ثم بدأت بإخباري عن رحلتها إلى إيزرا التي عادت منها، ولم تتوقف عن الحديث من المرأب مروراً بالمدخل والممر الرئيسي، إلى أن وصلنا إلى الحانة التي أعمل فيها. قفزت لتجلس على كرسي بالقرب من المشرب الكبير المقوس، ورفعت نظارة الشمس الكبيرة وقالت: «سأحتسي الجن والتونيك».

وقفت خلف المشرب ولوّحت بيدي لغافين، أحد السقاة، الذي كان يقدم المشروبات لشخصين كبيرين في السن عند نهاية المشرب وقلت: «محاولة جيدة. ولكن لا يهم كم هي جيدة هوتك وأنت قد تخرجت من المدرسة الثانوية رفقة مساعد ساق».

عبست فانيسا وقالت: «بالله عليك يا نيت. لا أحد يهتم. حتى أنت لن أقود سيارة».

«حسناً، ماذا كنت تفعلين في المرأب؟».

«حسناً، لم أكن خارجة».

ملأت كأساً بالثلج والمياه الفواره والليمون وقلت: «تفضلي، أطلقي العنان لمخيتك».

تنهدت فانيسا، وارتشفت ممتعضة وقالت: «لقد أصبحت أقل مرحاً مما كنت عليه».

«سأعتبر هذا إطراً».

قالت متهكمة: «لا تعتبره كذلك».

أتي غافين وربت كتفي وقال: «نيت يا صديقي». لا تزال بشرته مسفوقة من شمس عطلة نهاية الأسبوع، بدا شعره البني الفاتح أدنى بسبب تعرق جبينه. كان هناك كثير من النوافذ حول المشرب وما كان التكيف ليحدث فرقاً. أضاف: «اتصلت ستيفاني للتو من الطريق، إنها على وشك الوصول، أنا متأخر عن موعد مع أحدهم، وعلىي أن أرحل. هل يمكنك... كما تعلم؟».

كما تعلم هي شيفرة معناها ^{غط} مكاني. عملياً، لا يفترض بي أن أسكب الشراب لأنني لم أبلغ الحادية والعشرين من العمر، ولكن إدارة النادي الريفي لا تولي اهتماماً كبيراً للمشرب. فمعظم الوقت، أعتبر الساقي الثاني على أي حال.

كنت أود الحصول على بعض الطعام قبل البدء بالعمل، فأنا أتيت إلى هنا من عملي الصباحي في شركة مايرز للإنشاءات.

لم يكن الوقت بين العملين يتتيح لي الذهاب إلى المنزل، أضف إلى ذلك أن المنزل لم يسبق له أن كان سيناً كما هو الآن، وذلك بفضل الساكن الجديد. الشاب الوحيد الذي أحببته انتقل منذ أسبوعين، واحذروا من أنتي؟ ريجي كراولي، تلميذ ثانوية بايفيو السابق الذي كشف سايمون كيليهام امتلاكه كاميرا في غرفة نومه. في تلك الحالة، قام سايمون بالواقع بما ادعى دائمًا القيام به: فضح الحمقى. لا يبدو أن ريجي تحسن بمرور الوقت، فحين أجري صحيفة بايفيو بليد مقابلات مع الناس حول برنامج جرائم حقيقة جعل جيك

يبدو شخصاً محترماً. ظهر ريجي أمام الإعلام بهذه الجملة الرائعة: «لطالما عاملني معاملة جيدة».

لن يسبب طلب غافين مشكلة بأي شكل من الأشكال فهو كريم جدًا حيال موضوع تقاسم الإكراميات بحيث لا أستطيع الإصرار عليه بأن يبقى حتى تأتي ستيفاني. قلت له: «لا مشكلة».

قال وهو يخرج من خلف المشرب: «شكراً، أدين لك بواحدة».

رفعت فانيسا رأسها، عندما شعرت بوجود هدف جديد. قالت وهي تمد ذراعها التي تزيّنها إسوارة: «مرحباً، لا أظن أنه سبق لنا أن التقينا. أنا فانيسا ميريمان».

أمسك غافين بيدها وقال وهو يكرر اسمها وكأنه يحاول حفظه، وهو ما يحاول فعله حقيقة: «تشرفت بمعروفتك يا فانيسا ميريمان». غافين طالب جامعة، ولم ينشأ بالقرب من هنا، ولكنه يعرف سكان بايفيو أكثر مني. وهذه خدعة السقاة، وتزيد من الإكراميات على حد قوله.

قلت له، وأنا أحضر بعض الكؤوس النظيفة من تحت المشرب لأعلقها على الرف فوقي: «لا تقدم لها المشروبات، إنها في التاسعة عشر من عمرها».

قالت فانيسا بانزعاج: «حسناً، الآن، هذه مجرد وقاية».

عبس غافين وخلع ربطة العنق التي يضعها دائمًا، مع أنها لسنا ملزمين بوضعها وقال: «المعذرة يا فانيسا. استمتع يا نيت خلال ساعة الحشد».

هم بالرحيل، وعصرت فانيسا ليمونتها باتجاهي بعبوس وقالت: «لسنا جمِيعاً مستمتعين». نظرت إلى مكان خلفي، ثم ارتسم على وجهها تعبير جديد كان تقربياً... مليئاً بالأمل؟ إنه منظُر غريب على فانيسا، لذا نظرت إلى المكان الذي تنظر إليه فرأيت امرأة أنيقة بمنتصف العمر متأنقة تجلس على كرسي على بعد بضع أقدام.

نادت فانيسا: «مرحباً سيدة ريورдан، كيف حالك؟».

نظرت والدة جيك صوبنا. تفاجأت عندما بدأت العمل هنا أنها ما زالت تأتي إلى النادي الريفي رفقة السيد ريورдан. لم أمض الوقت وأنا أفكّر بعائلة ريوردان، ولكن إن فعلت، كنت سأظن أنهم انتقلوا خارج المدينة كما فعل والدا سيمون، أو على الأقل تخفوا بعدهما انتهى الأمر بابنهما الوحيد في وسط

أكبر فضيحة في بايفيو. ثم تعرفت إلى السيد ربوردان وبات الأمر منطقياً، لأن الرجل وقع بامتياز. لا يزال يظن نفسه ملكاً لبايفيو، وكان يخبر من يصغي إليه ومن لا يصغي، أن جيك تعرض لمعاملة قاسية. إنه يتصرف وكأنه لا يعرف من أنا، وكان ابنه لم يلفق لي ولأصدقائي تهمة قتل سايمون، وأضف إلى كل ما سبق أنه لا يقدم سوى قليل من الإكراميات.

أما السيدة ربوردان فهي مختلفة. لم أتو مخاطبتها إلا عند الضرورة، ولكنها فاجأتني، في أول يوم عمل لي، حين تحدثت إليّ، واعتذررت عما فعله جيك، وقالت بجدية: «إنه يحاول بجد تعويضك عن ذلك». لم أصدق الأمر ولو للحظة، ولكن أظنه مقتنعة به حقاً.

قالت السيدة ربوردان: «مرحباً فانيسا تسعذني رؤيتك». أنا أعلم سبب مجئها، وبما أن ستيفاني لم تأتِ بعد، ملأت كأساً من الشاردوني وهو أغلى نوع مشروب في الحانة. السيدة ربوردان بحاجةٍ لكل قطرة لتحمل ذلك الواقع الذي تزوجته. قالت بامتنان، وهي ترتفع رشقة طويلة قبل أن تضع أربعين دولاراً على الطاولة: «شكراً لك يا نيت، هذه لك. سجل النبیذ على حسابنا من فضلك».

قلت لها وأنا أضع النقود في جيبي: «شكراً». من المستغرب أن أكبر إكرامية أحصل عليها تكون من والدة جيك، ولكن ما الخطب في ذلك. فليس لدي شيء ضدّها، وأحياناً أتبادل وإياها الحديث عن أمور سطحية كالطقس، والمدرسة، والعمل. أنا أعرف أنها كانت مديرة في شركة إعلانات، وأظن أن لديها حنيّاً لعملها السابق. لا أعرف ما الذي تمضي فيه وقتها الآن، ويزحزنني التفكير في الأمر.

غيّرت فانيسا مكانها، وجلست بجانب السيدة ربوردان، وبدأتا بالتحدث بينما التقطت هاتفي لأنفود الرسائل التي وردتني. وردتني رسائل من برونوين، والمحادثة المسمّاة مؤخراً بطاقة بايفيو لا تهداً أبداً. منذ أن غيرت الرابطة الوطنية لرياضة الجامعات قوانينها المتعلقة باستفادة الطلاب الرياضيين من أسمائهم وسمعيتهم، غمر كوير بصفقات الرعاية. وافق في النهاية على إحدى الصفقات، وسيبّث إعلانه الأول، لسلسلة التوادي التي يعمل بها، في الشهر المُقبل. وبطبيعة الحال، رأت أدي في ذلك فرصة لإقامة حفلة.

كتب لويس، أشاهد تجهيزات الحفلة لكافيه كونتيجو، لا أستطيع الانتظار لرؤيه صديقنا للمرة الأولى على شاشة التلفاز. كان يجب عليك الموافقة على صفة خدمات الهاتف الخلوي. على فكرة، إنها تدر مالاً أكثر.

أرسل كوبر مُجيئاً، لم أستطع القيام باتصالات على تلك الشبكة الخلوية.

هذا هو كوبر كلاي، الشاب الذي يُصر على استخدام الشيء قبل ربط اسمه به، ثم يرفض مبلغاً كبيراً من المال بكل أدب إن كان هذا الشيء سيفاً.

هنا لك رسالة من والدي أيضًا كتب بها، لا أستطيع إيجاد مفاتيحه. هل رأيتها في آخر مرة كنت فيها هنا؟

أجبته وأنا أكتم تنهيدة، كلا. إن ما يميز والدي هو قدرته على المحاولة. لقد أقلع عن الشرب منذ أربعة أشهر تقريباً، وهو موظف الآن في قسم الصيانة في ثانوية بايفيو. لا أظن أنه سيقوى لوقت طويل في هذه الوظيفة، ولكنني لا أريد تشويط عزيمته. خففت عنه وأضفت، تحقق من الطاولة الجانبية بجانب التلفاز. في مُعظم الأحيان، يضع مفاتيحه هناك، لكن يبدو أن النساء أصبح مرافقاً له حتى بعد أن توقف عن معاقرة الشراب.

رُنّ هاتف السيدة ربوردان، فرفعت إصبعها لتوقف فانيسا عند التحدث عن إبيبيزا وقالت: «عذراً، لحظة من فضلك، هذه... مرحباً؟». استدارت بعيداً، ودفعت فانيسا بِكأسها التي أوشكت أن تفرغ نحو مخششة بسوارها وقالت: «صب لي مزيداً من الماء الفوار من فضلك يا قاتل البهجة».

ملأت كأسها في الوقت الذي كانت فيه السيدة ربوردان تقول بتهف: «هل أنت متأكد؟ كلا، أرجوك... بصراحة، لا أظن أنني أستطيع أن أصدق... حَلَّ؟ هل أنت متأكد. حَلَّ؟». عندما نظرت نحوها، كانت عيناها تترقرقان بالدموع. أكملت: «يا إلهي. لقد تأملت ودعوت، ولكنني لم أظن يوماً... أجل. أجل، بالطبع، أنا أعرفكم أنت مشغول. سنكون هناك غداً، عند التاسعة صباحاً بكل تأكيد. شكرًا لك. شكرًا يا كارل». أنهت المكالمة وضغطت بيديها على وجهها.

لم يسبق لي أن رأيت السيدة ربوردان مرتاحه ومبتهجة إلى هذا الحد، فشعرت بالألم في أعماقي. لم يكن هناك سوى شيء واحد يجعلها سعيدة هكذا. تبادلت النظرات مع فانيسا، والتي حاولت تبيان ما حدث فسألتها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

قالت السيدة ربوردان: «نعم، جيل... إنه...».

لم تستطع أن تُكمل، لذا أكملت فانيسا وقالت: «هل ستعاد محكمته؟».

مع أنني كنت أفكّر بما قالته، إلا أنني عندما سمعت فانيسا تقولها تصاعف المي. بطريقهٍ ما، لا يزعجني السيد والسيدة ريورдан، لأنه لا علاقة لي بهما بشكل مباشر. ولكن جيك فعل، لقد لفّق لي تهمةً وأسهم في إرسالي إلى حجز الأحداث، حيث أمضيت أصعب فترة من حياتي، وذلك عندما فقدت الأمل بأنني قد أخرج، سيمكنني جيك على فرصة ثانية. لم يستطع مكتب المدعي العام الانتظار لزجي في السجن، أما جيك ريوردان فسيمر مرور الكرام، كما جرت العادة.

بعض الأشياء لا تتغير. لا تتغير، أبداً ولا بأي طريقة لعينة.

أبعدت ياقه قميصي، وكأن ذلك سيحسن تنفسني، لكن الأمر لم يجد نفعاً. تبأ لحشد ساعة الذروة، يجب عليّ مغادرة هذه الحانة. وعلىّ الاتصال بأدي، التي لم يكن حالها أفضل من حالتي. هذا كابوس وقد تحقق، وأقل ما يُمكّنني فعله هو اطلاعها على الأمر قبل أن تسمعه من شخصٍ آخر.

السيدة ريوردان، والتي غلبتها المشاعر بحيث لم تعد قادرة على معالجة حقيقة أن خبرها المُفرح كان محزناً بالنسبة إلى الآخرين، بحثت في حقيقتها عن منديل قبل أن تجيب عن سؤال فانيسا. حيث قالت وهي ترتعش، وتضغط بالمنديل على عينيها: «... سيعود إلى المنزل».

الفصل الرابع

أدي

الاثنين، 29 حزيران

أصدرت سيارة كوبر الجيب صوضاء وهو يرکنها أمام مبني مكتب سان ديفغو. تنهد وهو يضع مبدّل السرعة على وضع التوقف وقال: «أكّره الاعتراف بذلك، لكنني أظن أن هذه السيارة قد تحتاج إلى صيانة فورية».

أجبته: «لم ألاحظ». أثناء قيادتنا من بايفيو، كان علينا الصراخ ونحن نتحدث بسبب الصوضاء التي يسبّبها محرك سيارته.

قال كوبر: «أنا آسف. لم تكن بهذا السوء البارحة، أقسم لك، وإن كنت استعرت سيارة كرييس». ثم وضع يده أمامي، وأنا أحاول الوصول إلى مقبض بابي وقال: «مهلاً. دعني أتفقد بعض الأشياء أولاً». ترجل من الجيب ومشي حولها، وهو يتفحص الشوارع والأبنية القريبة قبل أن يفتح لي الباب. ثم قال: «المكان آمن».

ابتسمت له بالرغم من تعكر مزاجي وقلت: «أنت سخيف». كان كوبر متخفياً بشكل كامل، فقد وضع نظارة وأنزل القبعة التي يعتمرها بما يكفي لتغطية شعره ونصف وجهه، وارتدى قميصاً اشتراه كرييس في آخر مرة زار فيها عائلته في ألمانيا، ولكنه مع ذلك لا يبدو كالسائح الذي اعتاد أن يدّعى به. ملابس التمرين تلك تفصحه في كل مرة.

ليسوا أنصار البيسبول هم من يُقلقون كوبر بأي حالٍ من الأحوال.
قال وهو ينظر إلى هاتفه: «لقد وصلنا باكراً، هل تودين شرب القهوة
أولاً؟».

قلت له وأنا أتفحص نوافذ المقهى الواقع في الطابق الأول من مبني
مكتب إلي: «كلا». كان هناك ستة أشخاص يجلسون متفرقين على المقاعد،
معظمهم ينظرون إلى حواسيبهم المحمولة أو هواتفهم. لم يكن هناك شيء
غير طبيعي، لكن مكتب إلي معروف بما يكفي، وهذا ما جعلني أشك في وجود
راسل متخف. لقد تسّع بعض الأشخاص حول منزلِي حين ظهرت الأنباء
حول جيك للعلن، لكنني أصبحت محترفة في ما يخص تفاديهم. قلت: «دعنا
نصل إلى الأعلى».

قال كوبر وهو يشبك ذراعه بذراعي: «حاضر سيدتي».

دُنوت منه، مرتاحة لحضوره على الرغم من مقاومتي له داخلياً. أخبرت
الجميع بأنني سألتزم بروتيني الطبيعي، حين ظهرت الأخبار في الأسبوع
الماضي، عن خروج جيك بكفالة وأنه سيُخضع لمحاكمة جديدة. انتهت أيام
تحكم جيك بما أقوم به. وعند ذلك، لكن لا يزال من الجميل وجود كوبر إلى
جانبي. خصوصاً أن روتيني الطبيعي يتضمن جلب أوراق أمر تقييد الحركة من
مكتب إلي.

قال إلي حين اتصل سابقاً: «سأحضرها لك اليوم».

قلت له: «كلا، سأتي لأخذها. لدى مهام للقيام بها على أي حال».
روتيني طبيعي.

قلت لكورب ونحن نتجه إلى المصعد: «أنا سعيدة أنه ليس لديك مبارأة
اليوم». إنه يلعب في دوري بيسبول صيفي نبوي، والجدول مزدحم جداً على
الرغم من أنه لا يجلس على مقاعد البدلاء بقدر ما كان يفعل في موسم كال
فوليرتون.

قال كوبر وهو يدور كتفيه: «أنا وأنت معًا. قمت بالكثير من تمارين
العقلة البارحة. وانتقدتني نوني طويلاً». تجاوزنا امرأة نظرت إليه نظرة تقييم
مطولة، بدت واثقة من أنها تعرفه، ولكنها لا تعلم كيف، وتجاهلتني. لا أشعر
بأنني خفية إلا عندما أكون رفقة كوبر، والأمر جميل نوعاً ما.

سأله، وأنا أضغط على زر المصعد: «هل قامت نوني بذلك حقّاً؟ ولكنها من أكثر المعجبات بك!».

قال كوبر: «أجل، ولكنك تعلمين كيف أصبحت منذ أن خرجم من المستشفى. إنها مهووسة بصحة المفاصل نوًعاً ما».

خضعت نوني لعملية تبديل مفصل الركبة منذ بضعة أسابيع، وبالرغم من تعافيها بشكلٍ جيد، فأنا أعرف أن كوبر قلقٌ بشأنها. عدا كريس، لا يوجد أحدٌ في العالم أقربٌ إليه منها.

أصدر باب المصعد صوًتاً عندما وصل، وما إن فتح الباب حتى دخلناه. وسألته: «هل تظن أنها تستطيع المجيء إلى الحفل الخاص بك في كافيه مونتيجو؟».

قال كوبر: «أشك في ذلك. وربما هذا أمرٌ جيد، على أي حال، أنا واثق من أنني كنت رهيباً في الإعلان. لا أصدق أنني أقنعت بفكيرتك بخصوص الحفل». تفاجأ حين توقف المصعد وعندما فتح الباب شمنا رائحة لاذعة مألوفة. وأكمل: «هل ما زالت عيادة زرع الشعر هنا؟».

فقلت له وأنا أدخل البهو: «نعم».

فتح باب مكتب المحامية وظهرت بيثنى أوكونجو، إحدى المتدربات لدى إلly، واحتضنتني بقوة وقالت: «أدي! تسعذني رؤيتك حقّاً!».

قلت لها بعد أن نجحت في تحرير إحدى يدي لأربّت ظهرها: «وأنت أيضاً، شكرًا لك على الـ... عناق». كنت سأقول، استقبالك الطبيعي جدًّا، ولكن ما كان يجدر بي السخرية من أشخاص يحاولون إظهار مدى اهتمامهم؟

هذا أحد الدروس العديدة جدًّا التي تعلمتها خلال السنوات الماضية.

قالت بيثنى بعد أن أفلتتني، وأشارت عبر الباب المفتوح: «إلي في اجتماع، ولكن لدينا قاعة خصصناها بالكامل من أجلكم. تفضل بالدخول. أحضرنا بعض الوجبات في حال كنتما جائعين».

كانت جملة بعض الوجبات غير دقيقة تماماً، فقد بدا الأمر وكأن أحدهم أفرغ كل المخبوزات الموجودة في مقهى الطابق الأول على الطاولة. رجّحت أن نوكس هو من فعل ذلك، الذي لوح لنا من قاعة الاجتماعات المزججة الكبيرة حيث يستمع ستة أشخاص بشغفٍ إلى ما يقوله إلly. الآن بعد أن انتهت السنة الدراسية، يعمل نوكس بدوام كامل في مكتب المحامية. رُقي من

متدرِّبٌ إلى مساعِدٍ إداريٍّ الشَّهْر المنَّاصِرِم، لَذَا بَات يَحْصُلُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ بَيْتِرَا مَجَانِيَّةً وَخَبْرَةً عَمَلٍ.

قَالَتْ بِيَثَانِي قَبْلَ أَنْ تَعْلَقَ الْبَابُ خَلْفَنَا: «يَجِبُ أَنْ أَدْخُلَ مَجَدًّا، وَلَكِنْ لَوْحًا لِي إِنْ احْتَجْتَمَا شَيْئًا».

دارَ كُوبِرَ حَوْلَ الطَّاولةِ مُثْلِ رَجُلٍ فِي مَهمَةٍ. مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ نَظَامًا غَذَائِيًّا صَارِمًا خَاصًا بِالْتَّدْرِيْبِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ضَعِيفًا أَمَامَ الْكَرْبُوهِيدِرَاتِ. قَالَ بِسَعَادَةٍ وَهُوَ يَتَّنَاهُ اثْنَيْنِ: «أَجَلُ، الْكَرْوَاسُونَ بِالشُّوكُولَاتَةِ». وَلَكِنْ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقْضِي أَيَّاً مِنْهُمَا، لِفَهْمَا بِمَنْدِيلٍ وَوَضْعَهُمَا جَانِبًا. وَأَضَافَ: «كَرِيسٌ يَحْبُبُ الْكَرْوَاسُونَ جَدًّا».

جَلَسَتْ وَمَدَتْ يَدِي لِأَتَنَاهُ تَارَتِ الْفَوَاكِهِ، وَالْتَّقَطَتْ حَبَّةَ فَرَاوَلَةَ مِنْ أَعْلَى الْحَلْوَى، وَوَضَعَتْهَا فِي فَمِي وَقَلَتْ: «إِنَّكَ تَخْبَأُ لَهُ مَا تَحْبُبُ، الثَّنَائِيُّ الْمَثَالِيُّ يَبْقَى مَثَالِيًّا».

قَالَ كُوبِرُ: «لَا يَوْجِدُ شَيْءٌ يَسْمَى ثَنَائِيُّ مَثَالِيًّا».

كَادَتِ الْفَرَاوَلَةُ الدِّبَقَةُ تَعْلُقُ فِي حَلْقِيِّ، ابْتَلَعْتُهَا بِصُعُوبَةٍ. إِنَّهُ مَحْقٌ، لَأَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ النَّاسُ يَنَادُونِي وَجِيكَ بِهِ، الثَّنَائِيُّ الْمَثَالِيُّ. كَانَا نَبْدُو مِبْتَهَجِينَ وَسَعِيدِينَ وَمُشَهُورِينَ جَدًّا، مَعَ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ مِنَ الْأَوَّلِيَّنِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ نَظَنُ أَنَّهَا تَشِيرُ إِلَيْنَا، فَجِيكَ كَانَ ثَانِيُّ شَخْصٍ يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ بَعْدَ كُوبِرِ حِينَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالرِّيَاضَاتِ فِي بَايْفِيُو، وَكَنْتُ أَنَا دَائِمًا الْوَصِيفَةُ فِي مَسَابِقَ الْجَمَالِ. لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَسَابِقَ الْجَمَالِ لَمْ تَكُنْ نَقْطَةَ قُوَّتِيِّ، وَأَمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى جِيكَ، حَسَّنًا...».

قَالَ كُوبِرُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «خَدَنَا جَمِيعًا، كَمَا تَعْلَمِينَ».

قَلَتْ وَأَنَا أَكْبِتُ ضَحْكَةً: «لَيْسَ بِالْقَدْرِ ذَاتِهِ تَمَامًا».

قَالَ كُوبِرُ: «ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ. أَعْنِي، أَجَلُ، أَنَا أَفْهَمُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ مُخْتَلِفًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُمَا، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُهُ قَبْلَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ تَعْرِفُكَ إِلَيْهِ. بَدَأْنَا بِالْخُرُوجِ مَعًا نَهَايَةَ الصِّيفِ الَّذِي سَيْقَ سَنَنَا الْأُولَى، لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي أَنَا وَلَوِيُسْ وَكِيلِي وَلَوْ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ أَنَّهُ يَسْتَطِعُ أَنْ يَؤْذِي أَحَدًا...».

سَأَلَتْهُ: «هَلْ يُمْكِنُنَا أَلَا نَأْتِي عَلَى ذِكْرِ كِيلِيِّ الْآنِ؟».

فَقَالَ كُوبِرُ: «اعْتَقَدْتَ... اعْتَقَدْتَ أَنَّ مَا حَصَلَ كَانَ أَمْرًا جَيْدًا».

قلت له وأنا أتناول الحافة المفتة للهارت: «ربما كان جيداً، ربما كان سيكون جيداً، على الأغلب، لو لم أكن محطمة بالكامل».

في وقت سابق من هذا الشهر، عندما عادت صديقتي كيلي ثوريا إلى المنزل بعد أن أنهت عامها الأول في جامعة كاليفورنيا، قضينا معظم عطلات ليالي الجمعة نقود في شوارع سان دييغو بحثاً عن حفلة يُقيمها أحد أصدقاء كيلي. لكننا لم نجد أحداً، ومع ذلك بقيت تُجرب، وأصبح الأمر مضحكاً أكثر بينما قادت بنا من عنوان خاطئ بشكلٍ جلي نحو عنوان خاطئ آخر. حين ركّنا السيارة أخيراً أمام دار للمسنين، بدأنا نضحك بشدة لدرجة أن دموعي انهمرت. حاولت كيلي مسحها، وكادت تخدش خدي بأحد أظفارها، وهذا ما أضحكني أكثر....

حسناً، غير مثالي. فكما قال كوبر، لا وجود لثاني مثالي. ولكن الأمر كان رائعاً حقاً.

قال كوبر بحزن: «أنت لست محطمة، أنت حذرة، وكيلي تفهم ذلك. وأنا أرى أنها تفهم ذلك أفضل من أي شخص آخر». كوبر وكيلي مقربان أحدهما من الآخر الآن، ولكن بينهما ماضٌ؛ فقد تواعا في الثانوية قبل أن يُصرّح كريس علناً عن حقيقة وضعه، جرحت كيلي حين علمت بالأمر. قال كوبر: «إنها لا تضغط عليك، أليس كذلك؟».

تمتمت وقلت: «بالطبع لا، فكيلي التي نتحدث عنها غادرت، ألا تذكر؟». دائمًا ما تمضي عائلة كيلي الصيف في كاب كود، وقد غادرت الأسبوع الماضي. كرهت حقيقة أنني أشعر بشيء من الارتياح، تماماً كما شعرت بالارتياح حين وافق دانييل، الشاب الذي كنت أواudedه قبل شهرٍ من ذلك، بكل امتنانٍ اقتراحِي بأننا سنبلي أفضل إن كنا صديقين. على الرغم من أن ذلك لم يكن حقاً ما أردت.

حياتي العاطفية اتبعت نمطاً مألوفاً ومحزناً منذ اعتقال جيك: أشعر بالحماسة تجاه شخص جديد، وبعد أن تمضي معه أسبوعاً رائعاً وممحة، ينشط دماغ الزواحف لدىّ؛ وهو نوع من الاستجابة العميقه جداً، يجعلني أبعد الناس. لا يزعجني أن أكون وحيدة، ولكنني أرغب في أن يكون ذلك بمحض إرادتي، وليس لأنني خائفة جداً من أي شيء آخر.

كان كوبر أول شخص أخبره عن كيلي، فماضيهما مشترك، وأردت أن أتأكد من ألا يكون الأمر غريباً بالنسبة إليه. أطّن أنه تأثر عندما أفصحت له عن

ميولي. عندما أخبرت كوبر بذلك، ذكرني بعدم أهمية التمييز. حيث قال: «لك الحق بأن تُعجبني بمن تريدين».

أعادني كوبر إلى الحاضر بعد أن وضع يده على كتفي ليطمئنني، وقال: «امنحي نفسك بعض الوقت يا أدي. لم تمض سنتان منذ أن ساء كل شيء بالنسبة إلى جيك».

قلت له وأنا أحشر المتبقى من حلوى الفواكه في فمي لحظة خروج إلى من غرفة الاجتماعات الكبيرة وتوجّهه صوبنا: «ومع ذلك، ها هو يخرج من السجن قبل أن تتسنى لي فرصة الحصول على موعدٍ غرامي ثالث».

قال إلي وقد أطّال النظر إلى خدي المليئين بالطعام: «شكراً يا كوبر. مرحباً يا أدي. أسف لأنني جعلتكم تنتظران. يُسعدني أنكم تستمتعان بالطعام».

مضفت الطعام بسرعة، ولوّحت بيدي، وارتخت لمجرد رؤيته. فعلى الرغم من أن إلي عادةً ما يكون مشغولاً وتعم الفوضى عمله، إلا أنه أحد أكثر الناس المؤهلين، وبالتالي المريحين، الذين قابلتهم في حياتي. أضاف وهو يرمي بملفاته على الطاولة ويحمل الملف الأعلى: «بإمكانني أن أجعل هذا سريعاً، لأن الأخبار جيدة بمجملها. حسناً، جيدة بالقدر المرجو منها، في ظل هذه الظروف. لدينا كل ما كنا نريده. يفترض بجيك أن يبقى بعيداً بما لا يقل عن مئتي قدم عن منزلك ومنزلي ومنزل أشتون، أو كافيه مونتيجو. لا يمكنه التواصل معك، ولا يمكنه...».

قال كوبر بغضب نادراً ما يُظهره: «كيف لهذا أن يحصل؟». واتجه نحو النافذة ونظر إلى الخارج واضعاً يديه على خصره وأكمل: «هناك ثلاثة شهود عيان على ما فعله جيك لأدي، بمن فيهم أدي نفسها. كانت في المستشفى! ناهيك عن كل الهراء الآخر الذي قام به. ما كان سایمون سيموت لو لم يساعدك جيك وربما تغيرت أمور كثيرة، لماذا فجأة لم يعد أدي من هذا مهمّا؟».

قال إلي وهو يمرر أصابع عبر شعره. والذي أصبح أطول بقليل منذ الزفاف، مع أنه لم يصل إلى الطول الذي كان عليه عندما التقىته أول مرة: «إنه لا يزال مهمّاً، لكن المحاكمة أمام هيئة محلفين محايدة حقّ أساسي ضمن نظامنا القضائي. أضف إلى ذلك اكتظاظ السجون، وسن جيك، وخدمته الاجتماعية و... حسناً... وصلنا إلى ما وصلنا إليه».

حدق كوبر عبر النافذة، مرتعش الفك، بينما جلس إلي إلى جانبي واحتضنت راحتا يديه يدي: «أدي، أعرف أن ما حصل فطبيع. لا أحد يؤمن بأهمية

محاكمة عادلة أكثر مني، ومع ذلك لم يعجبني ما حصل. ولكن المحكمة تتفهم مخاوفك، وهذا هو السبب في أن هذا القرار الوقائي متعدد الجوانب. بالإضافة إلى ذلك، سيرصد مكانه بعناية، وستُسرّع المحاكمة الجديدة».

سألته: «هل سأضطر للشهادة مرة أخرى؟». عندما فكرت في الأمر شعرت بجفاف حلقي، في السابق لم أجد ضيّراً في مواجهة جيك. وذكر كل الطرق التي أذاني بها بكل بهدوء، ولكنني لا أشعر بالقدرة على تكرار الأمر.

قال إلي، وهو يفلت يدي، قبل أن يخرج رزمة من حافظته ويضعها على الطاولة بيننا: «ربما لا. نستطيع التحدث عن الأمر في وقت لاحق. في الوقت الراهن، إليك نسختك. نستطيع مناقشة كل التفاصيل، ولكن أهم ما يجب أن تعرفيه هو أنه سيكون جيك في غاية الغباء إن اقترب منك. يمكن لأي إخلال بهذا الأمر أن يعيده إلى السجن، وأن يُضاف إلى كدمة الأدلة التي أدانته في بادئ الأمر».

قلت له وأنا أستقر في مقعدي: «لم يقلق حيال ترك أدلة في المرة الأولى، ليتني أذهب إلى البيرو الآن بدلاً من نهاية تموز». في البدء ظننت أنني سأكون هناك مُعظام فصل الصيف، ولكن بعدها قررت مدرسة كوليجيو سان سيلفيسوري، والتي تقدمت بطلب لانتساب إليها، بأن تقسم برنامجها إلى فصلين، ومن أجل ضمان حصولي ومايف على مكانين معًا، لا يُمكننا الاشتراك إلا في الفصل الثاني.

قال كوير وهو يضم ذراعيه: «لا تقلقي يا أدي، لن يدعك أصدقاؤك تبقين وحيدة للحظة من الآن حتى تستقلين الطائرة. وعندما لا تكون معك، سترافق جيك عن كثب».

قال إلي: «لن تقوم بذلك بكل تأكيد». ولم يسعني سوى الابتسام قليلاً عندما تخيلت كوير حارسًا شخصياً، وقلت مجازة: «هل هناك أمر مرتب في الخارج؟».

شردت عينا كوير وهو ينظر من النافذة وقال: «هناك سيارة مهترئة بقيت تمشي ببطء في الشارع منذ أن وصلنا إلى هنا. سيارة حمراء ذات غطاء بني محمر». ثم اقترب من الزجاج لينظر بتمعّن وأكمل: «أنا متأكد من أن جيك لن يكشف نفسه في قطعة خردة كهذه، لكن على الاقتراب لأنأكدر».

قال إلي: «اسمع يا كوير. لا أستطيع التأكيد على أهمية هذا بدرجة كافية. أفعل أي شيء حيال أي شيء يصب في مصلحتكم أنتما الاثنين.

جميعكم. مجموعة شباب بـ«بـايـفيـيو»، أو أيـاـ كان ما تسمون به أنفسـكـمـ هذهـ الأـيـامـ...».

تدخلت وقلت: «ندعـىـ طـاقـمـ بـايـفيـيو».

فـقالـ إـلـيـ مـلـوـحـاـ بيـدـهـ: «أـيـاـ يـكـنـ». أـخـبـرـتـ نـوـكـسـ بـالـشـيـءـ ذـاـتـهـ، وـسـأـطـرـدـهـ إنـ لـمـ يـسـتـمـعـ».

قلـتـ بـسـخـرـيـةـ، بـعـدـ أـنـ شـعـرـتـ بـدـفـعـةـ مـنـ العـاطـفـةـ حـيـنـ رـأـيـتـ نـوـكـسـ يـجـمـعـ الرـزـمـ بـحـذـرـ عـلـىـ مـكـتـبـهـ: «كـلـاـ، لـنـ تـفـعـلـ». بـالـكـادـ عـرـفـتـهـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ، وـلـكـنـ إـنـقـاذـهـ لـلـحـفـلـ قـوـيـ الرـابـطـةـ بـيـنـنـاـ».

الـآنـ بـاـتـ كـأـخـ صـغـيـرـ لـمـ أـدـرـكـ أـنـنـيـ أـحـتـاجـ إـلـيـهـ. كـمـ أـنـهـ صـبـوـزـ جـدـاـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ أـنـنـيـ أـحـيـاـنـاـ أـشـعـرـ بـالـحـاجـةـ لـاـحـتـضـانـ رـقـبـتـهـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ وـالـتـعـلـقـ لـبـضـعـ دـقـائـقـ، حـيـنـ أـفـكـرـ بـمـاـ كـانـ سـيـحـدـثـ لـشـقـيقـتـيـ وـكـلـ شـخـصـ أـخـرـ أـهـتـمـ لـأـمـرـهـ.

لـمـ يـبـدـ إـلـيـ مـقـنـعـاـ عـنـدـمـاـ قـالـ: «سـأـفـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ حـقـاـ، أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـكـ...». ثـمـ اـكـفـهـ وـجـهـ عـنـدـمـاـ حـمـلـتـ أـمـرـ الـمـحـكـمـةـ وـسـقـطـ مـغـلـفـ مـنـ بـيـنـ أـلـوـارـاقـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ. ثـمـ أـكـمـلـ: «مـهـلاـ قـلـيـلاـ. يـجـبـ أـنـ لـيـكـونـ هـذـاـ هـنـاـ».

حـدـقـنـاـ لـثـوـانـ إـلـىـ المـغـلـفـ. بـدـاـ إـلـيـ قـلـقـاـ، وـتـذـكـرـتـ تـهـدـيـدـاتـ الـقـتـلـ الـتـيـ وـصـلـتـهـ مـنـذـ أـشـهـرـ مـنـ جـارـيـدـ جـاـكـسـونـ، الـفـتـىـ الـذـيـ سـاـعـدـ إـلـيـ فـيـ وـضـعـ شـقـيقـهـ فـيـ السـجـنـ. تـصـاعـدـتـ رـسـائـلـ الـتـهـدـيـدـ تـلـكـ بـمـرـورـ الـوقـتـ، إـلـىـ أـنـ قـرـرـ جـارـيـدـ تـفـجـيـرـ بـرـوـفـةـ زـفـافـ إـلـيـ وـأـشـتـوـنـ. قـلـتـ وـأـنـاـ أـحـاـوـلـ الـوصـولـ إـلـىـ المـغـلـفـ قـبـلـ أـنـ يـتـمـكـنـ إـلـيـ مـنـ أـخـذـهـ مـرـجـعـاـ: «هـلـ هـذـاـ...». ثـمـ طـرـفـتـ عـيـنـاـيـ بـضـعـ مـرـاتـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ تـحـرـكـ إـلـيـ فـيـ كـرـسـيـهـ، وـقـرـأـتـ: «الـطـفـلـ كـلـيـنـيـفـيـلـتـرـ بـرـنـتـيـسـ؟ـ هـذـهـ...ـ صـوـزـ بـالـمـوـجـاتـ فـوـقـ الـصـوـتـيـةـ؟ـ».

قـالـ إـلـيـ: «كـلـاـ، إـنـهـ جـنـسـ الـمـوـلـودـ، مـنـ آـخـرـ زـيـارـةـ لـنـاـ لـلـطـبـيـبـ النـسـائـيـ. لـاـ نـرـيدـ مـعـرـفـةـ جـنـسـهـ، لـكـنـ الـمـمـرـضـةـ أـعـطـتـنـاـ النـتـائـجـ، طـلـبـتـ مـنـيـ أـشـتـوـنـ رـمـيـ الـمـغـلـفـ مـنـ دـوـنـ فـتـحـهـ، لـكـنـنـيـ شـعـرـتـ بـأـنـ الـقـيـامـ بـذـلـكـ سـيـجـلـبـ الـحـظـ السـيـئـ، بـطـرـيـقـةـ مـاـ، لـذـاـ كـنـتـ...ـ حـائـرـاـ بـأـمـرـهـ. لـأـفـهـمـ كـيـفـ اـخـتـلـطـ مـعـ مـلـفـاتـيـ». اـحـمـرـ وـجـهـ إـلـيـ حـيـنـ بـدـأـتـ بـالـبـتـسـامـ، تـُسـيـ أـمـرـ جـيـكـ مـؤـقـنـاـ. اـحـمـرـ أـكـثـرـ وـأـكـمـلـ: «لـمـ أـفـتـحـهـ أـوـ أـيـ شـيـءـ. لـمـ يـغـرـنـيـ الـأـمـرـ كـثـيـرـاـ».

سـأـلـ كـوـبـرـ عـابـسـاـ: «أـنـتـمـاـ لـاـ تـرـيـدـانـ مـعـرـفـةـ جـنـسـ الـجـنـينـ أـمـ أـشـتـوـنـ فـقـطـ؟ـ».

قال إلي: «كلانا، لكنني أكثر فضولاً منها بقليل».

قلت وأنا أحشر المغلف في حقيبتي: «ما رأيك بأن أحفظ به؟».

أخيراً، سألني كوبر بعد أن ابتعد عن النافذة: «ستنظررين إلى النتيجة بمجرد وصولنا إلى السيارة، أليس كذلك؟».

قلت له وأناأشعر بشيء من الراحة: «ربما، لا أعرف». إنه تغيير مرّّب به، بعد الأسبوع الذي حطّيت به، سأكون مسؤولة عن لغزٍ لا جواب سين له.

الفصل الخامس

فيبي

الأربعاء، 1 تموز

كثيرة هي الأمور التي يمكن للمرء أن يقلق بشأنها في الوقت نفسه، وحالياً، بعد مضي أربع ساعات على بدء وردية عمله في كافيه كونتيجو، بذوق مستنفدة.

قلت للمرأة الجالسة عند زاوية الطاولة: «إن كنت لا تحبين اللحم الأحمر أو الثوم أو البصل أو الزيتون، ربما لا يجدر بك طلب الإمبانادا، ربما ما تريدينه حقاً هو قطعة من العجين. ولكن للأسف، نحن لا نقدم هذا النوع من الأطباق».

صُدمت الزيونة، وكانت محققة في ذلك، لأنه يا للهول، كم كان ذلك وقحاً. فتحت فمي لأعتذر، لكنني تلعمت، ولم أستطع قول شيء سوى، المعدنة، ولكن هل تعلمين المثل القديم عن الطامة الكبرى؟ إنها أنت. قبل أن تتمكن المرأة من مناداة المدير، وقفت إيفي بسرعة إلى جانبي، وبيدها ورقة وقلم.

قالت مبتهجة: «لقد حان وقت استراحة يا فيبي». كانت ابتسامتها بهيجه كصوتها، لكن يديها كانتا حازمتين وهما تبعدا مني عن الطاولة، بينما

ظهرت السيدة سانتوس من خلف صندوق المحاسبة. ثم أكملت: «لَمْ لا تجلسين وأنهِي أنا العمل هنا؟».

وقفت متسلحة، ثم أضفت متأخرة: «حسناً. شكرًا لك». لكن إيفي اقتربت من كتف المرأة، وأشارت إلى البدائل على القائمة. والتي لا تحتوي على الأغلب، على قطعة من العجين. ربما ستكون إضافة اقتراحِي المقيد هذا، إلى المرات العديدة التي تأخرت فيها هذا الشهر، القشة التي أفاضت الكأس بالنسبة إلى السيدة سانتوس، وما كان أحد سيلومها.

شعرت بنظرات السيدة تتبعني وأنا أبتعد. لم أرد الآن شيئاً سوى الاختباء لدقائق في المطبخ لأحظى بقليل من الهدوء والسكينة، لكن أخي كان جالساً إلى زاوية الطاولة مع بقایا طعامه. كان أوبن وحيداً كعادته، منهمكاً بهاتفه، وحقيبته السوداء عند قدميه، وشعره الأشقر الطويل جداً يُغطي عينيه.

تعني العائلة الكثير بالنسبة إلى السيدة سانتوس، وإذا مررت من أمام أخي الصغير الوحيد من دون أن أنطق بكلمة، فستظن بي سوءاً أكثر مما تظنه أصلاً.

اصطنعت ابتسامة، وجلست على الكرسي المقابل له وسألته: «كيف كان غداوك؟».

قال أوبن من دون أن ينظر إليّ: «لا بأس». اشتربت له والدتي سماعتي إيربودز في عيد ميلاده، وكان يضع إحداهما في أذنه.

سألته وأنا أحاول تقليل صوت إيفي المبتهج: «ألا تريد الذهاب إلى المنزل اليوم؟».

عادةً ما يأخذ أوبن وجباته معه في الأيام التي أكون فيها والدتي في العمل. تعمل والدتي قبل الظهر مديرة لمكتب وفي بعض الأحيان تعمل بعد الظهر بالإضافة إلى أيام العطل في تنسيق حفلات الأعراس، لكن عملها شهد تراجعاً كبيراً بعد كارثة بروفة عشاء أشتون وإلي، وبدأ يعود إلى سابق عهده في الفترة الأخيرة.

تجاهلني أوبن، وازداد الصمت بيننا إلى أن سأله مجدداً: «ماذا تفعل؟».

«إنني أشاهد مقاطع الفيديو على تطبيق تيك توك».

«هل هناك شيء يستحق المشاهدة؟».

أخيراً، نظر إلى أخي، فتسارعت ضربات قلبي عندما رأيت التعبير على وجهه. لقد تغير كثيراً، وبسرعة كبيرة. ستكون هدية لا تقدر، إذا أتيحت لي فرصة إلقاء نظرة على تعابيره السابقة، نظرة إلى ذلك الفتى اللطيف المخلص الذي كان يتحدث لساعاتٍ عن إصلاح آلة تحميص الخبز. ثم قال: «نشر هذا الفتى فيديو يظهر فيه الطريقة التي توفيت فيها صديقته في حادث صيد. قال إن سمكة خرجت من الماء وأغرقتها، ولكن تبيّن أنه اختلف الأمر برمته، فصديقته لم تكن على علم بالأمر قبل أن تشاهد الفيديو».

لقد اختلفت أوبن القديم، ولم يبق له أثر. سأله: «لماذا فعل ذلك؟».

بدا أوبن مستغرباً وهو يجيبني وكان الأمر بديهي: «ليحصل على مشاهدات، وقد حقق غايته، فالفيديو من أكثر الفيديوهات التي حظيت بمشاهدات، فقد بلغ عدد الذين شاهدوه حوالي مليون شخص».

قلت بغضب: «هذا ليس مسلياً».

تجاهلني أوبن وهو يبعث بهاتفه وقال: «ولكنني أظنه كذلك».

غضبت على شفتي حتى لا أسأله، ما خطبك؟ أعرف كيف كانت مأيف ستجيب... أو نوكس أو والدتي أو أي شخص راقب تغيرات أوبن الأخيرة: إنه في الثالثة عشر من عمره. وهذا صحيح، ولكن الصحيح أيضاً أن أوبن لعب لعبة مميتة أدت في النهاية إلى مقتل حبيبي السابق. لا تبدو السخرية من تزوير شخصٍ ما لوفاة أحدهم بالأمر الصار بهذه الخلفية.

لكن لا يمكنني التحدث إلى أوبن بهذا الخصوص، لأنه لا يعرف ما أعرفه. في نيسان وأيار الماضيين، حين لم يكن معروفاً إن كانت إيماء ستورط في دعوى قضائية، تمنيت أن يعترف، وأن يكون ضميره صاحياً بحيث لا يسمح بأن تحمل عوائق أفعاله، على الأقل يعترف لنا نحن أفراد عائلته، فليس من الضرورة أن يخبر الشرطة، ولكنه لم يعترف مطلقاً.

صحيح أن إيماء لم تُدْنِ، ولكنها في الحقيقة عوقبت بطرق أخرى؛ فقد خسرت التلاميذ الذين كانت تعطيهم دروساً خصوصية، كذلك خسرت المساعدة المالية المخصصة للمتفوقين والتي كانت تعتمد عليها، وعُبِّر عدد قليل ولكن صاحب من سكان بابيفيو عن اعتقادهم أنها أفلتت من العقاب بخصوص جريمة القتل. وهذا هو السبب الذي جعلها تنتقل وتسكن في منزل خالٍ، وبذلك أصبحت شقيقتي الذكية المواطبة، والتي قضت نصف حياتها تخطط لدخول الجامعة، تنظر إلى مستقبل غير الذي خططت له.

في هذه الأثناء، تصرّف أوبن وكأن شيئاً لم يحدث. فجأة، سألني وهو يمسك هاتفه: «هل رأيت هذا؟».

ترددت في الإجابة، فأنا حّقا لا أريد مشاهدة فيديو مسموم، لكنه كان صورة على تطبيق إنستغرام للوحة الإعلانات في كلاريندون التي كتب عليها: *لقد حان الوقت للعبة جديدة يا بايفيو.*

أجبته: «نعم، سبق لي أن رأيتها».

قال وهو يقلب ما أدركت أنه منشور يحتوي أكثر من صورة: «هناك جزء ثان». كانت الصورة التالية للوحة الإعلانات ذاتها، لكن كتب عليها هذه المرة: *هناك قاعدة واحدة فقط.* لقد كتب من نشر هذه الصورة في الأسفل: *إليكم ما أظنه: القاعدة الوحيدة هي أنه لا توجد قواعد، وأرفق كلامه بضحكات ورمز تعبيري لجمجمة.*

انقبضت معدتي أكثر حين قال أوبن: «إعلانٌ غريب، أليس كذلك؟ ترى، ما الذي يبيعونه؟».

تفرست وجهه، في محاولةٍ مني لفهم تعبيره الخاوي ونبرة صوته. هل أزعجه الكلمات لأنها تذكره بلعبة جرأة أو تحدي التي قتلت براندون؟ هل تُخيفه؟ هل يظنها طريفة؟

هل هو من كتبها؟

كلا، هذا سخيف. ربما يكون أخي مهوساً بالเทคโนโลยيا، لكنه لا يستطيع اختراق لوحة إعلانات.

سأله في الوقت الذي عاود فيه النظر إلى هاتفه: «هل رأيت المنشورات؟». وبعد ثوانٍ، ضحك ضحكة قصيرة. فسعلت قليلاً وأضفت: «هل سمعتني؟».

قال: «أنا أشاهد فيديوهات عن التزلج، ارتطم هذا الشاب بالسيار الحديدي وغطته الدماء».

«كف عن مشاهدة هذه السخافات».

ضحك أوبن وقال: «الدم يقطر من عينيه. يبدو ميّاً»، وهنا فقدت أعصابي، وانتشرت الهاتف من يديه من دون أن أدرك أني فعلت ذلك.

صرخت به وأنا أنتزع سماعة الأيبودز: «هذا ليس، مسلّيّاً».

تألم أوبن وأمسك أذنه وقال: «لقد آلمتني، ما خطبك؟».

«أنت خطبني يا أوبن!».

بمجرد أن خرجت الكلمات من بين شفتيّ، أدركت كم كان صوتي مرتفعاً... وكم تردد صداحه في أرجاء الصالة الصغيرة. فغر أوبن فمه مندهشًا، في الوقت الذي نظر فيه كل من في المطعم إلينا، فاحمرت وجنتاي خجلاً بينما نهضت السيدة سانتوس من خلف صندوق المحاسبة.

سألتني: «لماذا لا تأخذين بقية اليوم إجازة يا فيبي؟ أنت هنا منذ وقت طويل. يمكن لإيفي تدبر أمر زبائنك».

عندما شعرت بانزعاج غير مبرر من إيفي، فهي تبدو جيدة في كل شيء على نحو غير عادي، وهذا ما يظهرني سيئة، أجبت السيدة سانتوس قبل أن تقاطعني: «أنا بخير، لا أظن أنني بحاجة إلى الراحة...».

قاطعني قائلة: «بل أنت بحاجة إلى ذلك». ولم تكمل قائلة وإن تعودي إلى هنا، ولكنني فهمت ما لمحت إليه.

تنهّدت وقلت: «حسناً». بالكاد استطعت النظر إلى أوبن الذي تجاهلني وعثت بسماعته، لكنني تحاملت على نفسي وسألته: «هل تريد أن أقلّك إلى المنزل، أم...».

أجابني: «سأبقى هنا لبعض الوقت، وأعود ماشيًّا».

ربت السيدة سانتوس كتفه وقالت قبل أن تتجه صوب المطبخ: «سأحضر لك بعض البسكويت بالكرياميل». إن لم تكن الزيونة التي أرادت طبق إمبا nada بلا مكونات هي الطامة الكبرى بالأصل، فستكون الطامة طردي خارج المقهى بينما يحصل أخي، المعتل الاجتماعي الصغير، على صحن مليء بالكعك.

ربما تلك هي حياتي الآن، سلسلة من الطامات الكبرى التي لا تنتهي.

نهضت من دون أن أتفوه بكلمة، وتوّجهت إلى المطبخ لأجلب أشيائي. كان الجميع منهمكين في العمل، فلم تُفتح لأي منهم الفرصة للتحدث إلىّ، وربما سمعوا أنني فقدت أعصابي في الصالة وأرادوا منحي مساحة خاصة. لقد كرهت هذه الطريقة منذ أن اتبعتها إيمانًا معي بعد وفاة والدي. لا أفهم كيف يستطيع المرء النظر إلى شخص يظهر عليه الألم ويفكر، أعلم ما الذي يحتاج إليه هذا الشخص؟ إنه يحتاج إلى مزيد من الوقت مع نفسه.

كنت على وشك أن أصل إلى الباب عندما نادى أحدهم باسمي. التفت فرأيت ماني، شقيق لويس الأكبر، يمسك بكيس ورقى ببني اللون. قال: «مرحباً، هل يمكنك أخذ هذا؟ إنه للسيدة كلاي».

قلت له: «بالطبع». في العادة، لا تقدم كافية كونتيجو خدمة التوصيل، لكن عائلة سانتوس ومنذ أن خضعت جدة كوير للعملية جعلت لها استثناء. أتطلع دائمًا لتوصيل الطلب عندما أكون في العمل، لأن السيدة كلاي، التي لا تنفك تطلب مني أن أناديها بجدتي، رائعة جدًا. بالإضافة إلى أن قضاء الوقت معها له فائدة إضافية تتمثل في أن يجعلني أقل إعجابًا بكونير. فمن الصعب أن يغريك أحد رأيت صوره وهو صغير.

قال ماني: «عظيم، شكرًا لك. إنها تحبك». فارتقت معنوياتي قليلاً.

خرجت، ونظرت إلى حيث يفترض بي أنني ركنت سيارتي، إلى الأمام مباشرةً، ولكنني تذكرةت أن المرأب كان مزدحّاً عندما وصلت، فركت مصطورة على بعد خمس دقائق مشياً عن كافيه كونتيجو، على ناصية زقاق منحدر. أخرجت مفاتيحي وأنا أقترب، مُنزعة من أرضية الشارع لأنني لا أتذكر أنها كانت بهذا الانحدار، ثم... يا إلهي.

لم يكن الشارع منحدراً إلى هذا الحدّ، بل هي سيارتي. كان الإطار الخلفي إلى جهة السائق فارغاً من الهواء.

همست، وأنا أركل الإطار بقوّة: «اللعنّة». ليس طامة كبرى أخرى. ثم نطّلت وأنا أقف على قدم واحدة وأتلوي ألمًا، ثم وضعت طعام السيدة كلاي على الأرض بحذر حتى أبحث عن هاتفي داخل حقيبتي.

يجب أن أتصل بكافيه كونتيجو لأخبرهم أن يرسلوا شخصاً آخر ليوصل طعام السيدة كلاي، ثم سأتصل بجمعية السيارات الأمريكية.

لكنني ترددت بعد أن أخرجت هاتفي، وشعرت برغبة مفاجئة بالاتصال بنوكس. فهو من بدل لي إطار الكورو لا القديمة، التي كنت أتشارك قيادتها مع

إيما، في المرة الأخيرة التي فرغ فيها من الهواء. صحيح أنه كان بطبيعته وقتها وبالكاد نجح، ولكن الآن، باتت تلك إحدى أفضل ذكرياتي عنه.

في ذلك الوقت. لم يمض على الأمر سوى أربعة أشهر، لكنني أشعر أن ذلك حصل منذ وقت بعيد.

أعلم أن نوكس لن يتربّد في مغادرة مكتب المحاماة إن اتصلت به، ولكن لا يجدر بي أن أتصل، أليس كذلك؟ خرجنا عدة مرات منذ أن طردني من سريره، وأنا أحاول قدر المستطاع أن أتصرف مثله وكان كل شيء طبيعي.

لكن المشكلة هي أنني لست متأكدة من معنى الكلمة الطبيعي بعد الآن بالنسبة إلىّ وإلى نوكس.

«هل أنت بخير؟».

نظرت إلى الأعلى وأنا أبعد قدمي التي تؤلمني فكدت أقع.

إنه جيك ريورдан يقف على الرصيف إلى جانب سيارتي، مُرتدّاً بنطاطاً وقميصاً أزرق اللون، وكأنه شخص عادي وليس الوحش الذي يطارد أحلام أصدقائي. شعرت بأنني فغرت فمي من الدهشة والقلق، وتشتّجت فلم أنطق بكلمة.

قال جيك بلهفة، وقد وقفت خلفه امرأة جميلة حسنة الهدام متوسطة العمر زرقاء العينين بنية الشعر مثله: «يبدو أن إطار سيارتك مثقوب، هل تريدين المساعدة في تبديله؟».

تجمّدت في مكاني، ولم أستطع التفوه بكلمة. نظرت المرأة إلىّ بقلق، ولمست ذراع جيك وقالت: «عزيزي، ربما تنتظر قدوم أحد هم...».

قلت من دون تفكير: «لا»، وقبل أن أستطيع التراجع عما قلت، ابتسم جيك ابتسامة خفيفة.

سألني: «هل تملkin إطاراً احتياطياً؟».

نظرت إلى طعام السيدة كلاي الذي كان يبرد في المكان الذي وضعته فيه على الأرض، وبطريقة ما، وجدت نفسي أفتح صندوق سيارتي بدلاً من قول لا لجيك.

قال جيك في الوقت الذي كنت أبحث فيه عن الإطار في صندوق السيارة: «اتركي الأمر لي». تراجعت، وأفسحت له مجالاً أكثر مما يحتاج إليه، وفي غضون ذلك أخرج الإطار والرافعة. جثا بسهولة بالغة وبسرعة وثقة بجانب سيارتي بخلاف بطا نوكس وحذره. بعد بعض دقائق من الصمت نظرت إلى السيدة ريورдан، فابتسمت بتردد. افترضت أنه من اللياقة أن أقول شيئاً لها أو له، ولكن... مازا؟ كيف سمحت لهذا أن يحدث؟ ولماذا هو هنا؟

ألا يفرض عليه القانون البقاء على بعد عدة شوارع من مكان عمل أدي؟ نظرت إلى كاحله ولمحت قطعة بلاستيكية سوداء؛ إنه مُراقب على الأقل.

سألني جيك وهو يخرج الإطار من مكانه: «أنت فيبي، أليس كذلك؟».

ارتبتكت جدّاً عندما سمعت اسمي، وترجعت خطوة وسألته: «مازا؟».

ربما لم يلحظ تراجعي، لأنه كان منكساً رأسه، ولكن الأمر لم يكن يهمني إن ظنني وقحة، أو خائفة منه. فأنا لم أكن أخاف منه، أو على الأقل لا أخاف منه بوجود والدته، سألني وهو يثبت الإطار الاحتياطي: «أنت فيبي لوتون، أليس كذلك؟ أتذكري؟ أتذكري؟ من مدرسة بايفيو الثانوية».

قلت في سري: كلا، أنت لا تذكري لهذا السبب، أنت تذكري من البرنامج الذي كنت تروي فيها أخباراً عن أيامك في السجن. لم تتصرد محاولة تفجير جاريد جاكسون العناوين مثل موت سايمون، لكنها كانت قريبة من ذلك. لم أستطع أن أقول سوى: «أجل».

قال جيك: «سعدت برؤيتك مجدداً»، وبالله عليكم، ما الذي يفترض أن أردّ عليه؟ لا يسعني الرد بالمثل، لكن شكرأ لك على مساعدتي؟ على الأقل انتهت عملياً مما يقوم به، و... كلا، ليس عملياً، لقد انتهى فعلياً. وضع إطاري المثقوب في صندوق السيارة، ووضع الرافعة والأدوات الأخرى بجانبه، وأغلق الصندوق.

قالت والدته بصوت هادئ: «حسناً، كان هذا سريعاً».

حتى الآن لم أكن قد شكرته بعد. بطريقة أو بأخرى، لم أستطع حمل نفسي على شكر جيك ريوردان. شعرت وكأن هذا السيناريو السريالي برمته خيانة لأدي. وأقل ما يمكنني فعله ألا أظهر التقدير للشاب الذي حاول خنقها، و... يا إلهي، بات الاشتان يحدقان إللي، ولم أكن أريد سوى أن يغادرا.

قولي شيئاً يا فيبي. أي شيء.

أخيراً قلت: «علي... علي أن أتعلم طريقة تبديل إطار السيارة».

نظر إلي جيك مطولاً، ولمعت عيناه في الوقت الذي وضع فيه يديه عند خاصرتيه. لم يسعني سوى التراجع خطوة أخرى. ابتسم مجدداً، وهذه المرة كانت ابتسامته موحشة أكثر مما هي ساحرة، وقال: «الأمر سهل يا فيبي. كل ما عليك فعله هو التمرين».

جيـك

قبل ست سنوات

سألني سايمون: «هل ت يريد متابعة اللعب أم ماذ؟».

امتعضت، وانزعجت لأسباب لم أستطع شرحها حقاً. كلا، لم أرد متابعة اللعب. لقد سئمت من لعبة الفيديو التي أمضينا ثلاث ساعات لألعابها. شعرت بالملل وربما الكلمة الأنسب هي أنني لمأشعر بالراحة. إنه الصيف الذي سبق سنتي الأولى في المدرسة الثانوية، كنت أفكّر في أن هناك أموراً في الحياة أكثر أهمية من الجلوس في غرفة المعيشة مع سايمون كيليهـر ولعب ألعاب الفيديـو.

لم يكن الأمر مهمـا في المدرسة الإعدادية، ولكن الأمور تتغير، لم أكن قد بلغت طول والدي، ولكنني أوشكت ذلك، عندما كنت في الصف الثامن، ظهرت مهاراتي الكروية بشكل صارخ، وهذا ما حمل مدربـي على القول إن أـجـرب العمل مع فـريق ثـانـويـة بايفـيوـ. كانت الفتـيات يـنـظـرـن إـلـيـ بشـكـلـ مـخـتـلـفـ، وـحـيـنـ نـظـرـتـ إـلـىـ نـفـسـيـ فـيـ المـرـأـةـ، الـأـمـرـ الـذـيـ تـكـرـرـ مـؤـخـراـ، عـرـفـتـ السـبـبـ. كان وجـهـيـ يـتـغـيـرـ بـطـرـيـقـةـ جـيـدةـ، حـيـثـ كـانـ يـخـسـرـ مـاـ أـسـمـتـهـ وـالـدـيـ، دـهـنـ الـأـطـفـالـ. كـنـتـ أـتـحـولـ إـلـىـ رـجـلـ.

ولـكـنـ ماـذـاـ عـنـ سـاـيـمـونـ؟ـ لـطـالـمـاـ كـانـ سـاـيـمـونـ كـيـلـيـهـرـ الشـابـ القـلـقـ، وـالـمـعـقـدـ، وـالـهـزـيلـ. كـرـهـ سـاـيـمـونـ الـرـياـضـاتـ وـالـحـفـلـاتـ وـالـخـرـوجـ، وـكـرـهـ مـعـظـمـ النـاسـ. فـيـ الشـهـرـ الـمـاضـيـ، لمـ يـكـفـ عـنـ التـذـمـرـ عـنـدـمـاـ أـجـبـرـتـهـ عـلـىـ مـشـاهـدـةـ بـطـوـلـةـ الدـوـرـيـ الـمـصـغـرـ، مـعـ أـنـ كـلـ الـبـلـدـةـ كـانـتـ تـشـاهـدـهـاـ بـسـبـبـ وـصـولـ فـريـقـ مـنـ باـيـفـيوـ إـلـىـ نـصـفـ النـهـائـيـ. كـوـبـرـ كـلـاـيـ، ذـاكـ الفتـىـ الـجـدـيدـ مـنـ مـسـيـسـيـبيـ، رـمـيـةـ لـاـ تـصـدـقـ، وـلـمـ يـحـلـ دـوـنـ وـصـولـ فـريـقـ إـلـىـ النـهـائـيـ سـوـيـ الـأـخـطـاءـ فـيـ الـمـلـعـبـ. أـثـنـاءـ مـشـاهـدـتـيـ لـكـوـبـرـ، لمـ أـسـتـطـعـ إـلـاـ أـفـكـرـ كـمـ هـوـ هـادـئـ وـمـتـزـنـ تـحـتـ الضـغـطـ، وـأـدـرـكـتـ أـنـهـ مـنـ الـمـقـدـرـ لـهـ أـنـ يـكـونـ أـسـطـورـةـ فـيـ ثـانـويـةـ باـيـفـيوـ، هـذـاـ هـوـ نـوـعـ الصـدـيقـ الـذـيـ أـحـتـاجـ إـلـيـهـ.

ولـكـنـنـيـ الـآنـ، عـالـقـ مـعـ سـاـيـمـونـ.

عـنـدـمـاـ فـتـحـ الـبـابـ الـأـمـامـيـ، صـدـحـ صـوـتـ عـمـيقـ وـقـالـ: «ـكـاثـرـيـنـ؟ـ لـقـدـ عـدـتـ»ـ.

أـجـبـتـ صـارـحـاـ: «ـوـالـدـيـ لـيـسـتـ فـيـ الـمـنـزـلـ»ـ.

نظرت إلى الساعة، وفوجئت أنها تخطت السادسة. أعرف في صميمي أنه ما كان يجدر بي أن أفاجأ، فمنذ أن بدأت والدتي العمل، أصبحت تعود إلى المنزل بعد والدي. الآن بعد أن عرفت كم كان الوقت متأخراً، لاحظت أنني أتصور جوغاً وسألت والدي: «ماذا لدينا على العشاء؟».

قال والدي بعد أن أطل برأسه عبر الباب: «اللعنة علىّ إن كنت أعرف». فك ربطه عنقه، ورمى حقيبته على أقرب كرسي. والدي محام فذ، كما تعود أن يقول، وهذا كان دليلي على أنه يجني مالاً كثيراً، بما يكفي لدفع إيجار هذا المنزل وشراء كل بذاته المثالية من أحد متاجر لندن الأسطورية، التي كان يقصدها كلما سافر من أجل العمل، وحرص على الحفاظ على وزنه عند حدين معين حتى يستمر بارتداء بذاته باهظة الثمن تلك. أردف والدي: «ربما بعض الطعام الجاهز. كيف الحال يا سايمون؟ هل ستبقى لتناول الطعام؟».

قال سايمون وهو يقف: «كلا. أنا ذاهب. أراك غداً». أحد الأشياء العديدة التي كرهها سايمون هو إجراء محادثات مهذبة مع البالغين.

قلت بغموض في الوقت الذي غادر فيه سايمون: «ربما».

سألني والدي، وهو ينحني على إطار الباب: «هل تحدثت إلى والدتك مؤخراً؟». كانت نظرة عينيه البنيتين حادة، أما شعره الأشقر فقد غزاه الشيب منذ سنوات، ولا يزال محافظاً على لياقته وهو الذي لعب في دوري رابطة اللبلاب، وكان سريعاً ويسبقني في الجري. كنت معجباً بوالدي، فأنا لم أمر بمرحلة أكرهك التي علق فيها سايمون مع والديه. مع أنني كنت أشبه والدتي، إلا أنني أتصف بسلوكيات والدي وهذا ما جعل الجميع يتذمرون عن مقدار الشبه بيننا. كان دائماً يقول من المثير للاهتمام، مدى سهولة أن تجعل الناس يرون ما تُريد لهم أن يرون.

قلت: «ليس اليوم». في بعض الأحيان كانت والدتي تتفقد أمري، إلا إذا كان لديها الكثير من الاجتماعات.

قال والدي، وهو يُخرج هاتفه من جيبه: «امرأة مشغولة. دعني أر إن كان يجب علينا طلب الطعام الآن أم ننتظرها. ما رأيك بالطعام الفيتامي؟».

«إنه جيد بالطبع».

تمتم والدي وهو ينقر على هاتفه: «لا أعرف لم تحملنا عناء تجديد المطبخ، مع أننا قلماً استخدمناه مؤخراً».

كنت أعرف السبب، لأنه بدا رائعاً. حاله حال بقية المنزل. عندما وقّع والدي عقد شراكة مع مكتب المحاماة منذ بضع سنوات، انتقلت العائلة للعيش في الشارع الذي كان يحلم به لسنوات. حيث كان يقول في كل مرة يقود فيها هناك: «جاده ويلينغتون. تلك هي الأفضل على الإطلاق».

كانت والدتي تبتسم مُعظم الأوقات، ولكن بين الفينة والأخرى، كانت تتعصّب وتقول: «منزلٌ كبيرٌ جدًا».

ولطالما ردّ والدي: «لا وجود لمثل هذا الشيء».

وافقته الرأي. فمن لا يريد خمس غرف نوم إضافية وغرفة ألعاب وذلك النوع من القبو الجاهز الذي لا يمكن رؤية مثيل له في هذه المنطقة، وفناءً خلفياً هائل الحجم مع مسبح مثالى الإطلالة؟ الآن لم يعد يحتاج إلا إلى نوع الأصدقاء المناسبين للاستمتاع بالسبح.

والحبيبة المناسبة.

فجأة، عبس والدي وهو يتكلّم على الهاتف. سأّل: «من معك؟ حقاً؟ وأنت تجيب على هاتف زوجتي بسبب...؟ أجل. من فضلك قم بهذا». ثم توقف، وأكمل: «كاثرين؟ هل ستنضمّين إلينا في المنزل في وقتٍ قريب؟».

بحثت عن سمعاتي، أوصلتهما بهاذهبي، وشغّلت الموسيقى. لم أحب الاستماع إلى والدي عندما يتكلّم بهذه الطريقة، ومؤخّراً، كثيراً ما تحدث بهذه الطريقة مع والدتي.

قررت أن أفضل ما أستطيع القيام به، هو تجاهل ما يحصل. لأنه إن لم يسمع المرء شيئاً أو يرى شيئاً، فما من سبب يجعله ينزعج.

الفصل السادس

٣٧

الجمعة، 3 تموز

سألت سانا: «هل الجميع موافقون؟». رفع كل زملائي أيديهم إلا أنا، فحُسم الأمر، ولكن تمسك سانا بالأنظمة جعلها تُكمل: «هل من معترض؟». فرفعت يدي.

عَيْنَتْ سانا نفْسَهَا مُتَشَرِّفَةَ عَلَى الْمُتَنَزِّلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ عَلَيْهَا هُنَا سَوْيَ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ. نَظَرَتْ إِلَيْيِّ ثُمَّ إِلَى الْفَتَاهِ الْجَالِسَةِ بِجَانِبِيِّ عَلَى إِحْدَى الْأَرَائِكِ فِي غَرْفَةِ مُعِيشَتِنَا. وَقَالَتْ: «بِرْوَنْوَينْ، أَنْتَ لَا تَقْطُنِينِ هُنَا، لَا يَحْقِّقُ لَكَ أَنْ تَصْوُتِي».

قالت برونوين بتحدى وهي ترفع يدها أكثر: «ومع ذلك لا أزال معرضة».

قالت سانا وهي تنقر ببرامجها على طاولة القهوة: «علم، قبل اقتراح السماح لريجي كراولي بالبقاء في المنزل».

استقامت برونون في جلستها، الأمر الذي لم أكن أظنه ممكناً فزيائياً، وقالت: «أنتم ترتكبون خطأ فظيعاً».

فركت فكي وأنا أنظر إلى زملائي. كنت أعرف أننا سنخسر القضية، لكن ما يميز الوجود رفقة برونونين روخاس، أنه لا يتسعى للمرء تجاهل

المواقف السيئة. يجب على المرء فعل شيء، حتى وإن كان عديم الجدوى.

ثم يتوجب عليك الاستمرار بالحديث عن الأمر. أكملت برونوين: «بقبولكم ريجي في المنزل أنتم تعرضون أي شخص يدخله للخطر».

قال جياهاو وهو يبعد خصلة من الشعر الأشقر عن جبينه: «يقول ريجي إن الفتاة تعرف بأمر الفيديو بأي حال».

قلت ممتعضًا: «وهل تُصدقه؟».

هزّ جياهاو كتفيه وقال: «بعض الناس يحبون هذا النوع من الأمور. لا أحد يعرف حقًا».

سألت برونوين: «وماذا عن الناس الذين ذهبوا إلى المدرسة الثانوية رفقة ريجي ويعلمون كل شيء عن طريقة عمله المرعبة؟ إنه لا يهتم بأمر المواقفة. ثق بي، لا تملك تلك الفتاة أدنى فكرة أنها كانت تصوّر، ومن المؤكد أنها لا تعرف أنه شارك الفيديو».

لهذا السبب نحن هنا. الأسبوع الماضي دخلت ورأيت ريجي يعرض شريطًا جنسياً أمام جياهاو وزميل آخر يدعى ديكون. لقد كانا مصعوقين، ولم يأبهما كثيراً بمصدر حصول ريجي على التسجيل ولا بالطريقة. لكنني كنت أعرف.

دخلت غرفة ريجي مباشرة، أغلقت الباب والستائر، واستخدمت ضوء هاتفي بحثاً عن أي شيء يعكس الضوء، فتبين لي أن الكاميرا كانت مدمجة على ساعة المنبه. حطمتهما، ولكن ذلك ما كان سيمنعه من الحصول على واحدة أخرى، أضف إلى ذلك أن طرده من المنزل لن يحل المشكلة، ولن يعود في النهاية كونه ردد فعل.

سألت برونوين: «ألم يشاهد أحدكم حساب كاترينا لوت على تيك توك؟».

بدت نظرات الجميع خاوية، لم يذهب أحدٌ من زملائي إلى ثانوية بيفيو سوي ريجي، وهو المكان الذي ذهبت كاترينا إليه أيضًا. تخرجت في السنة ذاتها التي تخرجت بها أنا وبرونوين، وشاركت من دون علمها في أول شريط جنسي لريجي. لم تتحدث كاترينا عن الأمر وقتها، وانتقلت بعد التخرج لتعيش في بورتلاند. ولكن منذ بضعة أشهر، نشرت فيديو يشرح مقدار الأسى الذي

شعرت به جراء الشريط المسجل. لقد شاهده كل من كان في ثانوية بايفيو، وهذا ما زاد بغضي لريجي.

قالت برونوين: «عليك مشاهدته، سأرسل لك الرابط».

قالت سانا: «حسناً، ولكن الآن... سنسير برأي الأكثريّة».

لقد صوّتت سانا لصالح بقاء ريجي لأسباب مالية، ولكنها لم تُصرّح بذلك، فليس من اليسير إيجاد زملاء سكن جدد في تموز، خصوصاً في شقة كهذه تفتقر إلى التكييف وغرفها صغيرة ومزدحمة. إن طرد ريجي، سيزيد الأجر على الجميع بمقدار مئة وخمسين دولاراً، ووضع سانا المادي أسوأ مني ولا تعتبر أوضاع جيابا وديكون وكريستال أفضل. لا أحد في المنزل يحصل على مساعدة من عائلته.

أو بالأحرى يُمكّننا القول لا نقبل المساعدة. كل شهر ترسل لي والدتي شيئاً، ولكنني أتركه جانباً لأعيدها لها في حال ساء وضعها، واضطررت للخضوع هي أو والدي لإعادة التأهيل مجدداً.

نهض ديكون الذي يبلغ طوله سبع أقدام تقرّباً عن كرسيه متثائباً، وتبعه الجميع باستثنائي وبرونوين وسأل: «هل انتهينا؟».

قلت متذمراً: «أنتم مقرفون يا رفاق».

هزّ ديكون كتفيه وقال: «ريجي أحمق، ولكن ما الذي يُمكّنك فعله؟».

شهقت يائساً وقلت: «لا أعرف يا ديكون. هل نطرده؟».

مشت سانا ببطء في الممر بين غرفة المعيشة والبهو في الوقت الذي خرج فيه باقي الزملاء.

مسحت تنورتها القطنية الباهتة الأرضية، والتي كانت تُمسح للمرة الأولى تقرّباً. بدت سانا مثل مغنية شعبية قديمة تقرّباً، بملابسها الفضفاضة وولعها بوضع عصابة الرأس على جبينها. إنها تعزف على القيثارة، بشكل سيئ، ولا تعرف سوى أغنية واحدة. بعد سنواتٍ من الآن، سأتذكر هذا المنزل كلما سمعت أغنية «وقت من حياتك» على الراديو.

قالت: «من الآن فصاعداً سيكون ريجي مضطراً للتصرف على نحو جيد، خصوصاً في احتفال الرابع من تموز غداً، ستبقى أبواب غرف النوم مفتوحة طوال الوقت».

قلت بتهكم: «يا لها من طريقة لتطبيق القانون يا سانا، سيفي ذلك بالغرض».

قالت سانا وهي تصعد إلى الأعلى: «سيفي ذلك بالغرض. ثق بي».

تمتمت برونونين حين ابتعدت عن الأنطار: «ربما تعرف من دون أن أقول، ولكنني لا أثق بها».

لم أستطع قول شيء، ولكنني اكتفيت بالتأوه تعبيراً عن امتعاضي. شعرت بالضيق نفسه الذي شعرت به في نادي بايفيو الريفي، وكأن كل الهواء قد سُقط من الغرفة بسبب فكرة واحدة مسمومة، بعض الأمور لا تتغير إطلاقاً. جيك ريورдан في البداية، والآن ريجي. ما فائدة القيام بالشيء الصحيح في ظل عدم اكتراث هؤلاء الحمقى، وحصولهم على ما يريدون بأي حال؟

قالت برونونين: «لم ننته بعد، علينا معالجة الأمر من منظور آخر»، قبل أن تنظر نحوي، حقا، وأضافت: «على فكرة، يجب أن لا يحدث الأمر في هذه الثانية بالتحديد».

كدت ابتسم بسبب ما تفوهت به، وقلت: «لا تخبريني بأن برونونين روحاً أصبحت لطيفة».

التفتت نحوي ووضعت قدميها في حضني وقالت: «بالطبع لا، ولكنني أصبحت أعرف متى يجدر بي أن أهدا، بإمكاننا الحديث عن شيء آخر. مثل... ذلك الفيلم الذي كنت تتوسل إليّ لمشاهدته».

سألتها: «أونيبابا؟». حتى الآن لم أستطع تحويل برونونين إلى معجبة بأفلام الرعب اليابانية، ولكن هذا لا يعني أنني توقفت عن المحاولة؟

«ذاك هو المقصود. إنه قديم، أليس كذلك؟».

«أجل، إنه من الستينيات».

رفعت يدها لتلعب بشعرى المنسدل على رقبتي وقالت: «كم هو دموي؟».

خف توتي قليلاً وأنا أرسم دائرة بإبهاامي على ركبتيها ثم قلت: «أقل من المعتاد».

«من الجيد معرفة ذلك».

«أضيفي إلى ذلك، أن النساء هنّ من ينفذنَ معظم عمليات القتل. ستحبّينَ ذلك.».

انحنت برونونين لتطيع قبلة على خدي، وتمّت: «أجل، سأحب ذلك». فلم يسعني سوى البدء بالضحك.

قلت: «هذه أكثر محاولات الإلهاء وضوحاً على الإطلاق».

قبلت برونونين خدي الآخر، ثم انزلقت شفتها على رقبتي. سألت بصوت مرد: «وهل أنت منزعج من الأمر؟».

بمجرد أن جذبها نحوّي، اختفت كل السلبية من أفكاري. قلت قبل أن أخفض فمي ليقابل فمها: «بالطبع لا». ذاب جسدها على جسدي، منسجماً بأماكن نسيت وجودها حين لم تكن بجانبي. دفعتها نحو الوسائد وقبلتها بشدة أكثر، وانزلقت يداي تحت قميصها، إلى أن قهقهت.

قالت وهي تضبط النظارة التي انزلقت إلى منتصف أنفها: «ليس هنا». كان شعرها مبعثراً، وخداتها متوردين. إنها تبدو فائقة الجمال. أكملت: «إنها مسألة وقت فحسب قبل أن تعود إحدى زميلاتك».

سألتها مفعماً بالأمل: «هل نذهب إلى غرفتي؟».

قالت: «سأقابل مايف في غضون عشر دقائق».

«هذا الوقت أكثر من كافٍ».

و قبل أن تتسنى لنا الفرصة للتحرك، رنّ جرس الباب. صرخ ديكون من المطبخ: «أنا لا أنتظر أحداً!». تحركت برونونين ووقفت بتردد، وقلت لها وأنا أتجه صوب الباب الأمامي: «لا بأس بتسع دقائق ونصف».

توقعـت أن يكون الطارق عـامل توصـيل من شـركة فيـدـإـكـسـ، وربـما أحـد الأـشـخـاـصـ الـذـيـنـ تـقـرـأـ لـهـمـ كـرـيـسـتـالـ حـظـهـمـ بـالـتـارـوـ، وـلـكـنـ لمـ يـكـنـ أيـ مـنـهـمـ هـوـ منـ يـقـفـ أـمـامـ الـبـابـ. قـلـتـ وـأـنـاـ أـفـتـحـ الـبـابـ عـلـىـ مـصـرـاعـيـهـ: «أـهـلـاـ يـاـ أـبـيـ، كـيـفـ الـحـالـ؟ـ».

كان يحمل عـلـبةـ كـرـتـونـيـةـ بـإـحـدـيـ يـدـيـهـ وـدـفـعـ بـهـاـ نـحـوـيـ وـقـالـ: «مـرـحـبـاـ يـاـ نـيـتـ، ظـهـرـ مـسـحـوقـ السـحـالـيـ الـخـاصـ بـكـ فـيـ الـمنـزـلـ».

منذ العام الماضي، بدأت بنشر مسحوق الكالسيوم فوق طعام ستان، بناء على نصيحة برونوين، والتي يبدو أنها مفيدة له، وما زال المتجر الإلكتروني الذي أشتري منه يحتفظ بعنوانني القديم. معظم المرات، أنسى التتحقق من المربع الصحيح حين أقوم بالطلب. قلت وأنا أخذه: «أعتذر، كنت أستطيع المرور عليك لأخذه فحسب».

قال والدي بخشونة، وهو يتکئ على إحدى قدميه: «يقع منزلك على طريق عملِي».

هذا غير صحيح، فهو يعمل بالصيانة في ثانوية بايفيو ومنزلي ليس قريباً من هناك أبداً، ولكن تغاضيت عن الأمر، وأنا أدعوه للدخول. لقد فقد كثيراً من الوزن منذ أن أقلع عن الشرب، وعملياً بات قميصه الباهت وبنطاله القديم فضفاضان عليه. أعرف أن والدتي اشتترت له كثيراً من الملابس الجديدة، ولكنها في الشهر الماضي انتقلت من المنزل، لذا، ما عاد أحد الآن يلح عليه ليرتديةها. نظرت بشكّل تلقائي إلى يديه، وبحثت عن نوع الورم الذي سيخبرني أنه انزلق، ولست متأكداً متى سأتوقف عن البحث عنه.

سألته، وأنا ممتعض من خسارة ثمانية دقائق من الوقت الذي كنت سأمضي مع برونوين: «هل ستدخل؟». لا ألوم والدتي على الانتقال من المنزل، فلا يبدو الآن أن زواجاً حقيقياً يجمع بينهما، لقد أمضت أكثر من سنة في مساعدة والدي على الوقوف على قدميه وتحطّي إعادة التأهيل. إنها تستحق أن يكون لها حيزها الخاص، فلا يبدو أنها تستطيع دائمًا حمله على الإلقاء عن الشراب. فلا أحد يستطيع أن يساعد إله إن لم يساعد نفسه، لكنه لم يتعود العيش وحيداً، لذا دائمًا ما يختلق الأعذار ليزورني.

قال والدي: «كلا، لا بأس. أنت مشغول»، قبل أن ينطر أعلى كتفي ويکمل: «مرحباً يا برونوين، سعدت برؤيتك».

وقفت برونوين إلى جنبي، وقد رتبت شعرها في تسريحتها المعتادة. لا أعرف متى بدأت تنادي والدي باسمه الأول، ولكن لا يبدو أن الأمر يزعجه. قالت: «أنا أيضًا يا باتريك، كنت في طريقني للخروج لكن رؤيتك تسعدي. كنت أتمنى أن آتي ونیت الأسبوع القادم وتحضير العشاء لك؟ أعطتني جدتي وصفة جديدة لحساء السانوتشو وأنا متحمسة لتجربتها، إن كنت ستسمح لي بالتجربة عليك».

ارتسمت ابتسامة على وجه أبي المتعب، وللحظة، رأيت ما الذي تعنيه أمي حين تقول أنتما متشابهان كثيراً. أضاف وهو ينطر إلى متفائلًا: «أود ذلك

كثيراً. في أي ليلة يكون فيها نيت غير مشغول».

مرة أخرى، حبيبي أفضل مني بـمليون مرة كإنسان، لأن تلك الدعوة كان يجب أن تصدر مني.

قلت: «ربما الأربعاء».

قالت برونوين: «ممتاز».

قال والدي: «إنني أنتظر مساء الأربعاء بفارغ الصبر». ثم تراجع خطوة وكأنه سيعهم بالرحيل، لكنه لم يرحل، وبدلًا من ذلك، سأله: «اسمع يا نيت... هل أنت واثق من أنك لم تأخذ مفاتيحي بالخطأ؟». وأكمل قبل أن أعترض: «ليس مفاتيحة المنزل، فقد وجدتها في المكان الذي قلت عنه. أقصد مفاتيحة العمل، فلا أستطيع العثور عليها».

قلت والشك يعتريني: «أنا متأكد». أخيراً، شفي ظهر أبي بالكامل بعد أن أصيّب وهو يعمل بالتسقيف منذ سنوات، وهو خبر رائع. وبناء على ما تقدم، لم يعد مؤهلاً للحصول على مساعدة الإعاقة، لذا عليه التمسك بعمله. وإنما أضطر ووالدي إلى العمل من أجل دفع فواتيره، وذلك يعني أنه يجب على الحصول على عمل ثالث، ...».

شبكت برونوين ذراعها بذراعي وضغطت بطف لطمأنني. وكنت أستطيع تخيل أنها تقول كل شيء على حدة، وهي ترني متها التي تقولها في كل مرة تقاد تقلب كل الأشياء التي أحاول فعلها فلي آن على رأسي. سأله: «ربما تركتها في العمل؟».

قال والدي مرتاباً: «لا أظن ذلك، ولكنه احتمال وارد. كما تعرفان... إنني أصبح مشوشًا بين الحين والآخر؟».

قلت له: «أجل، أنا أعرف، عليك إعادة تتبع خطواتك. هل تريدين أن أساعدك في البحث؟». لست متأكداً بما سيفيده ذلك، ولكن لدى ساعه من الوقت قبل أن أضطر للعودة إلى النادي الريفي.

وضع والدي السوار المطاطي على معصميه. أخبرته والتي بأن عليه وضعه في كل مرة يشعر فيها بالتتوتر، والآن أصبحت تلك عادةً بالنسبة إليه. وقال: «كلا، لا داعي لذلك. ربما لا تريدين أن تكون قريباً من مدرسة بايفيو الثانوية اليوم. أو في أي يوم، لفترة من الوقت».

لم تعجبني النظرة التي اعتلت وجهه، فسألته قلقاً: «ولم لا؟». إن كان يخزن زجاجات ال威سكي في العمل، فسأود لو كنت أستطيع قتله.

قال والدي: «ذاك الفتى... إنه يتمرن هناك أحياً. رفقة صابط الإفراج المسؤول عنه. أظن أنه هو. شاب يشبه شرطياً».

أظن أن دماغي يعاني من بعض التشوش، لأن برونوين فهمت مقصده أسرع مني بكثير. فقالت وهي تضغط على ذراعي: «جيءك ريورдан؟ هل أنت جاد؟ ولم سمح له بالاقتراب من ثانوية بايفيو؟».

قال والدي: «إنه يستخدم الحقول، أظن أنه حصل على إذن من المحكمة، إنه يستطيع الركض هناك لعدة أميال، ولكن لا يُسمح له بالدخول إلى الأماكن المبنية أو أي شيء».

قلت بمرارة: «يا للهول. كل هذا فقط من أجل إيقائه تحت السيطرة». إن محاولاتي عدم التفكير بأشخاص مثل ريجي وجيك تذهب سدى، لأن الناس يسمحون لهم بالعودة.

قال أبي وهو يعاود العبث بسواره المطاطي: «أجل، أعلم أنني لم أكن موجوداً كثيراً حين حصل كل شيء، ولكن... في الحقيقة لا أحب رؤية ذلك الفتى هناك، ولا في أي مكان».

الفصل السابع

أدي

السبت، 4 من تموز

أخصص بعض أيام السبت للاسترخاء، وببعضها الآخر للعلاقات الاجتماعية، أما هذا السبت الرابع من تموز فخصصته لمرافقة والدتي وأختي الحامل إلى مركز تسوق بايفيو، كانتا تتناقشان بخصوص رفض أشتون دفع ثلاثة آلاف دولار ثمن مهدٍ على شكل حجيرة طيران من متجر شائع للأطفال يُدعى لو بيتيت آنج.

قالت والدتي، وهي تمزّر يديها على الخشب الفاتح الأملس: «ولكن يا أشتون، انظري إليه، إنه في غاية الأنقة. لم يكن لديهم شيء كهذا حين ولدتما أنتِ وأدي».

قالت أشتون: «إنه يبدو مثل سرير تسمير مصغر».

نقرت بأصابعها على واجهة الأكريليك الشفافة، والتي نقشت عليها نجومً بواسطة الليزر. قلت: «أو طبق سلطة كبير جدًا»، فقهقت. ذكرت مجلة بايفيو بليد عن متجر لو بيتيت آنج أنه «المتجر الذي يقصده أكثر آباء بايفيو المهتمين بالموضة والأشياء الرائجة»، أي تقريرًا من هم عكس أشتون وإلي.

حاولوا إخبار والدتي بذلك.

قالت والدتي متذمرة: «أنتما لا تملكان رؤية». ارتدت والدتي أجمل الملابس من أجل رحلة التسوق هذه، بنطالاً أبيض ضيقاً وقميصاً مطبعاً وانتعلت حذاء ذهبياً، ويجب أن أعترف بأنها تبدو رائعة الجمال. وكذلك ارتدت أشتون، فستاناً أزرق شاحباً يُظهر بطنها المنتفخ. أما أنا فكنت سبباً بانخفاض مستوى أناقتنا لأنني ارتدت قميصاً وشورت كافيه كونتيجو القصير، وكان شعري ذو الخصلات الأرجوانية مشدوداً إلى الخلف بمشبك شعر على شكل زهرة. والذي يبدو أنه ارتحى، لأن والدتي مددت يدها لتعيد شدّه قبل أن تصيف: «كما يمكن تحويله ليصبح سرير أطفال فائق الجمال».

قالت أشتون، وهي تنظر إلى الصورة اللامعة بجانب المهد: «لا قصبان لهذا السرير، سيقع الصغير على الفور».

لَوَّحت والدتي بيدها ذات الأظفار الملونة وقالت: «أنا واثقة من أنك تستطعين شراء تلك القصبان بشكلٍ منفصل».

تمتّمت أشتون في سرها: «بألف دولار أخرى».

«على الأقل فكري في الأمر، سأذهب لمعاينة الكراسي العالية».

نظرت أشتون إلى والدتي وهي تشق طريقها عبر الملابس المعروضة وهي تتجوّه إلى القسم الخلفي من المتجر. قالت متنهدة: «لا أريد أن أفتر قلبها وأخبرها بأننا سنحضر مهداً من قريب إلى».

«إنها تعرف أن من المستحيل أن تنفقي ثلاثة آلاف دولار على مهدي للصغير، كل ما في الأمر أنها تريد أن تختبر تجربة أن تكون جدة شغوفة في مثل هذا المتجر، كل ما عليك فعله لإيقائها سعيدة هو شراء شيء صغير مثل...»، ونظرت إلى الرف بجانبنا قبل أن أمسك بمجموعة ملابس للنوم طبعت عليها رسوم فيلة بيضاء ورمادية وأكملت: «ملابس النوم هذه».

بدا الهدوء على ملامح وجه أشتون حين مددت يدها، قبل أن تجحظ عينها عندما قرأت السعر على البطاقة. وقالت: «إنها رائعة، وسعرها ثلاثة دولارات». فأعادت الملابس إلى الرف وأردفت: «إن لوازم هذا المتجر ليست مخصصة لمصممي الجرافيك الذين يعملون عن بعد والمحامين الذين لا يتroxون الربح».

«بالحديث عن ذلك...».

قالت أشتون بسرعة: «لا شيء جديد». إنها تعرف ما الذي كنت سأ قوله، وأأمل أن تُقدّر حقيقة أنني انتظرت لأكثر من ساعة لأسأل إلي عن أي مستجدات بخصوص جيك. لم أره منذ أن أطلق سراحه، لأنني حفظت أين يُسمح له بالذهاب وتأكدت من أن أبقى بعيدة. فمركز تسوق بايفيو، على سبيل المثال، مكان آمن. «ليس حين يتمحور الأمر عنه، على الأقل». لا تتفوه شقيقتي باسم جيك متى استطاعت. وكان صوتها متوتراً قليلاً، لذا سألتها: «ولكن هناك شيء؟».

نظرت أشتون إلى الخلف، إلى حيث كانت والدتي مشغولة بمعاينة الكراسي العالية والتي تبدو وكأنها صغيرة، والسلام باهظة الثمن. فقالت بسرعة، وهي تعاين التعبير العشوائي الذي ارتسم على وجهي، والذي كان الهلع على الأغلب: «أجل. ربما. لا علاقة لك بالأمر، لكن إلي قلق لأن... هل تتذكرين لوحة الإعلانات التي ظهرت منذ أسبوع في شارع كلاريندون؟ تلك التي تتحدث عن لعبة جديدة؟».

كانت والدتي متأكدة من أنها نوع من التكتيك للتسويق لدوري البيسبول الصيفي الخاص بكوبر. ورفضت التأثر بحجي المضادة بأن لعبة البيسبول ليست لعبة جديدة، وتملك أكثر من قاعدة واحدة. قلت: «أجل، بالطبع. لماذا يشعر إلي بالقلق؟».

«حسناً، انزعج كثير من الناس من أمر لوحة الإعلانات تلك. شعروا بأنها حملة غير حساسة بشكل رهيب، بالنظر إلى ما حصل مع براندون وجاريد منذ بضعة أشهر. وكان إحدى الشركات تحاول الاستفادة من سوء السمعة، مع أنه كان من الصعب معرفة هويتها أو ما الذي تحاول بيعه. لذا، اشتكتي الناس لوكالة الإعلانات التي تُدير اللوحة، وتبيّن...» توقفت أشتون قليلاً بينما عبر أبو متوسط العمر يدفع عربة مزدوجة من جانبها ثم أكملت: «تبيّن أن اللوحة الإعلانية كانت مُخترقة».

كرّرت متسائلة: «مُخترق؟».

«أجل، فهي رقمية كما تعلمين، تُديرها الشركة، وبطريقة ما، تمكن أحدهم من الولوج إلى نظامهم وغير الإعلان. أعادته الوكالة إلى حالته الطبيعية، وهم يحقّقون بالأمر، لكنهم لا يملكون أجوبةً بعد. ربما كانت مجرد دعاية سمية، ولكن...» مدت أشتون يدها لتمسّد الكم الناعم من ملابس النوم المُطبعة برسوم الفيلة وأكملت: «إلي قلق من أن يكون الفاعل أحداً من منتدى الانتقام. كما تعلمين، بحيث يُكمل ما بدأه جاريد».

شعرت بانقباض في معدتي وقلت: «يا إلهي». كان جاريد عضواً في موقع إلكتروني فرعي من موقع ريدت باسم الانتقام ملكي، والمستوحى من سايمون والمليء بالناس الغاضبين والحاقدين. بعد أن اكتشفت إيماء أن براندون كان سبباً في وفاة والدها، وجدت طريقة للولوج إلى الموقع وبدأت بمواصلة جاريد. والباقي، للأسف، هو تاريخ بايفيو، بما في ذلك ملاحقة زوجي شقيقتي من قبل إرهابي.

كذلك الأمر بالنسبة إلى شقيقتي. لم يكن بيدي حيلة، نظرت إلى بطن أشتون، فوضعت يدها عليه بشكل فطري. وقالت بسرعة: «لم يتلق إلي أي تهديدات، وليس هناك دليل على أن أحداً يستهدفه مباشرةً، ولكنه قلقٌ بما يكفي لأن يكون هناك لجنة في مكتبه للبحث في الأمر».

سألت: «وكيف سيبحثون في الأمر؟ فقد أغلق موقع الانتقام ملكي».

قالت أشتون: «أجل، ولكنك تعلمين كيف هي تلك الأمور. إنهم يمتلكون تسع حيوانات. بمجرد أن تسلبهم واحدة، تظهر في مكان آخر وبهيئة مختلفة».

إنها محققة بالطبع، لكنني كنت آمل ألا نضطر للتعامل مع إرث سايمون مجدداً. قلت: «يجب أن تعلم مايف بالأمر، فهي تملك براءة في...».

رفعت أشتون يدها لتقاطعني وقالت: «لا يُريدها إلي أن تتدخل».

قلت وأنا أشعر بالتوتر في حلقي: «بالله عليك، يجب عليه التوقف عن التفكير بتلك الطريقة. فلولا مايف ونوكس، كنا جميعاً أمواتاً!».

قلت الكلمات الأخيرة بصوت مرتفع نوعاً ما، فنظرت إلينا امرأتان أنيقتان تبحثان في رف الملابس. مشت أشتون بهدوء وتبعتها وفي النهاية تمنت: «صمتاً، أعلم ذلك، لكنهم مجرد مراهقين. لا يزالون في الثانوية. إن كان هناك شيء يحدث حفاظاً على نسخة لسايمون وجاريد، فليس من الآمن أن ينخرطوا بالأمر».

اعترضت قائلة: «الأمر ليس آمناً بالنسبة إليك يا أشتون، يجب عليك الذهاب والبقاء عند والدي في شيكاغو».

توقعّت منها أن تعترض، لكنها ابتسمت مستهزئة وقالت: «هذا ما قاله إلي».

«حسناً اذهب! اذهب! غداً».

قالت: «لا أستطيع، حسناً أستطيع ولكنني لا أريد أن أذهب. حياتي كلها هنا يا أدي. زوجي هنا، وهو يقوم بعمل مهم يجعله أحياناً يقابل أناساً يائسين، وإن غادرت في كل مرة يحدث فيها أمر كهذا...».

«ستكونين بأمان أنت والطفل». انعقد لسانني حين فكرت في أمر المغلف الموجود في غرفتي والذي لم أفتحه بعد: الطفل كلينيفيلتر برينتس.

قالت أشتون: «لا أراك تهربين إلى والدك».

فكرت في الأمر لبرهة. تواصلت معي زوجة أبي، كورتني، ودعنتي للذهاب إليهما عندما ظهرت أخبار جيك. بدت لفتها تلك في غاية اللطف، لكن بالكاد تعرف إحدانا الأخرى، ولم أتخيل نفسي أعيش طيلة شهر في المدينة داخل شقة برفقة والدي وكورتني وأطفالها.

«هذا مختلف».

«وكيف ذلك؟».

«أولاً، أنا لست حملاً مثلك!».

دائماً ما تكسر أشتون وهجنا بابتسامة حزينة. قالت: «أعتذر يا أدي. خضت في هذا الحديث بشكل خاطئ. لقد أخفتك، ولم أقصد ذلك. إلي يتصرف من مُنطلق الحذر، اتفقنا؟ سيُكون كل شيء على ما يرام».

بحثت عن والدتنا، التي وصلت إلى نهاية معرض الكراسي العالية وقلت: «لا يمكنك أن تتأكد من ذلك تماماً. هل والدتي على علم بذلك؟».

«لا، لن أخبرها قبل أن يصبح لدي معلومات وافية».

تممت: «لا أظن أنها ستقلق».

قالت أشتون بصوت منخفض: «أنت تعرفين أن جيك يشعرها بالسوء، صحيح؟».

«أتقصدين بشأن إطلاق سراحه؟ جميعدنا نشعر بالسوء».

«لا أقصد هذا، بل لأنها شجّعت تلك العلاقة في بادئ الأمر».

دُهشت! فمنذ بضع سنوات كانت والدتي أكثر المعجبين بجيك، لدرجة أنها جعلتني أشعر بأنني محظوظة لأنني أرافقه، وأن علي القيام بأي شيء

للحفاظ عليه. لطالما فكّرت على هذا النحو، حتى قبل أن أبدأ بالموعدة، شجعني لكي أكون أجمل وأكثر نسخة مرغوبة ومحبوبة من أديلايد برنتيس. بذلت قصارى جهدي لأبدو مثالىة عندما كنت في السابعة عشر من العمر، ولم تكن لدى فكرة عما كنت عليه في الحقيقة. وربما كنت سأبقى كذلك، لو لم يفرق سایمون بيني وبين جيك. حينها، عندما هاجمني جيك وألقي القبض عليه، بذلت والدتي رأيها، وأصبحت تتصرف وكأنها لطالما كرهته.

قلت: «لم يسبق لك أن أخبرتني بذلك». لا يبدو أنني أتحت لها الفرصة الكافية. فقد انتقلت للعيش رفقة أشتون بأسرع ما استطعت بعد كارثة جيك، والآن بعد عودتي إلى المنزل، بالكاد أملك فيه.

تنهدت أشتون، فامتعضت. ثم قالت: «عليكما التحدث حًقا. امنحها فرصة يا أبي. هل أخبرتها عن كيلي؟».

«بالطبع لا». أنا لا أتحدث مع والدي عن حقيقة مشاعري منذ سنوات، وخصوصاً أنني لم أفهم حتى الآن حقيقة مشاعري.

«حسناً، ربما يكون ذلك شيئاً مناسباً للبدء به. إنها...».

تمتّمت في الوقت الذي كانت فيه والدتنا تقترب منا وهي تحمل علّاقة فائقة الصغر بحيث لم أعرف ما ُغلق بها: «إنها قادمة». عندما اقتربت، عرفت أنه حذاء صغير للأطفال عاجي اللون مع أنسوطةين من الساتان وفروٍ مقلدٍ في الأعلى. آمل أن يكون مقلداً على الأقل.

قالت والدتي قبل أن تتجه إلى صندوق المحاسبة: «سأشتري هذا لك». لمحت وهي تمر بجانبي بطاقة السعر، لقد كتب عليها خمس وسبعون دولاراً. كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ.

قالت لها أشتون: «شكراً لك!». ثم التفت إلىي، ورسمت على شفتيها ابتسامة مفادها حان الوقت لتغيير الموضوع. «ربما علينا أن نمنح والدتنا بعض الأفكار حول المكان الذي يجب علينا التوجه إليه للعشاء قبل أن تجرنا إلى ذلك المكان حيث تُسمى كل المقربات على أسماء المشروبات».

قلت لها وأنا أخرج هاتفي من حقيبتي: «فكرة جيدة. وبعدها، عليّ أن أحضر الرقائق من أجل حفلة نيت الليلة». إنها مشاركتي نيابة عنه، كونه يرفض المشاركة بأي شيء من تلقاء نفسه. «دعيني أر ما النوع الذي يريد».

«حسناً، سأقابلك عند صندوق المحاسبة».

فتحت قائمة اتصالاتي، لكنني لم أتوقف عند اسم نيت، لأنني أعرف تمام المعرفة أنه لا يهتم مطلقاً بنوع الرسائل التي يجب عليّ شراؤها. في الواقع، كانت آخر رسالة أرسلها لي تقول لا تزعجي نفسك، إنهم لا يستحقون ذلك. فبدلاً من ذلك، بدأت بكتابة رسالة جديدة إلى مایف:

أريدك أن تبحثي بأمر شيء من أجلي.

الفصل الثامن

فيبي

السبت، 4 تموز

فِكِّرْت قبل التوجه إلى الحفل الذي يقيمه نيت بمناسبة الرابع من تموز أنني سأتحي جانباً كل شيء كان يقلقني، وأستدعي المرح. أما الآن، فلا يسعني التوقف عن凝 النظر إلى الزر على قميص نوكس.

إنه يرتدي قميصاً أزرق اللون مطوي الكمين، والزر الثاني من الأعلى نصف مزرك. لو لم أكن أبالغ في تحليل كل رد فعل لي تجاهه، كنت سأمد يدي لأصلحه له. ولكن هل مثل هذا الأمر مسموح في العلاقة الجديدة التي تربط بين نوكس وفيبي؟ خصوصاً وأن يديّ ربما ستبقىان هناك، لمسح الوبر الخيالي وتقويم الياقة التي لا تحتاج إلى تقويم. في الواقع، ربما كان الزر مجرد عذر؟

سأل نوكس: «فيبي. هل سمعتني؟».

أجبته مندهشة أنا وأدي التي تبدو مذهلة بفستانها وردي اللون، وشعرها المصبوغ مؤخراً، بلون أرجواني لامع يجعل وجهها متوجهاً: «ماذا؟ المعدرة، كل ما في الأمر...». نظرت إلى الزر مجدداً، ومددت يدي إلى صدر نوكس بحركة إيمائية. وأكملت: «فاتك أحد الأزرار. في الواقع، فاتك نصفه».

نظر نوكس إلى الأسفل، وأعطاني كأس جعة الزنجبيل التي يحملها، وأصلاح زر قميصه بنفسه. وبهذا اختفى عذري للتحقيق. وقال: «حَقّاً؟ شَكّراً لك. يا لي من مغْفِل».

عندما مرت زميلة نيت في السكن كريستال بالقرب منها، وهي تلقي لأدي قبل أن تتجاوزني عينها وتستقر على نوكس. ابتسمت، وبذلت مسارها لتنضم إلينا. قالت بسرور، وهي تُبعد خصلة من الشعر البني المجعد عن جبهة نوكس: «لقد فعلتها، وأطلت شعرك! أخبرتك أن تقوم بذلك في المرة الأخيرة التي كنت فيها هنا. قلت إنه سيكون مثيراً للغاية إن فعلت ذلك، وكنت محققة، أليس كذلك؟».

حاولت أن أخفى غيرتي بإيماءة مبتهجة، لأن لا ذنب لكريستال بما أشعر به من قلق مشوب بالذنب. لا تزال تلمس شعره، وتمنيت أن تكف عن ذلك. قلت: «لقد كنت محققة». ابتسمت أدي، ودفعت كتف نوكس بكتفها.

قال نوكس، وهو يكشر التكشيرة المعتادة عندما يكون محرجاً وفخوراً: «عملياً، أنت قلت إنني سأبدو ظريفاً».

قالت كريستال قبل أن تظاهرة بأنها ستزيل شيئاً ما عن كتفه: «هل سبق لي أن قلت لك إنني أقدر وسامتك. أَيّاً يكن الأمر كم تبلغ من العمر؟».

قال نوكس: «سبعة عشر عاماً».

تنهدت كريستال، وربت كتفه بطريقة أخوية. عدا عن ريجي، جميع زملاء نيت في أوائل العشرينات من عمرهم. ثم قالت قبل أن تنظر إليه وتضييف وهي تهم بالmigration: «صغير للغاية، لتكلم بعد بضع سنوات».

ناداها نوكس قائلاً: «سأصبح في الثامنة عشر من العمر قبل أن تدركني ذلك!».

قالت أدي بانزعاج عندما ابتعدت كريستال: «حَقّاً؟ أنت وكريستال؟».

قال نوكس: «في الغالب لا. إنها ليست من النوع الذي أُفضّله». واستقرت نظرة عينيه البنيتين الدافتين على عيني لبرهة، فسرت القشعريرة في جسدي قبل أن يُضييف قائلاً: «وأشك في أنني من النوع الذي تُفضّله. كل ما في الأمر أنها تحاول أن تبدو لطيفة. من الجيد الحصول على بعض الدعم الإيجابي في ما يخص شعري».

قالت أدي: «إن توقفت عن التسкуع رفقي أنا وفيبي يا نوكس، فأعدك بأنك ستحظى بدعم إيجابي أكثر مما تستطيع تحمله».

احمرّ نوكس خجلاً وطأطاً رأسه، وارتشفت رشفةً طويلةً من مشروبي. بصراحة، أشعر أن هذه الحفلة برمتها، وحتى الآن، خصّت لتعذيبني.

جحظت عيناً أدي وهي تنظر خلفي وقالت: «يا إلهي، أخيراً، وصلت مايف ولويس». ثم وقفت على أصابعها لتلّوح لهما. وسرعان ما أصبحا قربيين بما يكفي لسماعها فصاحت أدي: «إذاً، ماذا وجدت؟».

سألت مايف: «هل أنت جادة؟ أنا بالكاد بدأت».

نظرت أدي إلى معصمها مع أنها لا تضع ساعة وقالت: «كان لديك ست ساعات».

قالت مايف بتوجههم: «كنت معظم الوقت على الدراجة».

ارتشفت رشفةً أخرى، في محاولة لدخول جو الحفلة وسألتها: «هل كنت تركبين الدراجة حقاً؟».

أجبتني مايف من دون أن تنظر إليّ، وهو شيء... غريب: «أحياناً». لدى مايف مشكلة في النظر إلى أعين الناس حين لا تكون صادقة، لكنها لم تحاول أبداً إخفاء قلة حماسها في ما يخص الدراجات.

بدأت أفقد أعصابي، وأنا أتساءل إن اكتشفت مايف شيئاً بخصوص منتدى الانتقام ولا ت يريد إخبار أدي عنه. حينها ضغطت على يد أدي وقالت: «لقد خصّت يوم الغد بالكامل للبحث. إن تحرك الانتقام ملكي، فسأجده. أعدك بذلك».

هناك شيء متصلّب وقاسٍ بشكل غريب في وضعية وقوفها بأي حال، ولا أظن أن للأمر علاقة بقضاء بعض الساعات على متن دراجة.

قال لويس، وهو ينظر إلى تجمّعنا. لم يكن هناك أحد سواي رفقة أدي ونوكس؛ فكوبر وكريس لن يأتي، ونيت وبرونوين ذهباً ليتحدثا إلى زميليه: «سأحضر المشروبات لي ولمايف. هل يريد أحدكم شيئاً؟».

طلبت منه: «هل يمكنك أن تحضر لي شراباً آخر؟».

«بالطبع». هم لويس بالرحيل بينما حدق نوكس إلى كأس الفارغة.

قال: «أحضرته لك منذ خمس دقائق تقريباً».

قلت: «أشعر بالعطش». ولكنني لم أكن كذلك، بل كنت متواترة، كما هو الحال دائماً في الآونة الأخيرة. نظرت مايف بیننا، مطولاً بما يكفي لأجد نفسي أقول: «ما الأمر؟».

سألت وعيتها ترتكزان في مكانٍ ما عند كتفي: «ماذا؟».

قلت لها: «أنت تنتظرين إلى بغرابة. أو بالأحرى، أنت... لا تنتظرين إلى».

أخيراً التقت نظراتنا، وخفق قلبي من تعابير وجهها. إنها قلقة حيال شيءٍ ما، ومن الواضح أن ذلك الشيء له علاقة بي. هل لمحت أوين وهي تبحث بين الناس؟ هل هو هنا في مكانٍ ما، يتباھي بما فعله ببراندون؟ من المؤكد أنه أذكى من أن يفصح نفسه، لكن مايف ماهرة للغاية بالتقاط الدلائل عن الناس الذي يظنون أنهم مجهولو الهوية.

أخرجت هاتفها من جيها، وبدأت بتمرير إصبعها على شاشة هاتفها وقالت: «حسناً... كما قلت، لم أستطع العثور على أي شيء متعلق بمنتدى الانتقام عصر هذا اليوم، ولكن... هل تعلمون يا رفاق أن هناك صفحة على تطبيق إنستغرام متخصصة بمشاهدات جيك؟».

يا إلهي. آلمتني معدتي في الوقت الذي شهقت فيه أدي وقالت: «لم أعرف ذلك، لكن يجب أن لا يفاجئني الأمر. ما الذي يفعله؟ وهل أريد حقاً أن أعرف؟؟».

قالت مايف، وهي لا تزال تمرر إصبعها على شاشة هاتفها: «ليس لك علاقة بالأمر. ولكن بفيبي... هذه سيارتك، أليس كذلك؟ وحذاوك».

أمسكت هاتفها، فظهرت صورة جيك ربوردان وهو يُبَدِّل لي إطار سيارتي. وممتص الصدمات ولوحتي المعدنية واضحان للعيان، وكذلك حذائي الوردي ذو الرباط الفضي والذي صادف أنني أنتعله الآن. جف حلقتي في الوقت الذي كان فيه نوكس وأدي ينظران إلى هاتف مايف، ثم حدقاً بدھشة إلى قدمي.

تلعثمت: «أنا... أستطيع الشر».

قالت آدي وقد ححظت عينها من الرعب، بحيث لم تستطع إنتهاء الجملة: «لقد سمحت له...».

قلت: «لم أقصد ذلك! حدث الأمر بسرعة كبيرة...».

سألني نوكس: «لماذا لم تتصل بي؟».

لم يكن هناك مشروب في العالم قادر على منح الشجاعة للإجابة عن ذلك السؤال. قلت: «كل ما في الأمر... أني كنت قلقة بشأن توصيل طلب من كافيه كونتيجو، وكنت على وشك الاتصال بجمعية السيارات الأمريكية، وفجأة ظهر جيك من دون سابق إنذار، وكان برفقة والدته، وبدأت أتصرف دون وعي».

سألتني أدي: «متى حدث هذا؟». وكان صوتها بارداً وهذا ما أربكتني، فاضطررت مایف للإجابة نيابة عنـي.

قالت: «منذ ثلاثة أيام».

قالت أدي: «لقد عملنا معًا طوال يوم أمس، ولم يخطر على بالك أن تذكري الأمر؟».

فـكـرـت بـيـأسـ، رـبـما مـلـيـونـ مـرـةـ. لـكـنـي لـم أـسـتـطـع إـجـيـارـ نـفـسـيـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـلـم أـتـخـيـلـ أـنـهـ سـتـعـرـفـ بـالـأـمـرـ. قـلـتـ لـهـاـ وـأـنـاـ أـتـمـنـيـ أـنـ يـعـودـ لـوـبـيـسـ بـسـرـعـةـ وـبـيـدـهـ الـمـشـرـوبـ: «أـنـاـ آـسـفـ، لـقـدـ تـصـرـفـتـ بـغـبـاءـ. لـمـ أـتـكـلـمـ إـلـيـهـ أـوـ أـيـ شـيـعـ. حـتـىـ... حـتـىـ أـنـيـ لـمـ أـشـكـرـهـ، حـيـنـ اـنـتـهـيـ، لـمـ أـقـلـ لـهـ سـوـىـ أـنـهـ كـانـ يـفـتـرـضـ بـيـ تـعـلـمـ كـيـفـيـةـ تـبـدـيـلـ إـلـيـطـارـ، وـقـالـ إـنـ الـأـمـرـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـمـرـينـ، وـ...ـ».

بدأت الآن بالثرثرة، وعانت أدي بما فيه الكفاية. قالت بسخرية جعلت قلبي ينفطر: «حسـنـاـ، بـمـاـ أـنـكـ لـمـ تـشـكـرـيـهـ. أـظـنـ أـنـاـ بـأـفـضـلـ حـالـ إـذـاـ». أـديـ هيـ أـفـضـلـ شـخـصـ حـيـنـ يـتـعـلـقـ الـأـمـرـ بـمـنـحـ النـاسـ مـنـفـعـةـ الشـكـ وـالـعـفـوـ عـنـ أـخـطـائـهـمـ، وـلـكـنـهاـ بـدـتـ أـلـيـومـ أـكـثـرـ حـزـنـاـ مـنـ الـقـيـامـ بـذـلـكـ.

عـصـتـ مـاـيـفـ شـفـقـيـهاـ، وـسـأـلـتـ: «فـيـبـيـ، هـلـ كـنـتـ فـيـ مـدـرـسـةـ إـيـسـتـلـانـدـ الثـانـوـيـةـ عـنـدـمـاـ تـحـدـثـ جـيـكـ، كـانـتـ هـنـاكـ فـتـاةـ تـرـتـديـ مـلـابـسـ تـشـبـهـ مـلـابـسـكـ وـشـعـرـهـ يـشـبـهـ شـعـرـكـ».

التقطت أدي أنفاسها بينما استدارت لتحدق إلى مایف وقالت: «يا إلهي. لقد رأيتها أيضًا».

هي وليس أنت. وكأنني أصبحت خارج الدائرة فجأة.

سألت أدي في الوقت الذي أومأت فيه مايف برأسها: «في اليوم الذي
كنا فيه في منزلك؟ رفقة برونونين؟ كدت أن أقول ذلك، لكنني كنت متأكدة
من أنني مخطئة». عادت نبرة صوت أدي لتنسم بالقساوة وهي تنظر إلى
وأكملت: «لماذا كنت هناك؟».

لم أستطع التكلم، فمن المستحيل أن أقول لها الحقيقة: آه، كما
تعلمين، كنت فقط أتساءل إن كان فتئي يحاول الانتحار قد يتغير حقاً، كي لا
أضطر للبقاء مهووسة بأمر أخي.

بدا جلياً أنني كنت أكذب، ولكن لا يمكنني التفكير بعذر جيد. ولكن الآن،
وفي الوقت الذي تنظر فيه صديقائي إلى وكأنني اقررت الخيانة العظمى.
سأل نوكس: «ما الذي يحدث يا فيبي؟». كان صوته مفعماً بالقلق، ولسيب ما،
كانت تلك هي القشة التي أفاضت الكأس. عندها عاد لويس وهو يحاول موازنة
الكؤوس الثلاث، التقطت كأسه بقوة كادت تدفعه ليسقط الكأسين الآخرين.

قلت وأنا أهم بالرحيل قبل أن أجهش بالبكاء: «الذي يحدث هو أنني
عبارة عن كارثة وسأرحل». لم أعد أطيق صبراً على المغادرة، ومع ذلك، كنت
أشعر بالألم لأنني وصلت إلى الطرف الآخر من الغرفة دون أن يمسك أحد
بيدي، ولا حتى نوكس.

كنت أعرف كثيراً من الأشخاص في الحفلة، لا يزال نيت وبرونونين في
نقاش مُحتمد مع زميليه سانا وريجي، ولم يعرفا شيئاً عما حدث للتو. كانت
صديقتني السابقة جولز، في الجهة المقابلة رفقة حبيبها شون ومونيكا هيل،
وهي فتاة أخرى من صفي. حتى أفراد طاقم عمل كافيه كونتيجو كانوا هنا،
مانى وإيفي وعامل يُدعى أحمد. لكنني لم أستطع حمل نفسي على الانضمام
إليهم، لذا استندت بشكّلٍ غريبٍ إلى الحائط المجاور للبهو إلى أن رأيت أحدهم
كتفي وسألني: «هل طردت من نادي الجريمة؟».

استدرت فرأيت فانيسا ميريمان وهي ترتدي فستاناً أحمر لطيفاً،
وتحمل بكل يد كأساً، وأضافت قبل أن تسكب إحدى الكأسين في كأسى التي
أرقت ما فيها في طريقي إلى هنا: «تفضلي. كانت هذه الكأس لصديقى، ولكن
يبدو أنه سيفيدك». أSENTت إحدى كتفيها إلى الحائط وأضافت: «على فكرة
كان ذلك الصديق هو أنا نفسي، لا أعرف لم أزعج نفسي بالمجيء إلى مثل
هذه الأماكن».

سألتها وأنا أرتشف بامتنان رشفة طويلة: «لَمْ تقومين بذلك؟».

أجابت فانيسا بغضب: «قلت لك للتو إنني لا أعرف». تبعت نظرتها نظرتي إلى الركن الذي لا يزال نوكس ومايف وأدي ولويس يقفون فيه وأضافت: «إنهم جميعاً يطلقون الأحكام، أليس كذلك؟ مثلاً، تختارين الجانب الخاطئ مرة، وفجأة تصبحين خارج المجموعة».

فعلت فانيسا ما هو أفعى من اختيار الجانب الخاطئ، فبحسب ما أذكر، كانت عديمة الرحمة عندما تنمّرت على أبي بعد وفاة سايمون. وبعدها، ولكن تزيد الطين بلة تنمّرت على كوبر. لكنني لست في وضع يسمح لي بتذكيرها بذلك الآن. قلت من دون أن أكون واثقة مما قلته: «إنهم أصدقائي».

سألت فانيسا: «حسناً، لماذا أنتِ وحدكِ هنا؟».

لم يكن لديّ جواب عن سؤالها، لذا ارتشفت مشروبي وأنا أشاهد نيت وبرونوين يبتعدان عن سانا وريجي ويتجهان إلى ركن طاقم بيفيو. لفقت سانا نظري مجدداً إليها وإلى ريجي حين أمسكت بيده، واختفت كل لطافتها، وجذبته نحوها لتهمس في أذنه. أومأ ريجي وابتعد، تاركاً إياها محبطة.

قالت فانيسا: «لا أصدق أن ذلك ما زال مستمراً».

سألتها: «ماذا؟». وكدت أن أضيف علاقة سانا وريجي؟ وهذا ما سيشكل معلومات جديدة بالنسبة إليها. لكن فانيسا أشارت بيدها صوب نيت وبرونوين وقالت: «علاقتهما الرومنسية القائمة على الفتاة الطيبة والفتى السيئ، أعني، بحقك. ما هو المشترك بينهما، عدا عن اتهامهما بجريمة قتل؟ لا يمكن للجنس بينهما أن يكون بتلك الجودة».

هكذا، انتهى الحديث. قلت بعفوية وأنا أبتعد عن الحائط: «عليّ أن أذهب»... لم أكن أعرف إلى أين سأذهب، ربما إلى الحمام، لأنني شربت كثيراً. فاحأنني وجود طابور قصير، فأخرجت هاتفي، وبدأت أعبث به وأنا أنتظر دوري، فرأيت أنني تلقيت رسالة من إيمما. كنت أحاول حثها على القدوم في عطلة نهاية الأسبوع. اشتقت إليها، ولكن في الحقيقة، على إجبارها على التكلم عن أوبين.

نقرت على الرسالة، وكان كل ما كُتب هو لا يمكنني دفع ثمن تذكرة الطائرة. لم أعمل حتى الآن.

إنه مجرد عذر في أي حال، وكلتانا تعرف ذلك. كلما طالت مدة غيابها عن بيفيو، قلت رغبتها بالعودة.

كتبت لها، ثم حذفت ما كتبت قبل أن أرسله، لا يمكنك ترکي وحيدة للتعامل مع الفوضى التي سببناها. لا يفترض بنا التحدث عن الأمر عبر الرسائل.

سمعت إحداهم تقول من خلفي: «دورك». والتفت فرأيت باب المرحاض موارباً.

حين دخلت، تفاجأت كم كنت ثملة. بدأ البلاط الأبيض والأسود بالدوران، وبالكاد استطعت فك حزام الشورت. وكان حظي أسوأ حتى حين حاولت شده عند انتهاءي من استخدام المرحاض، وأنا أبحث بلا جدوى عن ثقوب الحزام الفائقة الصغر إلى أن ذكرتني نقرة عالية بأنني بقى في الداخل أكثر مما ينبغي.

ناديت وأنا أبتكر عقدة جديدة بالحزام: «لقد انتهيت». وعلى الفور اكتشفت أنها كانت فكرة سيئة، لأنني لن أتمكن من فكها عندما أريد خلع الشورت. حسناً، تلك مشكلة أمام فيبي المستقبلية. ثم غسلت يدي وأنا أحدق إلى وجهي في المرأة. قبل أن أقول لانعكاس صورتي: «يجب أن أمنح نفسي شيئاً».

نقرت إحداهم على الباب بغضبٍ وصاحت: «سأعطيك مثانتي إن لم تخرج من هناك!».

ناديت وأنا أجّفف يديّ: «أنا آسفة». ظننت أنه منديل ورقي، لكن تبيّن أنه سروال داخلي رمته إحداهم فوق الرف، لذا توجب عليّ أن أغسل يديّ مجدداً. عندما انتهيت، كانت صاحبة الدور في الطابور تنقر على الباب بثبات، وحين فتحته، مررت بين الواقفات بأسرع ما يمكن، وأنا أنظر إلى الأرض مكررة أسفني. لا تزال فانيسا حيث تركتها، منهكمة ب هاتفها، وكانت هناك كأس على الطاولة بالقرب منها. وقبل أن أدرك ما الذي أفعله، شربته دفعة واحدة وتجاوزتها.

صاحت بي عندما ظهرت بأنني لا أسمع ومشيّت متربّحة نحو الدرج: «مهلاً أيتها الثملة الصغيرة، هذه الكأس لي!».

أحب الأجواء أكثر في الأعلى؛ فهي أكثر عتمة وهدوءاً، ولا أعرف أحداً هناك. كان هناك باب غرفة نوم مفتوح على مصراعيه، مع نوع من الملاعة غريبة الشكل مربوطة حول المكيف، كانت لتشير فضولي لو كنت صاحية، وكان هناك جمّع من الأشخاص يتسلّكون في الداخل ويترثرون. لم يبُد أحد مهتماً

حين جلست على كرسي وأخرجت هاتفي، وأمضيت عشرين دقيقة أصيغ رسالة قصيرة رزينة إلى إيماء: أرجوكِ عودي إلى المنزل.

ثم أغمضت عيني، وحين فتحتها، وجدت نفسي وحيدة في الغرفة. وبمجرد أن وقفت شعرت بالدوار، وكان عليّ أن أستند نفسي إلى الجدار قبل أن أشق طريقي نحو الباب، وعندما وصلت إليه، كدت أصطدم بفتى يهم بالدخول.

قال ريجي كراولي: «حسناً، مرحباً يا فيبي. لم أرك منذ مدة. ما الذي تفعلينه وحدك في غرفتي؟».

تعرّفت إلى ريجي جيداً، حين توقفت برونوين عن إعطائه دروساً خصوصية بعد وفاة سايمون. تدخلت إيماء لمساعدته على خوض اختبار السادس، فكان يأتي إلى شقتنا ثلاثة أيام في الأسبوع، وينظر إلى بشبق كلما أدارت إيماء ظهرها. بالكاد تغير عن ذلك الوقت، اللحية الخفيفة المتناثرة ذاتها، والميل لارتداء القمصان الضيقة المفتوحة عند الرقبة، والقلادة الجلدية. في سن التاسعة عشر يبدو شيئاً من خلال الملابس التي يرتديها.

استند ريجي على إطار الباب، ورفع حاجبيه بطريقة يظنها، مخططاً، بأنها مغربية وأضاف قائلاً: «هل تنتظرييني؟».

ربما أشعر بالثمالة، ولكنني أملك من حضور العقل ما يكفي لمنحه الجواب المنطقي عن سؤاله هذا. قلت له وأنا أدفعه للمرور: «يا للقرف، كلا شكرأ لك».

خاطبني قائلاً: «أنتِ الخاسرة».

تعثرت وأنا أنزل، وتمسكت بالسياج طوال الوقت، وتساءلت ما إن كانت فترة غيابي كافية لتخمد ثورة غضب أدي، لكنني لم أجدها عند ركن طاقيم بـأيفيو؛ لم أجد أحداً منهم، كانت صديقتي السابقة جولز هناك، وحين لوحّت لي بيدها، أراهنني ما شعرت به من ترحيب فلم أتردد بالاقتراب، مع أنها كانت برفقة شخصين لا أحبّ وجودهما.

وحين وصلت سألي شون موردووك وهو يقدم لي كأساً: «تریدين شراباً؟». لم أكن أرغب بشراب، ومع ذلك أخذت الكأس التي قدمها لي.

قالت جولز: «توقيعكِ مثالي، فيبي الغجرية».

حاولت أن أبتسم على اللقب، لكن الأمر بدا خاطئاً. تلك فيبي القديمة، التي حكمت على جولز لمواعيدها شخصاً غريباً الأطوار مثل شون وكذبة على الشرطة بخصوص وفاة براندون. بعد ذلك عاده المياه إلى مجاريها بينما، مع أنها لم تعد إلى سابق عهدها، وذلك لأنني أحاول أن أمضي أقل وقت ممكناً في ظل وجود شون، ولأنه لم يغب عن ذهني أبداً أني أصبحت أكثر كذباً مما كنت.

ردّدت: «توقّيت مثالي؟».

أومأت جولز وضربت كتفها بكتف مونيكا وقالت: «نحن بحاجة إلى بعض المعلومات».

سألتها وأنا أرتشف نصف الكأس التي لم أردها دفعة واحدة: «بخصوص ماذا؟».

قال شون مبتسماً: «على رسلك يا فيبي». يا إلهي كم أكرهه.

قالت جولز: «بخصوص نوكس،».

رمشت في محاولة مني لأبدو مركزة، لكن ذلك لم يجد نفعاً، فهي لا تزال تبدو وكأن لديها وجهين. سألت: «ماذا به؟».

«هل هو حَرّ؟».

قلت: «ماذا؟» لكن لم يبُدُّ أن سؤالي كان كافياً فأردفت: «لماذا؟».

قالت جولز: «مونيكا معجبة به».

ضحك، ولم يشاركني الضحك أحد. سألتها: «عذرًا، هل أنت جادة في ما تقولينه؟».

أجبتني وهي تلف خصلة من شعرها حول إصبعها: «بالطبع. لماذا لا أكون جادة؟ إنه مثير».

يبدو أن كل من في الحفلة لاحظوا ذلك، ولكن مونيكا لا تقوم بهذه الأشياء في العادة. اعترضت قائلة: «لكنك لم تكفي عن التنمّر عليه طيلة الفصل الماضي!».

أجابت مونيكا: «لم أكن أنا من تنّمر عليه بل شون، ولكنه يدرك الآن خطأه، أليس كذلك يا شون؟».

أجاب شون بثقة: «لقد أصبحت الآن وإياه كالأخوين».

نظرت إلى مونيكا غاضبة وقلت: «كلا، لستما كالأخوين، فهو لا يطيقك، وكذلك أنت». بدت مونيكا في غاية الغضب، وأردفت: «دعيه وشأنه».

قالت جولز بتعالٍ: «نوكس ليس ملكاً لك يا فيبي. إن كنت معجبة به، فقد كان لديك ما يكفي من الوقت لتحتفظي به».

قلت وأنا أغادر نحو القاعة: «أنا لست... لست... علىّ أن أغادر». حاولت إخراج الهاتف من جيبي وأنا أدفع نفسي إلى الخارج، لكنني شعرت بالخدر في يديّ وبصعوبة في التنفس، وبألم في الرأس حال دون أن أفکّر بشكل صائب.. أردت طلب سيارة أجرة، لكنني لا أعرف إن كنت قادرة على فتح قفل هاتفي.

استدرت وعدت، ولكن بطريقة ما، وجدت نفسي في مكان آخر. أصبحت محاطة بالعشب والأشجار، وانهارت فوق سور حجري من نوع ما. قلت لنفسي، هناك خطأ ما. لاح شيء بالقرب مني، ضبابي لدرجة أنه يگاد لا يكون له ظل، ولكن إن حدقت بما يكفي، يبدو وكأنه مألوف.

حاولت أن أقول، اذهب بعيداً، ولكن الكلمات لم تخرج. فقدت كنت في غاية التعب.

قال أحدهم، بصوتٍ بدا وكأنه قادمٌ من نهاية نفق طويلاً جدّاً: «آه يا فيبي. لقد اقترفت خطأً جسيماً».

فکّرت عن أي خطأ يتحدث؟

ثم اسْوَدَ كل شيء.

الفصل التاسع

٦٧

الأحد، 5 تموز

قالت أدي وهي تربت يدي: «يجب أن نقيم حفلة عيد ميلادنا النصفي هنا».

نظرت في أرجاء الغرفة الخلفية لكافيه كونتيجو، حيث وُضع تلفاز كبير على الشاشة يتيح لنا مشاهدة إعلان كوير، خلال مباراة فريق باراديز للبيسبول، لكن الإعلان سُيُّث بعد الشوط الخامس. قلت: «ماذا؟ أي حفلة عيد ميلاد نصفي؟».

سألت أدي: «أنت تعلم كيف نقيم دائمًا حفلة عيد ميلاد مشتركة في آذار؟».

قلت: «لقد قمنا بذلك مرتين».

عملياً، أدي هي من قامت بذلك. فنحن ولدنا في آذار، لذا قررت خلال الفصل الأخير من المدرسة الثانوية أنه علينا أن نقيم حفلة في يوم يتوسط الفترة التي تفصل بين عيدي ميلادنا. نظمت الأمر برمته في شقتها، أما أنا فاكتفيت بالحضور، لأن ذلك كان يعني لها الكثير ولا يوجد أحد أحبه أكثر من أديلايد بربتيس. بالإضافة إلى أنني تعلمت أنه لا جدوى من مقاومة أدي حين

تكون في وضع المدير الاجتماعي. ثم قامت بالأمر ذاته هذا العام، على الرغم من أنها كانت مقتضبة جدًا بسبب وفاة براندون وبير مؤخرًا.

قالت أدي: «حسناً، إنها تقليد. ولكن هذه السنة لم تكن احتفالية جدًا، لذا فكّرت... ما رأيك بأن نقيم حفلة عيد ميلاد نصفية؟ في منتصف أيلول؟».

اعترضت برونوين، وهي تتناول رقاقة التورتيا الوحيدة الحالية من الإضافات في صحن رقائق الناتشو الموضوع أمامنا: «كلا، الموعد متأخر جدًا. وعندها قد أكون عدت إلى المدرسة».

قالت أدي بحزن: «حسناً. ولا يمكننا القيام بذلك في آب، لأنني سأكون في بيرو، لذا... في الرابع عشر من تموز إدًا. ستكون مثل حفلة عيد ميلاد في الثلث من العام».

قلت: «لا يوجد شيء مثل هذا الأمر».

تجاهلتني أدي، وقالت وهي تلوح بيدها حولنا: «بإمكاننا دعوة كل المتهمين المعتادين». كنت أنا، وأدي، وبرونوين، وكوبر، وكريس، ومايف، ولويس ونوكس نجلس إلى طاولة وكانت فيبي الغائبة الوحيدة. فيبي ليست هنا، مع أنه كان يفترض أن تحضر إلى هنا منذ نصف ساعة.

قالت برونوين: «ممتناز. ولكن ليس نحن فحسب، صحيح؟ أريد دعوة كيت ويوميكو، وربما إيفان...». ثم تراجعت قليلاً، ونظرت إلى شزرًا وسألت: «أليس كذلك».

أوّمات وقلت: «لا يهم».

عصرت يدي وقالت: «قد لا تتسع الصالة للجميع».

قالت أدي: «حسناً، ما رأيك بمنزل نيت».

لم يسعني كبح النبرة المتردّدة في صوتي حين قلت: «مستحيل. ربما تستطعيين إجباري على إقامة حفلة عيد ميلاد في الثلث من العام، لكن لا يمكنك إجباري على مجالسة ريجي كراولي كالطفل».

قالت برونوين بسرعة: «بالطبع، لا».

ليلة أمس، حاولنا التحدث مجدداً بشأن ريجي مع سانا، ولكن حتى برونوين اعترفت أننا لن نصل إلى نتيجة. في النهاية، لم يكن الزمان والمكان

مناسبين. لكنني غضبت حين اعترفت سانا أنها لم تُشغل رابط فيديو كاترينا الذي أرسلته إليها برونوين، لأن مشاهدة الفيديو سيكون كفيلاً بجعلها تحمل الأمر على محمل الجد.

قالت أدي: «حسناً، اتفقنا، هذا منصف». ثم بدأت تشد قرطيها، وهذا دليل معهود على شعورها بالقلق، ونظرت إلى الستارة التي تفصل الغرفة الخلفية عن الصالة. ثم بدأت تشد أكثر وقالت: «ليلة أمس كانت فوضوية، أليس كذلك؟ ليس بسبب ريجي فحسب. هل تطنون أن فيبي ستأتي؟ لقد قسوت عليها قليلاً».

قالت برونوين: «لقد كنت مستاءة».

عصّت أدي على شفتيها وقالت: «كنت كذلك، ولكن... لا أنفك أفكّر في ما قلته لها حين قالت إنها لم تشكر جيك على تبديل الإطار. لقد كنت متهكمة جدّاً ولئيمة. كل ما في الأمر... أن تلك كانت الطريقة التي عاملني بها جيك تماماً، في الماضي حين حاولت الاعتذار على خيانتي له مع تي جيه. حيث قال، لا بأس إدّا. طالما أنك متأسف». استطاعت أن أعرف أن الكلمات كانت مطبوعة في ذاكرتها من الطريقة التي قالتها بها. أكملت قائلة: «عليك من الناس فرصة ليشرحوا سبب ما أقدموا عليه، أليس كذلك؟ لكنني لم أفعل ذلك».

أمسكت بطرف الطاولة لمنع نفسي من الإدلاء بملاحظة مهمة عن فيبي كنت على يقين أنها لا تستحقها. إن السماح لشخص ما بتبديل إطار سيارتك ليس بالأمر الجلل، إلا... إذا كان ذلك الشخص هو جيك. الذي يتجول في أرجاء البلدة مؤدياً دور الرجل الصالح، وكأنه لم يفعل شيئاً. لا يجدر بأي شخصٍ في بايفيو وقع في فخ أفعاله المريضة أن يمنحه شيئاً سوى لعنة على وجهه.

عَبَّرت برونوين عن الفكرة ذاتها بطريقة أكثر لباقه: «الوضعان مختلفان تماماً».

علّقت أدي: «أجل، إنهم مختلفان لأن ما قمت به تجاه جيك كان أسوأ. وربما سيكون أسوأ، لو كان إنساناً محترماً. سبق لي أن أرسلت رسالة إلى فيبي، لكنها لم تقرأها».

استدار نوكس في مقعده حيث كان يجلس في الجهة المقابلة من الطاولة وسأل: «مهلاً، هل تتكلمون عن فيبي؟ سبق لي أن أرسلت لها رسائل لكنها لم ترد عليها. أوصلتها بالأمس إلى الحفلة، ومنذ ذلك الحين لا أثر لها».

سألت مايف: «ألم تغادر برفقة جولز؟».

قلت: «لا». فحدق الجميع إليّ، ربما لأنني لا ألاحظ ذلك دائمًا. أكملت: «لقد كان حبيبها الفاشل ثملًا جدًا بما لا يتيح قيادة السيارة، لذا أخذت كريستال مفاتيح سيارته وجعلته يذهب مع شخصٍ آخر. لم تكن فيبي هناك».

غزرت أدي أظفارها في راحة يدها من شدة التوتر وقالت: «آمل أن تكون وصلت إلى المنزل بخير. لم أكن لأقلق هكذا، ولكن أشتون جعلتني أقلق بشأن لوحة الإعلانات تلك...».

نادى علينا لويس من الطرف الآخر للطاولة: «يا رفاق! انتبهوا! كانت تلك الاستراحة الثانية، قد ينتهي الشوط قريباً».

تجاهلت أدي، وقالت وهي تنظر مباشرة إلى مايف: «ليتنا كنا نعلم ما الذي يريد شبان منتدى الانتقام فعله الآن». لم تنتبه مايف، لأنها كانت تتصرف كما يفترض بالحبيبة الداعمة وتنظر بتركيز مثل لويس إلى الشاشة.

قالت برونوين: «تعمل مايف على الأمر. امنحوها بعض الوقت».

قلت وأنا أشعر بشيء من الارتياح بعد ما رأيته في طرقي إلى هنا: «عادت لوحة الإعلانات لتظهر إعلان شراب الطاقة. أطئهم أصلحوا العطل».

ظهر على شاشة التلفاز، حشد غفير بدا أنه يشعر بالخيبة كلما رمى الضارب الكرة نحو المدرجات. قال لويس: «توقيت هذا الرجل متأخر جدًا، سوف ينفجر في أي لحظة، انتظروا فحسب».

قال كوبر، الذي كان جالسًا إلى جانب كرييس في المقدمة، وهو يفرك وجهه بكلتا يديه: «يا إلهي. أود فقط أن أذكر الجميع بأنني لست ممثلاً، وما كنت لأشارك في الإعلان ما لم تكن سيارتي في حال يرثى لها، لذا...».

قال كرييس: «لم يسبق لي أن رأيت شخصًا يجذب في العمل أكثر منك يا كوبر، و تستحق أن تحظى بالتقدير. وأن يُدفع لك المال لقاء ذلك. إياك والاعتذار».

تمتم كوبر، وبدا أن كلام كرييس أشعره بشيء من الارتياح: «لقد تأخرت في قول ما قلته». أعلم أنه كان قلقًا بشأن تلقي أي نوع من الرعاية، وخائفًا من أن الشركات لا تريده إلا بسبب سمعة بايفيتو فور السيدة. وأجل، ربما كان هذا جزءًا من الأمر، لا يستبعد أحدٌ منا ذلك بشكلٍ كامل، ولكنه حظي

بسنة جامعية أولى تفوق الخيال. وأكثر من أي وقت مضى، يبدو أن سيرة مهنية ضخمة تنتظره، وقد يبدأ بالحصول على الأموال بسببها أيضًا.

قالت أدي بحكمة: «يا ليت نوني هنا. أحب مشاهدتها وهي تُبهر كوبر». وحينها بدأ هاتفها يرتج على الطاولة، ولكن قبل أن تتمكن من الوصول إليه، التقطته برونوبن بسرعة وقلبته إلى الأسفل.

قالت: «لا تجيبي. لويس محق... إنها نهاية الشوط».

اسودّت الشاشة، ونادي لويس: «ها نحن ذا!». وأسكنته مايف في الوقت الذي ظهرت فيه صورة لداخل نادٍ رياضي، جميل، مع شعارٍ كبيرٍ لنادي فايرد أب فيتنس على الجدار. وجالت الكاميرا بالترافق مع عزف الموسيقى على آلات التدريب، والخزائن، وعددٍ من الأوزان، ثم... على كوبر، وهو يركض على جهاز المشي وكان حياته تعتمد على هربه بأسرع ما يمكن.

ضجّ المكان بالهتاف العالي لدرجة أنها لم تستطع سماع أي شيءٍ البعض الوقت. وهذا كان جيًداً، لأن الإعلان كان عبارةً عن لقطة بعد لقطة لكورب وهو يتمنن، وبالكاد يتعرق وهو يبدو كبطلٍ خارق. قال كرييس في الوقت الذي ظهر فيه كوبر يؤدي تمرين القرفصاء حاملاً وزناً على كتفيه على الشاشة: «حتى الآن، لقد أحببت ما رأيت».

ثم تلاشت الموسيقى في الوقت الذي وضع فيه كوبر الأوزان جانباً، ليُحضر منشفة، ويستدير نحو الكاميرا. وقال: «لا شيء يجعلني أشعر بالحماسة مثل اللياقة البدنية».

خيّمت على المكان لحظة من الصمت والدهشة، لأنه لم يسبق لأحد أن قال جملة أكثر ابتدأً. بدا كوبر مثل إنسانٍ آليٍ مُبرمج على التكلم بالإنكليزية من قبل شخص لم يسبق له أن سمعها. بدأنا بعدها نهتف بصوٍت أعلى، لأن كوبر لا يزال محبوبًا وذلك كان أيقونياً بشكلٍ غريب.

صاح لويس: «جائزة الأوسكار! الأوسكار! أو أي جائزة يمنحونها للإعلانات!».

قال كرييس وهو يجذب كوبر نحوه ليقبله: «بدون مثيرًا».

قالت مايف: «أكره التمّرّن، لكنك كدت تُقنعني».

قال كوبر بخجل: «أنتم جميًعا تجاملونني». لكنه ابتسם هو الآخر.

بعد أن خفت الحماسة، وعادت المبارأة، مدت أدي يدها إلى هاتفها. وقالت قبل أن تمعن النظر إلى الشاشة: «ربما كانت فيبي هي المتصلة. كلا، إنها والدتها».

سألتها في الوقت الذي جلس فيه نوكس مكانه: «هل تمتلك والدة فيبي رقم هاتفك؟».

قالت أدي وهي ترفع هاتفها إلى أذنها: «هل نسيت أنها هي من نظمت حفل زفاف أشتون؟». عبست وهي تقرأ الرسالة، ثم أرددت وهي تنظر إلى نوكس: «يبدو الأمر غريباً، إن السيدة لوتون تسألني إن كانت فيبي برفقتي لأنها لا تُجِيب على هاتفها، الأمر الذي، أعني... لم تكن برفقتي أصلاً، تماماً. لم نذهب إلى حفل الرابع من تموز معاً. هل اتصلت بك والدتها؟».

أخرج هاتفه مقطعاً حاجبيه وقال: «كلا. عاودي الاتصال بها».

قالت أدي: «سأفعل». ثم قلبت بها هاتفها ورفعته مجدداً، وهي تتشبّك إحدى سماعيتها. قالت بعد بضع ثوان: «مرحباً سيدة لوتون. فيبي ليست... مازا؟». ثم أمسى صوتها متوتراً قبل أن تصيف: «كلا، لم تفعل. ذلك لم يكن... ما الذي قامت به؟».

سأل نوكس على عجل: «ما الذي يحدث؟».

لَوَّحت أدي بيدها لتبعده. وقالت: «كلا، كنا جمِيعاً في الحفلة، لم أرها منذ البارحة. هل حاولتِ الاتصال بجولز؟». ثم تغيرت تعبير وجهها للأسوأ وهي تستمع لما تقوله والدة فيبي في المكالمة. ثم أكملت: «أجل، بالطبع. أبقيتني على اطلاع، اتفقنا؟». عندما أخفقت هاتفها، بدت شاحبة شحوب الأشباح. قالت وهي تنظر إلى الوجوه القلقة المتخلقة: «لم تعد فيبي إلى المنزل منذ البارحة. أرسلت لوالدتها رسالة قالت فيها إنها ستمضي الليلة في منزلي، لم فعلت ذلك؟».

اقترحت مايف: «ربما لأنها أرادت الذهاب إلى مكان آخر ولم ترد إخبار والدتها؟». نظرت صوب نوكس، الذي بدت نظرته شبيهة بنظرة والده عندما يكون شارداً.

قال: «لا أظن أن فيبي تفعل ذلك».

قالت أدي عابسة: «إن قامت بذلك، فقد أفسدت الأمور عليها. لكن لماذا لم تتصل بأحد؟ لقد فاتها الإعلان».

قالت برونوين: «حاولي الاتصال بها».

اتصلت بها، لكنها بالكاد رفعت هاتفها إلى أذنها حين ذعرت وقالت: «لقد حولت إلى البريد الصوتي مباشرةً».

أخرجت مايف هاتفها، وبدأت تحرك الشاشة بإصبعها بتوتر وقالت: «أتساءل إن قمت... حسناً، موقع السنابشات الخاص بها يعمل، ويفيد إنها في...». ثم عملت على تكبير الشاشة عدة مرات، قبل أن ترفعها باتجاهي وتكلّم: «يبدو أنها في منزلك».

سألت: «حقاً؟».

«لم تكن هناك حين غادرت. على الأقل... لا أظنهما كذلك. نمت لوقت متأخر، كوني حظيت بيوم إجازة نادرٍ اليوم، ولم أغادر غرفتي إلا عندما حان وقت مجئي إلى هنا».

كانت كريستال وسانا قد رحلتا، وكان جياهاو وديكون يشاهدان التلفاز في غرفة المعيشة كالمعتاد.

أما ريجي... لا أعرف أين كان ريجي، لكن بابه كان مغلقاً لأنه وفي مرحلة معينة البارحة، تمكن من فك بدعة سانا الورقية.

قالت برونوين وكأنها تقرأ أفكاري: «كلا. لا يمكن أن تكون... إنها ليست رفقة ريجي، صحيح؟».

قالت مايف: «مستحيل، لا يمكن أن تفعل فيبي ذلك».

قالت أدي بقلق: «لكنها أفرطت في الشرب».

قالت مايف، بالرغم من أنها بدت أقل ثقة: «لم تُفرط، ولكن حتى لو كان ذلك صحيحاً... لو تسكتت رفقة ريجي في أي مرحلة البارحة، كان يفترض بها أن تعود إلى منزلها الآن».

قال لويس: «إلا إذا كان يمنعها». دفعت مايف كتفه، وكأنه ألقى دعابة سمجة، لكن لم يكن هناك أثر ابتسامة على وجهه.

أمسك الأمور مظلمة بسرعة، فقلت: « علينا أن نتفقدها».

الفصل العاشر

نٰيت

الأحد، 5 تموز

عندما وصلنا جمِيًعاً إلى منزلي، باستثناء كوبر وكريس، لأنهما اضطراوا لأخذ نوني إلى موعدٍ للعلاج الفيزيائي، لم نجد فيبي هناك.

جلس ريجي بشكٍلٍ مستقيم بعد أن كان متمدّداً على الأريكة، يحمل قنينة جعة في إحدى يديه وجهاز التحكم في الأخرى وهو يقلب على منصة تنفليكس وقال: «لم أرها منذ الأمس».

سألت برونونين، وهي تتنزع جهاز التحكم من يده: «منذ متى؟». من الجيد أنها أمسكت بجهاز التحكم أولاً، لأن سلوكه غير المكتثر جعلني أريد رمييه على رأسه.

قال ريجي بامتعاض، قبل أن يحاول التهجم عليها، ويتعثر ليقع على الأريكة حين ابتعدت برونونين عنه: «أنت، أعيديه إلىّ! لا أعرف. منذ الحفلة».

سألت مايف: «أين كانت؟ متى رأيتها؟».

قال ريجي، وهو يشد على حبل قلادته: «في غرفتي». حدقنا جميعنا إلى أن رفع يده وقال: «أهدأوا يا نادي الجريمة. كانت بمفردها، على وشك أن تغادر، حين دخلت الغرفة. ودعوتها لنمضي بعض الوقت بمفردها...».

قاطعته مايف: «مقرف».

قال ريجي: «لكنها ذهبت. وكان ذلك كل شيء».

تبادل برونوبين ومايف نظرات الشك، ولكن دائمًا يمكننا أن نعرف عندما يكذب ريجي. والآن، يبدو أنه صادق للغاية. ومع ذلك... قلت: «يشير هاتفها أنها هنا».

قال ريجي، وهو يستعرض بشكل بغيض ويرفع البطانية التي تغطي نصف ساقيه: «حسناً، إنها ليست هنا. إلا إذا كانت مختبئة. مرحباً، فيبي؟».

قلت بينما رمت برونوبين جهاز التحكم صوب يده، في تصرف مبالغ فيه: «تبأ لك».

قال مدافعاً: «ما الذي تريدونه مني؟ إنها ليست هنا. انتهي».

قالت أدي: «سأحاول الاتصال بها مجدداً. علّنا نسمع هاتفها يرن».

لكن لم يكن هناك صوت سوى همسة أدي اليائسة قبل أن تقول: «لا أزال أحول إلى البريد الصوتي».

سأل نوكس: «هل أخطأنا بموقعها؟ ربما هاتفها مطفأ، ويعطينا آخر موقع كان فيه قبل أن يطفأ».

سألت مايف: «ومنذ متى تطفئ فيبي هاتفها؟».

قالت برونوبين: «أظن أنه يجدر بنا البحث في الأرجاء. ربما نامت فيبي في مكان ما، أو فقدت هاتفها». لمعت عيناهما، وكتبت أعرف ما هو آت، باتت برونوبين بوضع تحمل المسؤولية.

حمدًا لله أن أحداً تحمل المسؤولية. في غضون دقائق قسمنا أنفسنا إلى ثنائيات، ومنحت كل شخص مهمة: ستتصعد أدي ونوكس للتأكد من الطابق العلوي، وسيبحث لويس ومايف في الطابق السفلي، وسأبحث أنا وبرونوبين في الفناء.

قالت برونوبين ونحن في طريقنا إلى الخارج: «أدي محققة؛ فليلة البارحة كانت قاسية على فيبي. لكنني كنت مركزة جدًا على ريجي، فلم أنتبه».

قلت وأنا أمر إيهامي على إحدى ندبات ذراعي: «أنا وأنت كلانا». لم أعد أفكّر في أمر قنبلة جاريد؛ فقد خرجمت من الأمر بحال جيد، وهذا ما قرّب بيني وبين برونوين بطريقةٍ أو بأخرى. وإذا أردت أن أكون أكثر دقةً يمكنني القول إن الأمر قرّب بيني وبين والديها. فقد توقفا عن القلق من أنني وبرونوين من «عالمين مختلفين» بعد أن تلقيت معظم عصف الانفجار بدلاً منها.

لكن الندوب تذكرني الآن كيف يمكن لهذه البلدة أن تكون مميتة ومبهجة. كرهت فكرة أن تكون فيبي برفقة ريجي، ولكن البديل قد يكون أسوأ. لم تتعمق معرفتي بها إلا مؤخراً، فقد كانت مجرد زميلة عملٍ لأدي، التي غلبتني صديقتها في لعبة تحدي أو جرأة، ولكن خوضنا لأزمة بايفيو معاً قوّى العلاقة مدى الحياة. بالإضافة إلى أن فيبي خسرت والدها، ووالدتها تحاول جاهدة الاعتناء بالجميع. أنا أعرف معنى أن يشعر المرء أنه مضطر لحل جميع مشاكله بنفسه.

توقفت قليلاً لأتفحص الفناء الصغير المبعثر. لم يكن يضم أشياء كثيرة، بعض الشجيرات والكثير من العشب نصف الميت، بالإضافة إلى ممرٍ من الحجارة غير المستوية التي تؤدي إلى الباب الأمامي. كانت الشمس ساطعة وحارقة، فأغمضت عيني قليلاً لأرى بشكلٍ أفضل. وقلت: «هل تعرفين لون غطاء هاتف فيبي؟».

قالت برونوين وهي تمشي بدوائر صغيرة عبر العشب: «وردي».

سألتها: «أتظنينها ذهبت لزيارة شقيقتها؟ ربما سافرت في آخر لحظة».

قالت برونوين: «ربما. لكن ذلك لا يفسر سبب عدم توصلها مع أي أحد، أو لم قال والدتها أنها برفقة أدي». ثم تنهدت بيأس وأكملت: «لا شيء من ذلك منطقي. آه، لو أنني أمضيت خمس دقائق في الحديث معها البارحة...».

قلت وأنا ممسك بكتفيها لتوجيهها إلى الجهة الخلفية من المنزل: «لا تقوّي بذلك. لن أسمح لك بتوبیخ نفسك بوجودي».

بات الفناء أكبر وأكثر خصراً ونمواً. غطت محاولة كريستال بتكونين حديقة حضروات معظمها، مؤدياً إلى فناء حجري يحيط به زوج من المقاعد ونافورة دائماً ما تفيض، على الأقل، بمياه الأمطار. سألت برونوين وهي تدوس برفقٍ على العشب الطويل الذي يصل إلى الكاحل: «هل تجلس هنا؟».

قلت: «بالطبع لا. ولم قد أجلس هنا...».

ثم لمحته، مستطيلٌ ورديٌ لامعٌ تحت أحد المقاعد. سبقتني إليه برونوين بخطوة، ورفعت الهاتف لتكتشف عن شاشة أضاءت حين وجهته نحونا برسالة كتب فيها.

إيما: أين أنتِ بحق السماء؟

قالت برونوين بهدوء: «كلا».

الفصل الحادي عشر

أدي

الأحد، 5 تموز

يمكن اعتبار شرطة باديفيو مثلاً حقيقةً على الثبات على المبدأ، فهي دائمًا، وبغض النظر عن نوع الأزمة التي تواجهها، ترکز كامل انتباها على المشكلة الأقل أهمية.

سأل الضابط بودابيست وهو يلقي بهاتف فيبي المحمول في حقيقة بلاستيكية ويغلقها جيداً من الأعلى: «حسناً، كان في الحفلة من يحتسون الشراب مع أنهم لم يبلغوا السن القانونية التي تتيح لهم ذلك؟».

بمجرد أن وجدنا هاتف فيبي المحمول اتصلنا بميليسا لوتون، والتي بدورها استقلت سيارتها مباشرة، وانطلقت باتجاه منزل نيت، والآن ها هي مع أوبين، تسحبه إلى جانبها في الوقت الذي نقف فيه جميعاً بشكل نصف دائرة حول الضابط هانك بودابيست. أنا واثقة من حقيقة أنه أول شخص استجوبنا وقت مقتل سايمون وهذا لا يخفى على أحد وهو يعرف ذلك. وقتها لم يؤدّ عمله على خير ما يرام.

قال نيت: «أجل».

سأل الضابط بودابيست: «من اشتري المشروبات؟».

قاطعته السيدة لوتون، وبذا القلق على تعابير وجهها: «حضره الصابط.. ابنتي مفقودة. من فضلك هل نستطيع التركيز على ذلك الآن، وتأجيل التحقيق في ما حصل في الحفلة إلى وقت لاحق؟».«

قال بودابيست: «وفقاً لما أطلعته عليه، لقد كذبت فيبي عليك في ما يخص المكان الذي ستقضي فيه ليلتها، ألا ترين أنها ربما ذهبت ببساطة إلى مكان لا تريده أن تعرف فيه؟ كم مضى على اختفائها؟». نظر إلى ساعته وأردف بسرعة: «لم تمضِ اثنتا عشرة ساعة على المرة الأخيرة التي رأها فيه أحدهم؟».

قالت مايف بعد أن جمعت ذراعيها أمام صدرها: «لقد مضت أربع عشرة ساعة». يبدو أنها على وشك أن تقول أكثر من ذلك وتذكر له منتدى الانتقام.. ولكن قبل أن تفعل ذلك، تنهدت السيدة لوتون تعبيرًا عن إحباطها وجدت أوبن نحوها.

قالت: «لن تذهب فيبي إلى أي مكان بإرادتها من دون هاتفها، هل نسيت أنها كانت مطاردة منذ ثلاثة أشهر من قبل شاب مختل لديه كثير من المتابعين على وسائل التواصل الاجتماعي؟ جميعهم قضوا الأيام السابقة يتخيلون كيف سينتقم؟ في الواقع، يفترض بك الآن أن تسأل جاريد جاكسون عن الأشخاص الذين ربما حرضهم لتعقبها».»

أومأت مايف برأسها بما يفيد تأييدها لكلام السيدة لوتون. أجهل أويين لبرهة، ونظر محرّم الوجه إلى الأرض، فشعرت بالألم والتعاطف معه، فبحسب ما رأيته في كافيه كونتيجو لم تكن علاقته وفيبي على أحسن ما يرام في الآونة الأخيرة، لذلك رجّحت أنه يشعر بالندم مثلّي.

فقدت.. أطلقت تلك الكلمة شرارة من الذعر داخلي. تتحنن الصابط بودابيست وقال: «بالطبع، سنتكلم مع السيد جاكسون وفقاً للقواعد المتبعة في مثل هذا الحال». مع أنني أراهن بحياتي أنه لم يُفكِّر في الأمر قبل أن تذكّره السيدة لوتون، ثم أردف: «إذا رغبتِ يمكنك مراجعتي إلى المركز حيث يمكننا أن نفتح محضرًا رسميًّا». ثم جال بعينيه علينا جميًعاً وأضاف: «ربما سيكون من المفيد أن يكون معنا أحد منكم.. ربما..».

خطت برونوين خطوة إلى الأمام قبل أن يذكر اسمها، وبدا جلياً أنه على وشك أن يذكره. فبغض النظر عن الموقف دائمًا ما تكون الشخص المنطقي الواعي، وقالت: «يسعدني أن أكون أنا».

وبسرعة قال نوكس: «وأنا أيضًا.. أعتقد أنني آخر من تحدث إليها».

قال الضابط وهو يدس الحقيبة التي وضع فيها هاتف فيبي أسفل ذراعه: «حسناً، أنتما تفيان بالغرض الآن.. أمّا بالنسبة إلى الباقيين، فستنبع على تواصل بحسب ما تقتضيه الظروف، وأوصلوا خبر أنكم تبحثون عن فيبي بين أصدقائها وزملائكم في الصف، اتفقنا؟ هناك احتمال كبير أنها مع شخص تعرفونه».

بعد ذلك توجّه مع السيدة لوتون وأوين إلى سيارتهما، في غضون ذلك طبعت برونونين قبلة سريعة على خد نيت قبل أن تبعهما هي ونوكس. حذّقت مايف بغضب إلى بودابيست، وهو يغادر عبر فناء منزل نيت وقالت متهكمة: «حسناً.. لقد أفادنا أكثر من أي وقت مضى، أليس كذلك؟ يتعامل مع الأمر وكأن فيبي فتاة طائشة كذبٌ على والدتها لتحطى ببعض المرح، أوه وأيضاً.. بالمناسبة لماذا علينا القلق حقاً في أنه لم يمض على فقدها سوى أربع عشرة ساعة؟».

تمتم لويس وهو يضع ذراعه حول كتفي مايف: «إن اللغز الذي لم يُحل حتى الآن، لماذا لم يُطرد هذا الرجل من عمله».

قالت مايف وهي تنظر بقرف للمرة الأخيرة صوب بودابيست: «إنه ليس الشخص الأسوأ بينهم، أنا واثقة إن بحثت عن معنى الكلمة غير كفاء في القاموس ستظهر لك صورة لشرطة بـاييفيو». ثم حركت رأسها، ونظرت صوب لويس: «هل تستطيع أن تقلني إلى المنزل؟ يجب أن أكتفي بحثي في منتدى الانتقام ذلك، إذا كان هناك أي صلة بينهم وبين اختفاء فيبي فلا بد أن هناك بعض الثرثرة في مكان ما».

«طلباتك أوامر.. هل سترافقيننا يا أدي؟».

ترددت.. إذا رافقهما، فسأكون مصدر تشویش لمايف، وسأشتّت تفكيرها، كذلك لا يسعني الذهاب إلى المنزل لأن أمي هناك وستزيد من تووري، وإذا ذهبت إلى شقة أشتون سأوّرها هي الأخرى، وبالطبع هذا آخر شيء تحتاج إليه.. لذلك.

قال نيت عندما شعر بحيرتي: «يمكنك البقاء هنا، والتسكع لفترة، سيتوجب على التوجّه إلى النادي الريفي في غضون ساعة، وفي طريقك إلى هناك، يمكنني أن أقلك إلى أي مكان تريدين، أضيفي إلى ذلك أن سانا أوشكت أن تعود من العمل، وعندها يمكننا أن نسألها إن رأت شيئاً ليلاً أمس. هي لم تتمل وحافظت على وعيها معظم الوقت».

قلت ممتنة: «حسناً، سأبقى».

سألنا لويس، ونحن نتجه إلى مدخل المنزل: «هل تصدّقون أننا كُنا نشاهد إعلان كوبر التجاري منذ أقل من ساعة؟».

أجبته ومايف في آن معاً: «كلا..». وأضافت: «أشعر أن أسبوغاً مزّ علينا».

قال لويس وهو يفتح الباب لمايف وبدا مكتئباً: «لا شيء يجعلني أشعر بالحماسة مثل اللياقة البدنية». كان يفترض بهذه الجملة أن تكون مضحكة، ولكنها لم تكن كذلك في تلك الأثناء.

بدورها قالت مايف ولم تبدأ أقل كآبة منه: «ولا أنا». ثم جلست في مقعد السيارة، ووضعت حزام الأمان، وأغلقت الباب، وأطلت برأسها عبر نافذة السيارة المفتوحة، ووعدتني قائلة: «سأراسلك إذا وجدت شيئاً».

قلت: «حسناً، شكرًا».

ابتعدت السيارة، وبقيت واقفين بصمت على الرصيف. خلال السنوات السابقة، ومنذ رحيل براوني وكوبر إلى الكلية بقيت ونيت في باليفيو حاول التعرف إلى الطريقة التي سنمضي فيها إلى الأمام، من دون أن يكون لدينا عائلة مثالية، أو مال، أو مواهب. صدقاً أنا لا أغيط برونوين وكوبر على ما يتمتعان به من حياة مفعمة بالنعم والهدايا، بل أشعر بالحظ لأنني على معرفة بهما، ولكنني أشعر بالراحة لأن الطريق ليس ممهدًا أمام صديقي، وليس لديه خطة مستقبلية جاهزة، ويدرك ما يعنيه أن تدفع به الحياة خطوتين أو ثلاث خطوات إلى الخلف كلما تقدم خطوة، أنا ونيت متفاهمان لأننا ترعرعنا في عائلتين تعمهما الفوضى، وتسود الضبابية مستقبلنا، وما من شك أننا مررنا بمراحل متتالية من فقدان النفس، بالمحضر إنه الشخص المثالى لقضاء ساعة من الوقت معه.

سألني: «هل تريدين مساعدتي في إطعام ستان؟ وجبته اليوم صرصار ليل».

ابتسمت له ابتسامة خافتة: «أوه.. كلا.. لقد أخبرتك أنني أطعمنه الفواكه فقط، هل تذكر ذلك؟».

هـز نيت كتفيه وقال: «حسناً تصّرفي براحتك.. لندخل عبر الطريق الخلفي كي لا تُجبر على رؤية ريجي». ثم رفع يديه أعلى حاجبيه ليقي عينيه من أشعة الشمس وهو يعبر الشارع وقال: «يبدو أن فيل اشتري سيارة قديمة أخرى».

يحب جار نيت المتقدم في السن إصلاح السيارات القديمة، ولكن في العادة تكون تلك السيارات رائعة وجذابة أكثر من هذه السيارة الحمراء ذات الغطاء البني الممحمر المركونة أمام منزله متعدد الطبقات.

قلت وأنا أدنو أكثر من الرصيف: «انتظر لحظة.. ربما سيبعدوا ما أقوله عديم المعنى.. ولكن هذه السيارة تشبه كثيراً سيارة كانت تسير أمام مكتب إلي عندما كنت هناك أجلب أمر المحكمة». تفحصت بحذر غطاء السيارة المكسوفة المصبوج بالأحمر البني والذي لم يبد ملائماً لها وكأنه صنع لسيارة أخرى تماماً. «أتذكرها لأن كوبير لاحظها وظل يراقبها من نافذة مكتب إلي، وقال ممازحاً إنه يستبعد أن يطاردنا جيك بمثل هذه السيارة التي تبدو وكأنها خردة.

قال نيت: «حسناً، أعتقد أنه كان فيل، أو شخصاً آخر لا يمانع أن تكون نسبة الصدأ الموجودة في السيارة أكثر من الطلاء».

قلت: «وتلك النوافذ الصغيرة». إنها داكنة جدًّا بحيث لا تستطيع أن ترى الشخص الذي يجلس في داخلها، أردفت: «ألا يعمل فيل بالعادة على سياراته في الممر الخاص بمنزله؟».

«صحيح، ربما ذهب إلى مكان ما».

في تلك الأثناء، فُتح الباب الأمامي مصدراً صريحاً عالياً، وخرج فيل مرتدياً رداء الحمام المخطط بالأزرق والأخضر، وانحنى ليلتقط صحفته، ثم استقام في وقوته، وألقى نظرة خاطفة على السيارة المركونة وعلى نيت وعلياً، وقال بصوت مرتفع وهو يشير بصحفته إلى السيارة الحمراء: «نيت! بالله عليك ذكر أصدقائك أنك تملك ممراً للسيارات خاصاً بمنزلك».

صاح نيت: «ليسووا..» ثم توقف عن متابعة الكلام، وركض عابساً صوب السيارة، وقبل أن يصل إليها هدر صوت محركها عالياً، وابتعدت مسرعة، فاختفت في غضون ثوانٍ مُختلفة وراءها سحابة من دخان العادم. صاح نيت وهو يخاطب جاره: «لم يكن صديقاً لي، هل أنت واثق أنه ليس أحد أصدقائك؟».

أجاب فيل وهو يدخل منزله: «نعم، يا للفتية اللعينين».

عاد نيت مقطب الجبين إلى الرصيف حيث كنت أقف، وقال: «كان الطين يغطي لوحة ترخيص السيارة ولم أستطع قراءة أي رقم».

من شدة القلق شعرت بالغص، فسألته: «من المستحيل أن يكون ذلك جيك أليس كذلك؟ لأنه لا يستطيع..».

أوشكت أن أقول له إنه لا يستطيع أن يكون هنا، ولكنه في الحقيقة يستطيع لأن منزل نيت ليس من ضمن المنطقة المحظورة.

«لا أعرف، ولكن لم تعجبني الطريقة التي انطلقت بها السيارة، أيًّا يكن من يقودها، بمجرد أن توجّهت صوبها».

«خصوصاً بعد يوم كالذي مررنا به».

«هل تعتقد أن هناك صلة بين السيارة وما حدث لفيفي؟».

تنهَّد نيت بقوه وقال: «ليس لدى أدنى فكرة يا أدي».

عندما رنّ هاتفه بنغمة تُعبّر عن المرح، لا يمكن أن يكون هناك نغمة أكثر تعبيراً عن شخصيته. نظر نيت شذراً وبدا قلقاً مثلثي، وظهر الانزعاج على تعابير وجه، وهو يخرج الهاتف من جيبه.

سألته: «هل هي.. هل هي أغنية أم أم بوب؟». وبغض النظر عن التوتر الذي سيطر على اليوم فإن تلك العبارة الأخيرة بدت مضحكة بعض الشيء.

أجابني نيت: «تعتقد مايف أنها مضحكة».

فشرعت أغني مع النغمة: «أم أم أم بوب.. بوبالي رومبا». في الوقت الذي قرّب فيه نيت الهاتف من أذنه والنغمة توشك على الانتهاء: «ماذا؟ آسفة لا أعرف كلمات الأغنية حقاً، عليك أن تعلمني إياها».

سأله نيت بصوت عال: «ما الأخبار يا أبي؟». وبعد فترة من الصمت، عبس قائلاً: «ما هي المشكلة تماماً؟». وبعد فترى أخرى من الصمت، «أحتاج إلى معلومات أكثر من ذلك، بجدية؟ لا تستطيع أن... حسناً، حسناً، أهداً سأصل في غضون خمس دقائق».

سألته بمجرد أن أنهى المكالمة: «ما الأمر؟».

أجابني وهو يعيد الهاتف إلى جيبه: «لا أعرف، ولكن أبي مذعور من أمر ما.. ما رأيك برحلاة سريعة إلى مدرسة بايفيو الثانوية؟».

الفصل الثاني عشر

أدي

الأحد، 5 تموز

صحيح أنه مضى أكثر من سنة على تخرجي من المدرسة الثانوية، ولكن بمجرد أن ترجلت عن دراجة نيت النارية في مرأب سيارات مدرسة بايفيو الثانوية، شعرت مجدداً أنني أديلايد برنتيس، أميرة مدرسة بايفيو الثانوية دائم القلق، التي تعودت كل صباح البقاء في مرأب السيارات هذا حتى يرن الجرس، مستلقية في حضن جيك تفگر في عشرات الأشياء في آن معًا مثل: مزاجه، وشعري، وما هي الأمور الأساسية التي حصلت في دراماً أصدقائي الأخيرة، مثل: هل ستصل تلك الملاحظة اللاذعة التي أدليت بها بخصوص صديق فانيسا الجديد إليها (وصلت بالفعل)، أو هل سأحصل على أصوات أكثر من كيلي في تتويج ملكة الحفلة الموسيقية (لم أحصل). مع ذلك عندما استرجعت كل تلك الذكريات رأيت أنه وقبل أن تحصل الأحداث مع جيك وتي جيه وسايمون كان الأخير يُشكّل باستمرار أعمق مخاوفي، بقيت أفكّر: أنا لست جيدة بما فيه الكفاية، ولن أكون كذلك مطلقاً.

كثيرة هي الأسباب التي لا تجعلني أفتقد المدرسة الثانوية، ولكن هذا السبب يحتل المرتبة الأولى بينها.

أنا واثقة من أن نيت مثلي يسترجع ذكرياته، لأنه وقف مثلي ولم يخلع خوذة الواقعية، في النهاية تتم قائلًا: «ستكون حياتي سعيدة إن لم طأ قدمي هذا المكان مجددًا».

قلت وأنا أربط خوذة نيت الإضافية مكانها: «إنني أشاطرك الرأي نفسه». سأله ونحن نعبر المرأب ونتوجه إلى التغرة في السياج الذي يحيط بالملعب الرياضية لثانوية بايفيو: «هل حصلت على أي معلومات أخرى من والدك؟».

هزّ كتفيه: «كلا».

«يريدك أن تقابله في كوخ المعدات؟».

«أجل، أعتقد أنه عثر أخيرًا على مفاتيحه».

«أين يقع الكوخ بالتحديد؟».

«خلف ملعب البيسبول». شعرت بالراحة نوعًا ما لأنه لم يقل خلف ملعب كرة القدم، لأنني أفضل المرور واسترجاع ذكريات كوير في الملعب على أن أتذكر أشياء لها علاقة بـ... قلت قبل أن أعجز عن التكلم «جيءك».

وكانني أؤدي أسوأ خدعة، سحرية وكان عقلي الباطن استحضره من العدم بوحي من زوايا مدرسة بايفيو القديمة، فجأة رأيته أمامي على بعد أقل من خمسين قدماً، يرتدي بلوزة وشورتًا رياضيًّا، يقف بالقرب من القاعدة الرئيسية في الملعب بجانب رجلٍ قوي البنية، فتجمّدت في مكاني.

قال نيت هامسًا: «أوه اللعنة.. كم أنا مُغفل. لقد أخبرني والدي أن جيءك يتمرن هنا بين الحين والآخر، ولكنني لم أتوقع... ما كان يجدر بي أن أحضرك معي إلى هنا، أنا آسف أدي، دعينا نذهب».

قلت في الوقت الذي كان فيه جيءك يتقدم صوبنا: «كلا». ففي النهاية كان من المحتم أن يحدث مثل هذا اللقاء؟ لا أستطيع أن أبقي طيلة حياتي عالقة في حدود المنطقة المحظورة لأتجنب حنق جيءك، لقد فعلت ذلك بما فيه الكفاية عندما كنّا نتواعد.

تبادلنا النظارات لثوانٍ بدت وكأنها ساعات، وسمعت دقات قلبي في أذني وكأنها قرع الطبول، وهذا ما حال دون سمعي شيئاً مما قاله نيت، وتشوّشت رؤيتي قليلاً، وللحظة خفت أن أغيب عن الوعي، ولكن في اللحظة نفسها اختفى الدوار، ليحل محله شعور غريب من السكينة، فيحسب ما

أمضيت الشهر الماضي، أفكّر فيه واتخّيله، هذا أسوأ ما يمكن أن يحصل لي، ولكن مع هذا لا أزال محافظة على رباطة جأشني.

وسأبقى هكذا على الدوام.

بهدوء رفع جيك إحدى يديه؛ لم يبُدُ وكأنه يلُقّح لنا، بقدر ما بدا محاولة للتهدئة من روعي.

قال: «لم أتوقع أن أجده أحدًا هنا.. سأذهب».

كانت تلك هي الكلمات الأولى التي يخاطبني بها جيك منذ تلك الليلة في الدغل خلف منزل جاني، عندما كان يختنقني ويقول كان يفترض بك يا أدي أن تكوني في السجن وليس نيت، ولكن هذا يفي بالغرض أيضًا.

حاولت أن أطرد تلك الذكرى بعيدًا، فقلت بوضوح وصوت عال: «افعل ما تريده، فلا علاقة لي بما تفعله». ثم أجبرت نفسي على التوجّه صوب المدرجات، في الوقت الذي سار فيه نيت إلى جانبي صامتًا.

هذا أمر آخر جيد عن نيت: يعرف متى عليه أن يلوذ بالصمت.

ناداني جيك: «أدي». بالطبع لا يستطيع أن يغادر بهذا الشكل، لقد حاول أن يتصرف وكأنه شخص هادئ ومصلح بجانب الشخص الذي يقف بجواره، ولكن جيك لم يتعود أن تكون الكلمة الأخيرة لي.

بمجرد أن ابتعدنا عن الساحة واحتفينا خلف المدرجات، قال نيت وهو يمرر أصابعه عبر شعرِي الأشعث ذي اللون الداكن: «أنا آسف لما حدث، لقد أبليت حسناً، مع أنك لم تكوني مرغمة على ذلك، لقد أفقدني اتصالِي والدي التركيز، و...».

قاطعته: «أنا بخير». وتفاجأت من إدراكي أن الأمر حقيقي، ربما لأن رؤية جيك غير المتوقعة هي ثاني أسوأ شيء قد حدثالي يوم، أضف إلى ذلك أنه لم يسبق لي أن رأيت نيت مضطرباً إلا في ما ندر، فقررت أن أستمتع باللحظة. ربّت ذراعه وأضفت: لم يسبق لي أن رأيت نيت مضطرباً إلا نادرًا جدًا لذلك يجب الاستمتاع بذلك، أربت على ذراعه وأضيف: «أفهم ذلك، ولكن أصدقاءك سيبقون دائمًا إلى جانبك يا نيت، ولن يُطلق أيّ منهم أحكاماً مسبقة لأنك معجب سري بفرقة هانسون».

«أتعرفين؟ سأترك رنة الهاتف على هذه النغمة، وتبًا لهم جميًعاً».

«هذه هي الروح التي أريدها إلى جنبي، والآن أين هو...».

قبل أن أقول كوخ المعدات ظهر باتريك ماكولي أمامنا ورأيت الكوخ الصغير حلفه، إنه يرتدي بلوزة باهتة اللون، وبنطال جينز فضفاضاً يبدو أنه أكبر من مقاسه بمقاسين، وهناك حلقة من المفاتيح معلقة على طرف حزامه. سبق لي أن قابلت والد نيت صدفة عدة مرات، منذ أن بدأت الخروج مع نيت، وأدهشني مقدار الغم والهم اللذين يظهرهما، تعمقت تجاعيد وجهه وبدأ متوتراً عندما صاح قائلاً: «هل وصل الإسعاف؟».

تبادل نيت النظرات، ثم سأله نيت وبدت نبرة صوته حادة: «الإسعاف؟ ما الذي يجري؟ هل تشرب الكحول الآن؟».

لم يفاجئني أن هذا أول ما فكر فيه، خصوصاً وأنه سبق له أن اضطر عدة مرات لاستدعاء الإسعاف له، خلال الفترة التي عانى فيها من فرط معاقرة الشراب، ولكن السيد ماكولي لم يبدُ لي ثملاً بقدر ما بدا قلقاً.

قال السيد ماكولي وهو يحرك بتؤثر الرباط المطاطي الذي يطوق معصميه: «ليس لأجلني، إنها.. لقد اعتقدت أنها ستصل بحلول الآن، لقد اتصلت بالإسعاف مباشرة بعد أن أنهيت التحدث إليك، كان يفترض بي أن أتصل بهم أولاً ولكنني.. ذعرت قليلاً، شعرت أنني أخطأت لسبب ما». ثم فك حلقة المفاتيح من حزامه، وحذق إليها وكأن لا فكرة لديه كيف أصبحت بحوزته وتتابع: «أظنّ أن هذه هي السبب».

قال نيت وهو يشدد على كل حرف قبل أن يسكت: «خطؤك؟ بسب..». بدأ في غاية الاضطراب عاجزاً عن الإتيان بشيء سوى التحديق إلى حلقة مفاتيحه: «أين وجدتها؟».

عاود السيد ماكولي تحريك الرباط المطاطي مجدداً وقال: «حسناً، لقد فعلت ما قلته لي، وبحثت في كل الأماكن التي ذهبت إليها خلال الأسبوع الماضي وفي العمل، وعندما وصلت إلى الكوخ وجدت سلسلة المفاتيح هنا معلقة بالقفل من الخارج، ثم عندما فتحت الباب...». نظر إلى الحلف صوب الكوخ وقال: «من الأفضل أن نعود، ما كان يفترض بي أن أتركها خلفي، ولكنني سمعت أصواتاً في الخارج فطمنت..».

شعرت بالعرق البارد يتصلب خلف عنقي، وسألت: «ترك من؟».

بسرعة، تجاوزني نيت وتجاوز والده ودفع باب الكوخ بقوة بحيث فتحه على مصراعيه، واحتفى داخل الكوخ بعد أن تنفس بعمق، فتبعته ببطء ريثما

تتعود عيناي على التغيير الحاصل من ضوء الشمس الساطع إلى العتمة
المسيطرة على الكوخ المعن، فرأيت نيت يجثم عند أحد الجدران، وينحنى
فوق...
...

صرخت: «فيبي!».

ركضت صوبها مسرعة، وتتسارعت نبضات قلبي في الوقت الذي
جثوت فيه إلى جانب نيت. أنسد فيبي إلى الجدار وكأنها دمية محسوسة مهملة،
وقد تلطخت ملابسها بالأوساخ، وتدلّى شعرها الأجاد فوق وجهها الشاحب، لم
أستطع التفكير في شيء سوى أنها تأخرنا، حدث شيء مرعب ولا نستطيع
إيقافه بعد الآن.

ارتعدت فيبي وتحركت أجنانها قليلاً، فقلت وأناأشعر بتقطّع أنفاسي:
«أوه، حمداً لله» وفي الوقت نفسه قال نيت: «ما الذي حصل بحق السماء؟».

سألتها وأنا أمرر يدي أسفل ذقنها: «هاه؟.. فيبي هل تسمعينني؟ أنا أدي
ومعي نيت، ستكونين بخير، المساعدة قادمة في الطريق». أغمضت عينيها
مجداً، وظلت أنفاسها منتظمة، ولم تظهر عليها جروح باستثناء..

قالت نيت: «ذراعها». نظرت إلى حيث أشار، فشهقت لكن صوتاً لم
يخرج من فمي.

لقد كتب على ذراع فيبي اليسرى بقلم تخطيط أسود من نوع شارب،
وكتب الأحرف كبيرة وعربيضة جداً بحيث يستحيل ألا نرى ما كتب:

تمرین

الفصل الثالث عشر

فيبي

الثلاثاء، 7 تموز

قلت بتحفظ وأنا أجلس في المقهى الأمامي إلى جانب كوبر: «شكراً، لأنك أتيت لتقليني».

ردد عليّ بصوت عالٍ غطّى عليه صوت المحرك الصاخب: «لا شكر على واجب.. أعتذر على كل هذا الصنف».

قلت، وأنا أضع حزام الأمان: «لا بأس». لم يبدُ الأمر جيداً، ولكنني ما كنت أبالي، فهذه هي المرة الأولى التي أغادر فيها غرفتي منذ يومين تقريباً، وربما كنت جالسة الآن في غرفتي لو لم يعرض كوبر أن يقلني إلى كافيه كونتيجو للتلقي مع بقية أفراد طاقم بايفيو، حتى أن والدتي - على الرغم من رعبها مما حدث في الرابع من تموز - تشعر أنني بأمان عندما يكون كوبر إلى جانبي.

قال كوبر وهو يحاول الوصول إلى المقهى الخلفي ليناولني علبة بلاستيكية حافظة: «أرادت نوني أن أعطيك هذه، إنها تحتوي على الكوكيز، طلبت مني أن أدعوك إلى زيارتها وتناول الغداء معها عندما تستطعين ذلك».

أجبته وأنا أجد صعوبة في ازدراد لعابي: «أخبرها أنني ممتنة لدعوتها لي، وسأحرص على تلبيتها». ثم فقدت قدرتي على الكلام قبل أن أخبره أنني

آسفة لأنني فوّتت حفلة حضور إعلانه التجاري، ولكنني شاهدت الفيديو الليلة الماضية، ولاحظت كم بدا مرّاً.

سألني وهو يبتعد: «كيف حالك؟».

أجبت: «جيدة». هذه الكلمة البسيطة ما كانت تستطيع التعبير عن عطلة نهاية الأسبوع التي حظيت بها، لا أتذكر الكثير منها، لأنّه، وبحسب تقرير السّموم، فقد كان هناك كمية كبيرة من دواء روهيبنول الممنوم في دمي عندما ظهرت نتائج الفحوصات التي أجريت لي في مستشفى بيفيو، سألت الطبيبة وأنا أمسك بطرف في رداء المستشفى وألقيه حولي بإحكام: «هل قام أحدهم بـ...».

فقط اعترضتني مؤكدة: «أجل لقد خذلوك أحدهم».

اجتاحتني موجة من الرعب أشعرتني بالغثيان، لم يسبق لي أن شملت إلى حد فقدت فيه الوعي، لذلك ربما كان علىّ أن أدرك أنّ خطبًا ما أصابني، ولكنني لم أفهم ما جرى، حتى تلك اللحظة التي حسبت فيها كيف جرت أحداث تلك الليلة المفقودة من ذاكرتي. عندما استيقظت ووجدت أدي ونيت إلى جانبي، كان فمي جافًا وكانت أعاني من صداع قوي، فظلت أنتي دخلت الكوخ وتحولت فيه طوغاً، حتى بعد أن رأيت الكلمة المكتوبة على ذراعي، اعتقدت أن أحد الحمقى من الحفلة كتبها، ولكن بمجرد أن قالت الطبيبة ميندوزا إن أحدهم خذلوك، لم أستطع التفكير إلا في شيء واحد: من؟ ولماذا؟

عندما وصلت المستشفى كانت ثيابي مغبّرة، ولكنني كنت أرتديها ولم تكن ممزقة، ووجدت العقدة التي عقدتها في حزامي في حمام منزل نيت على حالها، وهذا أمر مطمئن، ولكنه لا يغير حقيقة أن شخصًا ما قد دسّ مخدّرًا في شرابي، وسحبني من فناء منزل نيت، ثم كتب على ذراعي. لقد مسحّث الكلمة عن ذراعي فأصبحت نظيفة وخالية من أي حبر، ولكنني أقسم إنني في كل مرة أنظر فيها إلى ذراعي، أشعر أنني لا أزال أستطيع رؤية تلك الأحرف العريضة، والشعور بها، وكان من دونها كتبها بالنار على جلدي.

قال أحد الممرضين الذين كانوا في المستشفى عندما ظنّ أنني لا أسمعه: «يا له من مقلب مقرف ومرىض، المراهقون في هذه البلدة مرعبون إلى أقصى درجة، أليس كذلك؟».

ربما هو محق في ما توصل إليه، ولكن لسبب ما، لا أظنّ أن كلمة مقلب تعبّر عما حصل لي. سألني رجال الشرطة من أين حصلت على مشروباتي تلك الليلة، وآخر مشروب استطعت تذكره هو الذي قدمه لي

شون، لن أتهم شون موردوك بأنه دسّ المخدر لي بالإضافة إلى أن الطبيبة قالت إن المنوم لا يسري في الجسم بسرعة، وأن تشوبيش الرؤية الذي حصل عندما كنت أتحدث إلى شون وجولز ومونيكا يعني أن المخدر كان قد وصل إلى دمي بالفعل، بالإضافة إلى ذلك يستحيل أن يكون شون هو من أحضرني إلى كوخ المعدات في مدرسة بايفيو الثانوية، فقد أخذت كريستال مفاتيحة، وأرسلته إلى المنزل مع أحد أصدقائها.

قبل ذلك أخذت شرابةً من نوكس ولويس، وكلاهما أثق بهما ثقة عمياء، ثم قدّمت لي فانيسا مشروباً بعد أن ابتعدت عن زاوية طاقم بايفيو، ثم أخذت منها خلسة شرابةً آخر، وهذا ما اعتبرته شرطة بايفيو أمراً مثيراً للاهتمام، ولكن إذا افترضنا أنني شربت شرابةً يحتوي على المنوم بالخطأ، وكانت فانيسا الشخص المستهدف، فلماذا أخذت أنا من منزل نيت وتركت في الكوخ؟

كذلك هناك الوقت الذي قضيته في غرفة ريجي، وأنا بالكاد أستطيع تذكر شيء عنه، هل يعقل أن أحدهم أعطاني شرابةً وقتها؟ هل كان ريجي؟ لا أظن ذلك، ولكن ذكرياتي عن تلك الليلة مشوشة، ولست متأكدة مما حدث في الفترة بين مغادرة الحمام وإخراجي من منزل نيت.

أنا واثقة من أنني لم أرسل رسالة لوالدي أعلمها فيها أنني سأنام في منزل أبي، لأنني ببساطة وبغض النظر عن تشوشي، من المستحيل أن أنسى أنها كانت غاضبة مني، ومن المستحيل أن أرسل مثل هذه الرسالة الطويلة من دون أخطاء إملائية، ولكن إن لم أكن أنا من كتبها فمن يكن؟ لا بد أنه شخص يعرف أصدقائي جيداً، وكان متأكداً من أن شخصاً لن يلاحظ غيابي لفترة طويلة، ففتح قفل الأمان في هاتفه بعد أن وضعه أمام وجهي، وبحث في قائمة جهات الاتصال عن رقم والدتي.

فيبي لقد ارتكبت خطأ جسيماً.

هل فعلًا قيل لي ذلك، أم أنني كنت أحلم، خاصةً وأن هذه الجملة تبدو من الجمل التي لا أكف عن ترديدها.

حاولت أن أُنحي هذه الأفكار جانباً، وأركز على الطريق.

قلت في الوقت الذي تجاوز فيه كوبر المنعطف: «لقد تجاوزت المنعطف المؤدي إلى كافيه كونتيجو».

قال: «أعرف.. إن لم يكن لديك مانع فسأقلك إلى مكان آخر، إنه في آخر الشارع».

غلبني الفضول فسألته: «أين؟».

قال في الوقت الذي دخل فيه منعطفاً آخر: «متجر السيارات الذي سبق لمامي أن عمل فيه». سأله: «هل ستصلاح سيارتك؟».

أجاب كوير: «كلا، نحن لسنا متوجهين إلى هناك من أجل ذلك». ثم قاد السيارة إلى مرأب سيارات محجوز محاط بسياج، وركن بالقرب من أكثر سيارة متهالكة رأيتها في حياتي، فلم يكن لها إطارات، ولا ممتص صدمات في الجهتين الأمامية والخلفية، وقد كساها الغبار بالكامل: «لقد فصلت عنها القطع المفقودة، وستنقل قريباً إلى ساحة الخردة، ولكن قبل أن يفعلوا ذلك.. حسناً دعني أريك».

ترجلت وكوير من سيارته الجيب، فأمسك بمطرقة كبيرة الحجم مررية بجانب السيارة وقال: «بعد موت سايمون، وعندما ساءت الأمور كثيراً، أحضرني لويس إلى هنا، كان هناك سيارة مثل هذه، أعطاني مطرقة ثقيلة، وطلب مني أن أصبّ جام غضبي عليها حتى أشعر أنني أصبحت أفضل حالاً، وقتها بدت الفكرة غريبة ولكنها ساعدتني فعلاً، لذلك فكّرت بأن الأمر سيساعدك أنت الآخر».

وقفت مكانه وحدقت إليه، وهو يضرب الباب بالمطرقة فيحدث فيه التواهً وقال: «لا أستطيع تخيل كل ما حدث لك ليلة السبت، ولكنني أعرف ما يشعر به المرء عندما لا تكون حياته ملكاً له، ويبدو أنه لا تستطعين التحدث عنها».

لوح كوير مجدداً بالمطرقة، من دون أن تبارح نظرته السيارة وقال: «عندما أخبرت نوني بما حدث، قالت هذا مرعب، خاصة أن هذه الفتاة الصغيرة تعاني من آلامها الخاصة بالفعل». شعرت بحريق في عيني في الوقت الذي كان يتحدث فيه: «وعندما سألتها عمّا تعنيه بكلامها هذا اكتفت بالقول حسناً، لم تقل أي شيء محدد، ولكنني أستطيع معرفة ذلك ولا تخطئ نوني أبداً حيال أمور بهذه». استدار كوير نحوه وأعطاني المطرقة الثقيلة: «لا تقولي شيئاً، ولكن إذا كان ضرب شيء ما بالمطرقة سيساعدك على التحسن قليلاً، فاضربني».

أمسكت المطرقة بحذر شديد، يملكتني شعور جيد حيال حملها في يدي، ولكن قدماً تصلبنا في مكانهما لفترة طويلة وفي النهاية قال كوير: «إذا لم تعجبك الفكرة يمكننا أن نغادر».

قلت: «كلا». ثم تنفست بعمق وأنا أرفع المطرقة فوق كتفي: «إنها ليست فكرة سيئة». خطوت خطوة نحو السيارة، ثم حددت هدفي، وسدلت بكل ما أوتيت من قوة ضربة صوب باب السيارة، فشعرت أن ذلك أرضاً يشكل لا يمكن وصفه، لذا، تراجعت قليلاً، وكررت الأمر، وتحركت صوب غطاء المحرك، وسدلت إليه سلسلة من الضربات المتتالية، ضربة مقابل كل أمر سيئ حصل لي خلال الأشهر القليلة الماضية: معرفة سبب وفاة والدي، لعبة جرأة أو تحدٍ، موت براندون، زعزعة العلاقة مع إيماء، وظهور جيرارد، وكذب أوين، ثم شعوري بأن عليّ أن أفصل نفسي عن نوكس ومايف وأدي وكل شخص آخر أهتم لأجله، ثم تخييري وسحبتي إلى ذلك الكوخ اللعين.

كثيرة هي الضربات التي وجهتها إلى السيارة، وإن كانت ذراعي قوية بقدر الغضب والجروح التي في داخلي حقاً كانت السيارة ستتحول إلى ذرات من الغبار، صحيح أنها لم تصبح ذرات من الغبار، ولكنها أصبحت بحال أسوأ بكثير مما كانت عليه عندما وصلنا. أخيراً، توقفت وتنفست بعمق، ثم نظرت صوب عيني كوبر اللطيفتين، فلم أجد فيهما شيئاً من الانتقاد أو الأحكام المسبقة قلت: «شكراً، لقد كنت محقاً، كنت بحاجة إلى هذا».

الفصل الرابع عشر

فيبي

الثلاثاء، 7 تموز

أخيراً، وصلت وكوبر إلى القسم الجديد من كافية كونتيجو، على السطح، الذي لم يفتح بعد أمام العامة، حيث سبقنا كل أفراد طاقم بايفيو، ومن الطبيعي أن يكون نيت هنا بحكم أنه يعمل في الكافيه. جالت إيفي حول الطاولة حاملة صينية عليها كؤوس، وعندما مررت بجانبها، أمسكت كتفي وعصرتها بلطف، لم أر أيّاً منهم منذ حفلة ليلة السبت عدا نيت وإدي اللذين رأيتهما في الكوخ في اليوم التالي، ولا أذكر كثيراً ممّا حدث، جميعهم اتصلوا بي وراسلوني وعرضوا عليّ أن يمرروا وبخّففوا من هول الحادثة، ولكنني لم أرهم وجهاً لوجه قبل اليوم.

لذلك لم أتوقع كل هذا اللطف: كثير من الأحصان، والاهتمام، والغضب مما أصابني، شعرت لدقائق وكأنني عدت إلى الأيام التي سبقت دخول جيرارد إلى حياتنا، عندما كنت جزءاً من الفريق، ولم يكن لديّ ما أخفيه. ربما ساعدتني حقيقة أنني منهكة من كل الضربات التي وجهتها للسيارة فلم أشعر بالتتوّر، وحقيقة أن قسم السطح لم يفتح أمام العامة بعد وبالتالي فهو يتمتع بالخصوصية المثالية.

أخيراً، بعد أن وزّعت إيفي كل الكؤوس، فتحت مايف حاسوبها المحمول، وبدت عيناها مشرقتين وهي تقول: «حسناً، الآن إذا كان الجميع جاهزين لنبدأ بمشاركة المعلومات.. لأن لديّ بعضًا منها».

اجتاحتني موجة من الخوف من أن تكون قد اكتشفت أمراً له علاقة بأوين، ولكن إن عرفت شيئاً ما كانت ستنظر إلى عينيهما العطف والقلق.

قلت: «نحن جاهزون». ونظرت إلى نوكس الواقف خلفي، إنه ينحني قليلاً بسبب طوله، ويمسك بكأس السبراييت الغاري بيديه: «إذا كان الجميع مرتاحين على السطح؟ وإلا... نستطيع بالطبع الانتقال إلى...».

قال نوكس وهو يرخي قبضته عن الكأس: «أنا بخير، أبدأي يا مايف».

«حسناً، لقد أمضيت الساعات الثمانية والأربعين الماضية أحارب العثور على شيء عن منتدى الانتقام، ويمكّنني القول إنني لم أكف عن العمل». ثم حاولت أن تكبح تأبهها، وعندها لاحظت الهالتين السوداويين اللتين تحيطان بعينيها. بالطبع لقد سهرت وعملت على ذلك بشكل متواصل، فعندما تتولى مايف مهمة لا يمكن لأي شخص إيقافها.

قال لويس بحنان: «عدا الساعتين اللتين غفوت خلالهما علىّ بعد ظهر اليوم».

قالت مايف وهي تنظر إليه بقسوة: «كان يفترض بك أن توقظني، لقد أضعت وقتاً ثميناً، ولكن على أي حال لقد وجدت... في الحقيقة لم أجد شيئاً».

تردد صوت أدي: «لا شيء؟».

أوضحت مايف وهي تتحرك قليلاً في مكانها: «لا أعني أنني لم أجد شيئاً على الإطلاق، لقد تمكنت من تعقب عدد من الفتيان الذين سبق لهم أن نشروا على موقع (الانتقام ملكي) و...».

قاطعها كريس: «وكيف فعلت ذلك؟».

قالت مايف بهدوء: «الأمر بسيط، كان لدى لقطات للشاشة تظهر اسم المستخدم، لذلك حاولت بالاعتماد عليها، فهم شاركوا كثيراً من تفاصيل معلوماتهم الشخصية لأنهم لم يجدوا صيراً في ذلك، بما أن منشوراتهم تُحذف».

قالت برونونين وهي ترتشف رشفة من شرابها: «لا تشڪّ بطرقها، فعامة البشر غير قادرين على فهم أساليبها».

تابعت مايف: «في النهاية وجدت بعضاً منهم على تطبيق (TOQ)».

سألها كريس: «تحّدث TALK؟».

أجابت مايف: «أجل، إنها تنطق مثل /TALK/ ولكنها تكتب /TOQ/، وهو أحد التطبيقات التي تتيح الكلام بحرية تامة، نشأ على أرضية أولئك الناس الذين أصبحت منشوراتهم مرعبة جدًا لدرجة لا يسمح لهم بالنشر على موقع التواصل الاجتماعي العادي، المنشورات على /TOQ/ مفعمة بالعنصرية ونظريات المؤامرة، مما يجعل منه مكانًا فعالًا للغاية لاختباء مثل أولئك الفاشلين، لن يرغب أي شخص واعٍ سليم فيقضاء الوقت عليه». ثم رسمت ملامح ساخرة على وجهها ورفعت هاتفها عاليًا: «أعرف ذلك، لأن لدى حسابًا، اسمه هو تامي لي سبينس، وصدقوني لا أحد منكم يرغب في معرفة هواياتي».

كشّر نوكس: «يع.. يا لها من طريقة تعانين فيها من أجل الطاقم يا مايف».

تابعت مايف: «لقد انضم جميع فتيان نادي (الانتقام ملكي) منذ عدّة أشهر، وهم ينشرون في كثير من الأحيان. لقد أشاروا إلى جيرارد أكثر من مرة من دون أن يذكروا اسمه بل اكتفوا بذكر الحرفين الأولين من اسمه ج.ج، ولكن يبدو جليًا أنه المقصود، لا يبدو أنهم يهتمون لأمر أو لما حدث له، أو يخططون شيئاً، فهم يعتبرونه فاشلاً لأنه قُبض عليه».

سألت أدي: «هل ذكروا إلى؟ أو شركته للمحاماة؟».

أجابت مايف: «كلا، لقد قرأت جميع منشوراتهم على تطبيق TOQ، بالإضافة إلى منشورات مشابهة من تطبيقات أخرى، ولكنني عرفت أن ذلك لن يكون كافيًا لكم، لذلك..». ثم ظهرت تعابير الامتعاض على وجهها وهي تقضم شريحة الحامض، وأردفت: «لذلك تحدثت تامي لي طوال الليلة عبر المحادثات الخاصة مع الذي يحمل اسم قنديل البحر».

فتح نوكس فمه مندهشًا: «انتظري لحظة.. هل تعنين ذلك الشخص الذي كان دائمًا يتذمر على موقع (الانتقام ملكي) ويقول إنه سينتقم من أستاده؟».

أجابت مايف: «هذا هو بذاته، وهو لا يزال يتذمر، وحاول إقناع تامي لو بالذهاب معه إلى تجمع شاحنات مونستر (مونستر جام)».

وضع لويس يديه على صدره وقال: «لا أصدق أنك تخونني مع شخص يسمّي نفسه قنديل البحر، ولكن على الرغم من ذلك تبدو فكرة الذهاب إلى تجمع شاحنات مونستر فكرة مرحة، أليس كذلك؟».

قالت مايف: «لا».

سألها لويس: «هيا فكري في الأمر، أسألني نفسك ماذا كانت تامي لو ستفعل؟». ثم توقف وتأخير تعابير وجهه وأصبحت جدية وقال: «هل يستطيع أن يتعقبك ويعرف من أنت حقاً؟».

هزمت مايف رأسها نافياً الأمر بشكل قاطع: «من المحال، فقد كنت حذرة جدًا». ثم نظرت صوب أدي وتابعت: «مهدت الطريق لكي يثق بي. لقد تفاخر بشأن الكثير من التصرفات الغبية ولكن لا شيء منها له علاقة بفيفي، أو بلعبة جرأة أو تحدي، أو اختراق لوحة الإعلانات، ولم يشر إلى سايمون أو إلى أو إيمى أو حتى جيك. لذا، لا أظن أن لقنديل البحر - بالمناسبة إنه يزعم أن اسمه الحقيقي هو أكسيل وهو على الأغلب حقيقي بقدر تامي - أو أحد من هؤلاء علاقة بما حدث. بالطبع، لن أكفر عن البحث، ولكنني لا أظن أنهم خططوا لأي شيء من ذلك».

أبعد كوبر شوكته، ولاحظت أنه تناول نصف صحن المقربات في الوقت الذي تحدثت فيه مايف، بينما لمأكل لقمة واحدة. رفعت قطعة من الإيماندا وقضمت حافتها في الوقت الذي قال فيه كوبر: «حسناً، يمكن اعتبار ما قلته أخباراً جيدة، أليس كذلك؟».

أجابت مايف في الوقت الذي تنهدت فيه أدي بشكل مسموع: «أعتقد ذلك، خاصة بالنسبة إلى إلي وآشتون، ولكن ذلك لا يزورنا بكثير من المعلومات التي قد تساعدنا في معرفة من اخترق لوحة الإعلانات أو فعل ذلك بفيفي، كل الثرثرة التي تدور حول ذلك تحدث على موقع التواصل الاجتماعي وليس سرية».

أقحمت أدي شوكتها في صحن عميق يحتوي على صلصة الغواكامولي. لا يبدو صحن المقربات الخاص بها أفضل حالاً من صحي، ويبعد أنها هي الأخرى لم تستطع تناول أي قطعة. سالت: «ماذا لو.. هل يظن أحدكم أن جيك هو من فعل ذلك بفيفي؟».

شعرت بالقشعريرة تجتاحني عندما سأل كريس: «ولكنه تحت المراقبة الآن، أليس كذلك؟».

قالت أدي: «نعم، أعتقد ذلك، ولكن على الرغم من هذا.. الأمر هو..». ثم نظرت بعينيها الدافتين صوبي وقالت: «آسفة، لأنني سأضطر لذكر معاناتك مجددًا، ولكن هل لديك مانع إذا تحدثت عن ذراعك للحظة؟».

قلت: «لا بأس، أنا بخير». شعرت أن تلك الأحرف الوهمية تخز ذراعي وأنا آخذ لقمة ثانية من الإيماندا.

قالت أدي: «لقد فكرت في المعاني المحتملة لتلك الكتابة، وحينها تذكرت ما أخبرتني به عندما بدل جيك إطار سيارتك المتقوب، قلت إنك لم تشكريه، لذلك قلت له شيئاً مثل: علىي أن أتعلم كيف أبدل إطار السيارة، أليس كذلك؟». فأومأت برأسني مؤكدة، فتابعت: «وحيثها رد قائلًا: كل ما عليك هو التمرин».

خيم الصمت على الطاولة، وتجددت يد كرييس التي يحمل فيها شوكته وهي في منتصف طريقها إلى فمه. فتح نوكس فمه مصدومًا، وجحظت أعين برونوبن ومايف فأصبحت كل واحدة منهما في تلك اللحظة نسخة طبق الأصل عن الأخرى. شعرت بطعم الإيماندا في فمي وكأنه تراب فاضطررت لارتساف كمية كبيرة من شرابي - كولا للحمية - لأنستطيع بلعها. تنهد كوير وكان أول من تكلم: «كلا، هذا غير ممكن... لا بد أن ذلك الحوار مجرد مصادفة، صحيح؟ تمررين من أجل ماذا؟».

قالت أدي: «من أجلني».

صرخت برونوبن محاولة أن تتغلب على صوت الضجيج والفووضى: «أدي، كلا!.. كانت الشرطة ستعرف، فهو يُطوق كاحله بجهاز تعقب!».

أوضحت أدي: «ولكن يسمح له أن يوجد في مدرسة بايفيو الثانوية. يمكن أن يكون هو الشخص الذي أخذ مفاتيح والد نيت، حتى أنه كان هناك يوم وجدنا فيبي».

قال نيت: «برفقة ضابط الإفراج المشروط؟ والأمر يحتاج إلى وقت، أليس كذلك؟ وأنا متأكد من أنه لو كان موجودًا في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وفقدت فتاة، كان أحدهم سيلاحظ ذلك».

قالت إدي بجفاف: «بصفتك شخصاً يعيش في بايفيو تفاجئني ثقتك بجهات تطبيق القانون، بالإضافة إلى أن كل ما يحتاج إليه جيك هو صديق واحد لديه مهارات مايف وبمجرد أن يمضي نصف ساعة على الشبكة السوداء أو أيًّا يكن سيلعلم طريقة اللالعب بجهاز التعقب». فتحت مايف فمها لتحتّج على

ذلك، ثم أغلقته مجدّداً لأن... أجل على الأغلب يمكنها أن تكتشف آلية عمله وتعديله. أكملت أدي: «وكوبر.. هل تذكر تلك السيارة الحمراء التي رأيتها عند مكتب إلي؟ تلك التي غطاًهابني محمر وغير متناسق معها؟ حسناً لقد رأيتها ونيت بالقرب من منزل جاره قبل أن نغادر إلى مدرسة بايفيو الثانوية في اليوم الذي وجدنا فيه فيبي، وجيك يعرف تماماً أين هو كوخ المعدات، و...».

قاطعتها برونوبن بياس: «توقفي أدي، الأمر غير منطقي، لماذا سيفعل جيك شيئاً كهذا؟ ما دام قادرًا على متابعة حياته من دون التدخل بحياة أي شخص وحياتها». ثم تباطأت وتوقفت، ومن الواضح أنها لا تريد أن تكمل تلك العبارة بـ حينها سيصبح رجلاً حراً تماماً.

سألتها أدي: «ومنذ متى جيك شخص منطقي؟».

اعترفت برونوبن: «أنت محققة بالقلق حيال الأمر يا أدي، ولكن يستحيل أن يكون له علاقة بلوحة الإعلانات أو بالمنشورات الإعلانية التي وزعت حول المدينة، فقد حصلت قبل أن يُطلق سراحه».

تذمّرت أدي: «هل تذكرون المقال الذي نُشر في صحيفة بايفيو بليد عن جيك؟ لقد ذُكر فيه أن لديه العشرات من الأصدقاء الذين يراسلونه كتابياً، العشرات. وحده الله يعرف نوع الأشياء التي قد يوافق عليها شخص ما إذا خُدع بالاعيب جيك وأقواله». ثم نظرت إلى وقالت وكأن شيئاً طارئاً خطر على بالها: «فيبي، هل رأيت شخصاً يشبه جيك في الحفلة؟ أو سيارة حمراء؟ أو أي شيء آخر لم تذكريه أمامنا ربما يُساعدنا؟».

نظر الجميع إلى، فاحمر وجهي ونظرت إلى صحي، وفُكّرت في ما سبق لكورب أن قاله في مرأب السيارات: أعرف ما يشعر به المرء عندما لا تكون حياته ملكاً، وأن تشعرني وكأنك لا تستطعين التحدث عنها.

كم سأرتاح لو أستطيع قول الحقيقة في ما يتعلّق بأوين، ولكن مؤخراً اتصلت بي إيماناً بعد ظهر الأحد، ووعدتني أنها ستعود إلى المنزل بمجرد أن تعثر على تذكرة سفر بسعر معقول، وقالت: «آسفة لأنني لم أستطع الوجود إلى جانبك، الأمور صعبة هنا، ولكن هذا لا يبرر أن لا أكون إلى جانبك، كل ما أريده هو أن لا تقدمي على شيء قبل أن أعود، حسناً؟ هناك الكثير من التعقيبات».

من شدة إرهافي لم أستطيع سؤالها: أي تعقيبات؟ واكتفيت بقول: «حسناً».

ولكن يجب أن أقول لأدي شيئاً ما، لذلك قلت: «أتذكر ورق جدران».

رمشت: «هاه؟».

فسرحت: «لقد أخبرت الشرطة بذلك، لا أعلم تماماً إذا ما كانت هذه ذاكرة حقيقة ولكنني.. شعرت وكأنني استيقظت ووجدت نفسي في مكان ما لا أعرفه، وكل ما رأيته هو ورق جدران أخضر اللون مطبع بأوراق الكرمة، ولكن ربما كنت أحلم، لأنني لا أتذكر أي شيء آخر.. و....».

قاطعتها أدي: «أوراق كرمة». ثم شحب وجهها لدرجة أنه أصبح بإمكان أي شخص رؤية أنعم ذرات النمش الموجودة على خديها، ثم نظرت إلى كوبر وأضافت: «هل تفكّر في ما أفكّر فيه؟».

أجابها بحذر: «أنا.. لا أعتقد ذلك؟».

«الصالون الشمسي في منزل العطل في رامونا».

حدّقت إلى الجالسين حول الطاولة لأرى إن كنت الشخص الوحيد غير قادر على ربط الأمور، ولكن بدا أن الجميع مثلي.

أيّاً يكن الأمر الذي يتحدثان عنه، فهو أمر لا يعرفه أحد سواهما: «منزل العطل.. ماذا؟ كلا، لم تكن أوراق كرمة تلك الموجودة في الغرفة، بل كانت أشبه بسنابل قمح».

أصرّت أدي قائلة: «بل كانت أوراق كرمة، وكانت خضراء». حركت أدي قرطها وهي تقول: «لقد رأيت أوراق جدران طُبعت عليها أوراق كرمة وليس سنابل قمح». ثم حذجت كوبر بنظرة وأضافت: «في منزل لقضاء العطل في رامونا، إنها بجانب سلسلة جبال كوياماكا، إنها على بعد ساعة من هنا». ثم تنفست بعمق وأضافت: «إن عائلة جيك هي من تملكه».

سايمون

قبل ست سنوات

أذكر طباع عائلة جيك عند النظر إلى منزل العطل الخاص بهم: باهت، غير عملي، ويمكن القول إنه أكثر مما يستحق بالفعل.

خذ على سبيل المثال أثاث غرفة المعيشة، أي عائلة لديها شاب مراهق تشتري أثاثاً ناصع البياض لكل الغرفة؟ آل ریوردان يشترونها. لا يفترض بهم أن يلوموا أحداً سوى أنفسهم لأنني وضعت حذاءي الرياضي القذر على طرف إحدى الأرائك. عندما فتحت دفتر ملاحظاتي وأزلت غطاء قلمي بعد أن أصبحت أخيراً بمفرددي بعد أن غادر السيد والسيدة ریوردان للتسوق وشراء التحف والأنتيكا، أياً يكن هذا، وكان جيك يأخذ قيلولة في غرفته.

أو يتظاهر بأنه نائم. في الحالين كان ذلك جيداً بالنسبة إلىّ.

قلبت في صفحات الدفتر حتى وصلت إلى القسم الذي كنت أبحث عنه: الناس الذين أكرههم.

كنت أكتب بشكل مختصر، لم أحب أن أهدر وقتي في تنمية الكلمات. لقد أضفت اسم برونوين روخاس إلى آخر اللائحة.

أضفته بعد أسبوع من حضورنا النموذج التحضيري لبرنامج الأمم المتحدة الصيفي ذاته معاً. عاشت برونوين في بايفيو أيضاً، ولكنها درست المرحلة الابتدائية والمتوسطة في مدرسة بيوس العاشر بدلاً من أكاديمية بكنغهام مثلني وجيك، لذلك لم يسبق لي أن قابلتها. استطعت أن أعرف مباشرةً أنها سنكون معاً في كل الصفوف والدورات الشرفية وأنها على الأغلب ستكون منافستي على أعلى الدرجات. قررت أنها ليست أذكى مني، ولكنها على الأغلب ستقوم بكثير من العمل الجاد.

ثم كتبت في دفتر ملاحظاتي: تملق الناس لتحقيق أهدافها، صوتها مزعج، لديها كثير من العقد، ثم كتبت قبيحة. ولكن بعد أن فكرت قليلاً مسحت الكلمة الأخيرة، واعتززت بنفسي لأنني عادل على الرغم من أنني قاس. إن صفات الناس الجسدية الأخرى كانت دائمًا تختبر مدى موضوعيتي وحيادي،

فلمجدد أنتي لم أجد أن برونوبن روخاس تملك أدنى مقومات الجمال لا يعني أن شخصاً آخر لن يجدها كذلك، ربما سيكون صاحب ذوق مرعب - من الواضح ذلك - ولكن أياً يكن.

يكفي ذلك اليوم، لم أكن مهتماً كثيراً في إضافة الصفات إلى صفحة برونوبن، وبدلًا من ذلك قلبت الدفتر إلى صفحة فارغة وبدأت الكتابة.

جييك ريووردان

سيئ جدًا في ألعاب الفيديو.

يشاهد برامج التلفاز الواقعية بشكل مثير للسخرية.

يحدق إلى نفسه بالمرأة.

مزيف.

تابعت الكتابة، في الوقت الذي حفر فيه قلمي خطوطاً عميقه في ورق دفتر ملاحظاتي. سبق لي أن فكرت بتخصيص ورقة لجييك - بالطبع - لأن جييك شخص لعين مزعج، ولكنني لم أفعل ذلك من باب الولاء الذي أدرك الآن أنه لم يبادلني إياه.

لقد أحب جييك ووالده أن يستيقظا باكراً عند السابعة صباحاً ليركضا، وعرفا أنه من الأفضل أن لا يدعوني لمرافقتهما، لأنني أحب النوم حتى الظهيرة، ولكنني عانيت من الأرق لأن السرير لم يكن مريحاً - لقد كان الفراش أشبه بمخددة كبيرة ناعمة جدًا بالنسبة إليّ - لذلك استيقظت اليوم أبكر من المعتاد وخرجت، وجلت في الأرض التي يملكتها آل ريووردان والتي تبلغ مساحتها حوالي الفدانين. غلبتني مشاعر الملل الشديد فأخذت أركل الحجارة بقدمي حتى سمعت أصواتاً.

«حسناً، لماذا دعوته؟».

إنه صوت السيد ريووردان والد جييك وكان يلهث بسبب التمرин الذي يؤديانه. كانت الأرض مليئة بالآلات الرياضية التي صممّت لتبدو وكأنها جزء من الطبيعة، مثل القضيب الموضوع داخل الشجرة لعمل تمرين العقلة وعلى الأغلب هذا ما كان يفعلانه لأن جييك أصبح مهووساً فجأة بالحصول على عضلات ذراعين ومعدة.

سأله جييك عابسًا: «من يفترض أن أدعوه إدًا؟».

أجاب السيد ربوردان: «ادع أي شخص تريده، ولكن بالله عليك يا جيك نحن آل ربوردان، منذ متى يقبل آل ربوردان بشخص مثل سايمون كيليهر؟ كان يفترض بك الآن أن تتسع مع صديقك من الميسسيبي، ما كان اسمه؟ ذلك الموهوب بالبيسبول؟».

وقفت صامتاً، محاولاً تحليل تأثير كلام السيد ربوردان علىي، لم أحب والد جيك، ولكنني لم أظن أنه يبادلني المشاعر، لقد تفاجأت، ولكن في النهاية بالأمر سيان لأن رأي سكوت ربوردان لا يهمني.

لكن جيك من الناحية الأخرى.. كان يشتكي مني؟ الآن هذا مهين حقاً، خاصةً أنني أشعر بالاعتذار لأنني صديق جيك، بالتأكيد كان جيك مزعجاً جداً، ولكن لديه إمكانيات ليصبح أفضل بكثير من ذلك، فهو شخص ذو شأن في مدرسة بايفيو الثانوية، وهي مكان أخطط لأكون الحاكم فيه بمجرد أن أصل إليه، لطالما افترضت أن جيك يرى نفس إمكانيات الصداقة فيّ.

قال جيك: «اسمه كوير، أنا أحاول أن أصبح صديقه».

كانت هذه الأخبار جديدة بالنسبة إليّ، لم أكن قد خصّصت بعد صفحة لكتابي في قسم الأشخاص الذين أكرههم، ولكنها على الأغلب مسألة وقت فقط، وبالتالي تأكيد شخص يحظى بكل هذه الشعبية التي لا معنى لها لا يمكن ألا يكون أحمق مكروهاً.

قال السيد ربوردان: «حسناً، إذا حاول بجد أكبر، أو... تعال إلى هنا لوحدك واستغل وقتك في ممارسة الرياضة، وتذكر كلماتي هذه: هناك شيء غريب بشأن الفتى سايمون كيليهر».

قال جيك: «أعرف ذلك، أنت محق يا والدي، أنت دائمًا محق».

الآن كتبت وأنا أرفع قدمي على الأريكة مدلل والده، ثم توقفت عندما وصل إلى أذني صوت احتكاك إطارات السيارة بحصى الطريق، يبدو وكأنّ والدي جيك قد عادا من جولة تسوقهما للتحف، وهذا ما جعلني أنهض عن الأريكة وأختبئ. توجّهت إلى شرفة صغيرة في الطابق الثاني تابعة لغرفة الضيوف أستطيع منها سمع أي شخص يمشي في ممر السيارات من دون أن يراه أحد، لقد انتابني شعور مؤكد فجأة أن السيد والستة ربوردان يتحدثانعني، ربما أمضيا مشوارهما يخططان لكيفية إرسالي بعيداً إلى منزلي، وقد أردت أن أعرف تماماً ما يقولانه.

لكن كما تبيّن، لم أكن محور حديثهما، قال السيد ريوورдан: «لا أستطيع تصديقك كاثرين». ثم أغلق الباب بهدوء، لم يستطع أن يصفع باب السيارة لأنها كانت سيارة بي أم دبليو جديدة، ولكنني شعرت أنه كان يرغب في ذلك، وأكمل السيد ريووردان: «كان يفترض أن تكون هذه رحلة عائلية».

قالت السيدة ريووردان: «أعرف ذلك وأنا آسفة، ولكننا في نقطة مهمة وحاجة جدًا من الحملة، يا ليتني أستطيع الوثوق بأحد ما ليراقب الأشياء المبدعة ويشرف عليها، ولكنني لا أثق بأحد بما يكفي لذلك».

قال السيد ريووردان: «عليك أن تتعلم فن تفويض المهام لغيرك».

فَكَرْتْ يا له من حديث ممل، لقد سمعت ما يكفي منه، وكنت على وشك الدخول من الشرفة عندما أكمل السيد ريووردان قائلًا: «إلا ستبقين مثلاً سينًا لجيك».

صرخت السيدة ريووردان: «مثال سين؟ لأنني آخذ عملي بجدية؟».

«لأنك تهتمين بعملك أكثر من اهتمامك بالعائلة».

«ولكنني...». استطعت - من مكاني في شرفة الطابق الثاني - أن أسمع صوت السيدة ريووردان وهي تنفس بعمق عدة مرات: «كيف باستطاعتك أن تقول شيئاً كهذا يا سكوت بالنظر إلى كل رحلات السفر التي تقوم بها؟ على الأقل أنا أؤدي عملي في المنطقة نفسها! لم أفوت أبدًا مباريات بوب ورنر التدريبية، ولا اجتماعات أولياء الأمور مع المدرسين، أو....

قاطعها السيد ريووردان سائلاً: «هل تقولين إن هوسك بالعمل هو خطئي أنا؟».

«لست مهووسة بالعمل...».

قاطعها مجدداً وقال بفطاظة: «اذهبي كاثرين. سأهتم بوجبتنا من أجل المساء كما أفعل دائمًا». سمعت صوت صفع الباب الرئيسي للمنزل، ثم حلّ الهدوء لفترة طويلة لدرجة أنني افترضت أن السيدة ريووردان قد رحلت بالفعل.

أخيراً تمتّمت: «وكان طلب الطعام الجاهز يحتاج إلى كثير من التعب والجهد». كدت أقهقه، إدّاً بعد كل شيء لدى السيدة ريووردان قدرة على الرد، ولكن من المؤسف أنها استخدمتها عندما كانت بمفردها. بقيت هادئة لفترة أطول، ثم عندما تحدثت مجدداً تغيرت نبرة صوتها تماماً، لقد أصبحت براقة

ومليئة بالطاقة – ذلك الصوت الذي تستطيع أن تعرف منه أن الشخص يتسم حتى لو لم تكن قادرًا على رؤيته – قالت: «سأكون هناك خلال ساعة، أحتاج فقط إلى حزم بعض الأشياء». ثم أضافت بعد لحظات من الصمت: «لا أطيق الانتظار أيضًا».

انحنىت فوق حافة الشرفة في الوقت الذي أنهت فيه السيدة الاتصال واستدارت صوبي، كل ما كان عليها فعله لرؤيتي هو أن ترفع رأسها قليلاً نحو الأعلى ولكنها لم تفعل، واستطاعت رؤية وجهها جيداً قبل أن تعود إلى الداخل.

لقد أوضحت تعابير وجهها أمراً واحداً فقط وهو: السيدة ربورдан تحب عملها أكثر بكثير مما تحب زوجها.

الفصل الخامس عشر

٧٣

الأربعاء، 8 تموز

هناك متعة غريبة في مراقبة الناس الذين يظنون أنهم بمفردتهم، مثل السيدة ريورдан التي تخللت أخيراً عن تلك الابتسامة المزيفة بعد أن غادر الشخص الذي كانت تلعب معه كرة المضرب الطاولة الخاصة بهما في حانة نادي بلدة بايفيو. أخفضت رأسها، وشرعت تفرك صدفيتها، وكأنها تحتاج إلى مسح كل تلك الأشياء التي تحدثا عنها للتو من دماغها.

أو مثل فانيسا، التي تتظاهر أنها منهنكة بهاتفها في الممر الذي يربط بين المسيح والحانة، ولكنها تستمر في إلقاء نظرات خاطفة على السيدة ريورдан، وكأنها تنتظر أن تصبح أقل بؤساً بقليل. فانيسا من الأشخاص الذين يتقمّصون دوراً مختلفاً في كل مرة، لذلك من المستغرب رؤيتها غير واثقة من نفسها، خصوصاً عندما يصل الموضوع إلى السيدة ريورдан. حينها تلمع الكلمات التي قالتها أدي في كافيه كونتيجو في رأسى: هل تتذكرون ذلك المقال الذي نُشر في صحيفة بايفيو بليد عن جيك؟ لقد قالت إنه يملك العشرات من الأصدقاء الذين يراسلونه كتابياً، هل يعقل أن تكون فانيسا واحدة منهم؟

تبقيني ذاتي الفضولية مرّاكاً على فانيسا غافلاً عما يحدث حولي لمدة طويلة بما فيه الكفاية ليقول غافين - النادل الموجود اليوم - وهو يضرب بيده ذراعي وأنا أمسح المنضدة: «لقد اعتقدت أنك مولع بأمر حبيبك تلك».

سألته: «ماذا؟». وعندما أدرك ما يرمي إليه قلت فوراً: «أوه، كلا لا تفكّر في ذلك». ثم نظرت بعيداً. كلا لا تفكّر فانيسا كما يفكّر غافين لأنّ هذا آخر ما أريده حقّاً، قلت: «لقد شردت للحظة».

سألني غافين وهو يغمزني بخبيث: «هل أنت متأكد؟». حدهجه بنظره غاضبة بما يكفي ليرفع يديه ويقول: «حسناً، حسناً كما تريده، لم أقصد التشكيك في علاقتك مع برونوين، ولكن أظنّ أنها جميلة، أعني فانيسا وليس برونوين، حسناً برونوين جميلة هي الأخرى، ولكنها عقلانية جدّاً، وأنت لئيم أنا أخاف منك، لذلك...». ثم رفع يديه استسلاماً، فضحك مرغماً: «ماذا تظن؟ هل هي مرتبطة؟».

«لقد عدت للتحدث عن فانيسا أليس كذلك؟».

«بالطبع، فأنا لا أرغب بالموت اليوم».

«لا أعرف».

مرّ أصابعه عبر شعره: «هل يمكنك أن تستطع الأمر من أجلي؟».

أجبت باقتضاب: «كلا». فتنهد على الفور. سألني في الوقت الذي دخلت فيه مجموعة من الرجال أنهت جولة من الغولف وجلسوا في ركن قصي: «كم بقي على مناوبتك؟».

أجبت: «نصف ساعة».

«هل لديك خطط الليلة؟».

«أجل، سأحضر وبرونوين العشاء لوالدي». أو بشكل أدق سأحضر معظمه بمنفسي، لأن برونوين تتبع إرشادات إعداد الوصفة بدقة شديدة، وهذا يعني أنني إذا لم أتدخل فسينتهي بنا الأمر نأكل عند منتصف الليل. لا يمكنك تخيل الوقت الذي يمكنها أن تمضيه وهي تقيس كوبًا واحدًا من الأرز، ومايف ليست أفضل حالاً منها، فعلى الرغم من أن مواهب الشقيقين روحاًس لا تُعد ولا تُحصى، إلا أن أيّاً منهما لا علاقة له بالطبخ والمطبخ.

قال غافين وهو يبتسم: «يا لها من نشاطات منزلية محلية».

بينما كنا نتحدث تقدمت فانيسا صوب طاولة السيدة ريورдан، وها هي الآن تجلس إليها، وتتحدث ملحة بيديها. جلت بعيني في أرجاء الحانة لأرى إن كان أحد يراقبني، فلاحظت أن مجموعة الأمهات الشقراوات اللواتي يجلسن في الزاوية لا يزلن يعملن على شراب المارغريتا بالخوخ خاصتهن، أما الرجال المتقدمان في السن اللذان يجلسان قبالي فهما يتناقشان بحدة بشأن أحد المرشحين إلى الكونغرس لدرجة أنهما لم يلمسا كأسيهما بعد، والشاب الطويل الذي دخل للتو...

صحت: «اللعنة ما الذي تريده؟». خرجت الكلمات من فمي قبل أن أتذكر أين أنا، وأنه لا يفترض بي أن أصبح على الناس الذين ينحون أمامي طلباً للشراب ويحملون في يدهم المال، حتى لو كان ذلك الشخص جيك ريوردان اللعين.

قال: «تسعدني رؤيتك أيضًا ماكولي».

ضغطت ساعدي على المشرب حتى لا أكمه، ذلك الأحمق اللعين يتجلو في الأنهاء مرتدياً بلوزة بولو وبنطالاً بلون السلمون مثل ما كان دائمًا الولد المدلل المضحك. لا يفترض به أن يخرج من خلف القضايا طيلة حياته بعد ما فعله لأدي،ولي ولبرونيون ولكروبر ولجاني ولسايمون..

دفع جيك بعشرين دولاراً عبر المنصة، لقد بدأ شعره ينمو مجدداً، وأصبح يبدو كجيك القديم من أيام مدرسة بايفيو الثانوية، قال: «شاردوني من فضلك».

قلت: «أغرب بعيداً».

رفع حاجبيه: «إنه لوالدي».

«لا يهمني».

«هل ستجعلها تأتي إلى هنا وتطلبه بنفسها؟».

يبدو أنه لم يفهم ما قلت، لذلك أعدت كلماتي ببطء وبصوت أعلى: «أغرب بعيداً».

لكن بدلاً من ذلك، جلس جيك وابتسم بخث، وسألني بنبرة صوت الأصحاب التي يستخدمها أفراد مجموعة الغولف عندما يحاولون جعلي أتحدث عن الرياضة: «لا بد أن ذلك يدفعك للجنون؟ هاه؟ على الرغم من أنني قضيت وقتاً أكثر منك خلف القضايا - ربما كان على أن أضيف أن ذلك كان خطأ أيضًا

– ولكن مع ذلك يفترض بك أن تعمل على خدمتي، وستخدمني طوال حياتك». لمعت عيناه وهو يضع يديه على المشرب: «بعد عشر سنوات من الآن، سأكون قادرًا على شراء هذا النادي، أما أنت فستبذل وقتها قصارى جهدك لتحصل على التقدير الكافي للحصول على درجة مساعد وضيعة، ربما قد تعود مجددًا إلى بيع المخدرات، وقتها رأيت أكبر مبلغ من النقود، أليس كذلك؟».

استنشطت غصيًّا، وكوَّرت قبضتي تمهيدًا للكم وجهه، وسمعت صوت برونونين واضحًا في رأسي وهي تقول لا تنفع، إنه لا يستحق ذلك، ولكن برونونين ليست هنا، ولا ترى وجه جيك المستفز الذي يستحق أن تلকمه.

تابع جيك وهو يبتسم تعbirًا عن ارتياحه: «هل تعرف ما الذي لا أطيق صيرًا عليه». وكأنه يقول لم شملنا بعد خمس سنوات، أو الحصول على الذكريات الرائعة التي لم نحظ بها في ثانوية بايفيو. أصبحت نبرة صوته حادة وأخفض صوته بحيث يصعب على أحد سواي سماعه: «لا أطيق صيرًا على رؤيتك تخسر كل شيء يا ماكولي، عملك، وأصدقائك المثيرين للشفقة، والديك المدمنين، والأهم من كل هؤلاء، حبيبك التقليدية لأنه بمجرد أن تتركه وتذهب ستسقط وتلاشى بسرعة كبيرة لدرجة...».

انقضضت عليه من دون تفكير، ولكنني شعرت بذراعين تقيدانني وتسحبانني إلى الخلف، وسمعت غافين يهمسون في أذني: «لناحول ألا نطرد اليوم». فاجأتنى قوله عندما كان يدفعني إلى الخلف، جزعت الأمهات الشقراوات في الزاوية، فقال غافين: «اذهب من هنا يا نيت، اذهب وقد دراجتك أو افعل شيئاً ما، لقد انتهي دوامك، لا فائدة من التسкуع هنا وترك ذلك الأحمق اللعين يستفزك، فبمجرد أن تلمسه ستتهم بالاعتداء وتعتقل. لا تمنحه ما يسعى إليه».

أكره حقيقة أن ما ي قوله صحيح، وأن لا خيار لدى سوى الابتعاد وترك غافين يتصرف بهدوء، أكره فكرة أن جيك قد عاد إلى عالمي مجددًا، وأنني لا أستطيع التصرف، وربما أكثر ما أكره حقيقة أنه في أقل من خمس دقائق تمكן من نثر جميع مخاوفي وأكبرها أمام عيني.

بعض الأشياء لا تتغير أبدًا.

السيدة ريورдан بالطبع إلى جانب جيك، تدور حوله وبدا القلق في نبرة صوتها، فرفع جيك يديه: «حسناً أنا ذاهب، أنا ذاهب، لدى الكثير لأفعله بأي حال». نظر إلى ولقح بطريقة ساخرة: «أراك في الجوار ماكولي».

سألت إحدى الأمهات: «هل هذا...».

فعقبت أم أخرى: «تعلمين جيداً من هذا.. إنه لأمر مروع أنه يستطيع المجيء إلى هنا بدون أي مشكلة، يجب أن نقدم شكوى لمدير الحانة».

ارتشفت أم ثالثة رشفة طويلة من شرابها قبل أن تقول: «تقدّم واضربه يا نيت، سأخبر الجميع أنك كنت تدافع عن نفسك».

قال غافين: «سيداتي... إن موقفك لا يساهم في تهدئة الأمر».

أخيراً، أفلتني غافين عندما غاب جيك عن مجال رؤيتنا، ورأى فانيسا تصطحب السيدة ريورдан مجدداً إلى طاولتها، وقال: «لا تقلق حيال ذلك الولد، أنا مؤمن كبير بالكارما، وأعلم أن هناك صخرة كبيرة قادمة في وجهه».

قلت: «أجل، هذا ما أعتقده أيضاً. حين لا يقول القانون ما تقوله فهذا شيء سيئ».

قال غافين: «كن واثقاً أن الفائز هو من يبتسם في النهاية، الصبر فضيلة».

«حسناً، أيا يكن». أعرف أنه يفترض بي أنأشكره، ولكنني لا أستطيع الكذب على نفسي والقيام بذلك، جلبت مفاتيحي وغادرت من دون أن أتفوه بكلمة، وفي طريقي إلى المرأب فتحت هاتفها، ورأيت رسالة جديدة من برونوين، التي تركت تدريبياً الداخلي باكراً كي تذهب وتسوق لأجل عشاء الليلة. لقد كتبت انظر إلى غنيمة اليوم وأرفقتها بصورة سلة مليئة بالخضروات التي حصلت عليها من سوق المزارعين، لقد ذكرتني في قصتي على الإنستغرام، وقد كنت لتعلم ذلك لو استخدمته.

طللت أنظر إلى شاشة هاتفي لثوانٍ، أشعر بعقدي الداخلية المليئة بكره الذات وغضبي وامتعاضي من ذاتي، وهذا ما جعلني أرحب بالرّدّ عليها قائلاً: انسى كل ما يتعلق بالعشاء. انسى كل شيء أيضاً يا برونوين لأنك أفضل بكثير من أن تكوني معي وهذا ما ستدركينه يوماً ما، أفضل أن أفعل ذلك الآن من أن أفعله لاحقاً، لأنني ساعانى أكثر كلما زاد الوقت الذي نمضي سوية.

سحبت نفساً عميقاً وحبسته لأطول فترة ممكنة قبل أن أرسل ردّاً طبيعياً: ربما يوماً ما مرفقاً بقلب لكي تعلم أنني في حال بدأت يوماً ما باستخدام أيّاً من حسابات التواصل الاجتماعي التي أنشأتها من أجلني فسيكون ذلك لجعلها سعيدة فقط. لقد أثبتت برونوين أكثر من مئة مرة أنها مستعدة لخوض الصعب معه حتى النهاية، ولن أسمح لكلام جيك ريوردان أن يُشكّلني في هذه العلاقة ويحملني على تخريبيها.

مع ذلك أخافني خروج هذا الصوت الداخلي مجدداً بهذه السرعة
ليخبرني عن مدى سوئي وبشاعتي، بالتأكيد تشعر أدي بالأمر عينه، وأناأشعر
أن علي العثور عليها وإخبارها بسرعة كم هي رائعة، وأن حياة رائعة تنتظرها.
تذكرة عندها أنها تناول العشاء مع اختها وإلي، لذلك قررت الاكتفاء بإرسال
رسالة نصية: أنت شخص رائع.

ردت أدي: هل أنت ثمل؟

أشعر بنفسي أفضل قليلاً، وأضع هاتفي في جيبه. وتعلم أدي جيداً أنني
لست ثملاً.

الفصل السادس عشر

نٰيت

الأربعاء، 8 تموز

قال والدي: «يبدو أن فريق باراديز يؤدي بشكل جيد هذه السنة».
قلت: «أجل.. يؤدون بشكل جيد جدًا».

لم أكن واثقًا مما قلته، بحكم أنني لا أشاهد مباريات البيسبول التي لا يلعب فيها كوبير، ولكن والدي يُفضل الحديث عنها كثيرًا، ومعظم الوقت أكتفي بالاستماع. أشعر دائمًا بأنني على حافة هاوية عندما آتي إلى هذا المنزل الذي يعيده لي ذكريات قديمة عن الفترة التي عشتها هنا. أصبحت ملابسه أفضل من العادة، وقد أصلاح عدة أشياء، مثل الخزانة أسفل المغسلة التي ركلتها بعد موت سايمون فهي لم تعد مقسومة إلى عدة أقسام، ولكن المنزل يبقى مكانًا يجعلك ترحب بالاستسلام قبل أن تبدأ حتى بالمحاولة.

تعرف برونونين ذلك، لذلك كنت آمل أن تصل باكراً، ولكن عندما نظرت إلى هاتفي بعد أن نفدت أحاديث والدي عن البيسبول، لاحظت أنها تأخرت خمس دقائق، وهو ما يعادل تقريرًا تأخير أي شخص آخر ساعة، قلت وأنا أفتح رسائلني لتأكد أنه لم تصلني رسالة منها: «من الغريب أن برونونين لم تصل بعد».

«هل أخبرتك في أي ساعة ستكون هنا؟».

أجبت: «في السادسة والنصف». ثم كتبت لها رسالة هل ستصلين قريباً؟ وانتظرت أن تظهر النقاط الرمادية. تشعر برونوين أن عليها الرد على الرسائل بسرعة، وأن شخصاً ما يعطيها جائزة على ذلك، ولكنها لم ترد.

عبس والدي وهو ينظر إلى ساعته: «لقد تأخرت حقاً، إنها لا تتأخر في العادة».

سرت القشعريرة في جسدي، لأنها حقاً لا تتأخر. لقد بدأ والدي يتعرف إلى برونوين منذ فترة قصيرة جداً، ولكنه يعرف هذا عنها، فتحت حسابها على الإنستغرام؛ آخر قصة وضعتها في سوق المزارعين وتحتها عبارة: المحطة التالية، بقالية أندريه!

من المؤكد أنها لا تتفقد حساب الإنستغرام ما دامت لا تتفقد رسائلها، ولكن مع ذلك كتبت لها: اتصلي بي، ثم أتبعتها برسالة أخرى: من فضلك.

بعد ثوانٍ، رن هاتفي وكانت مكالمة فيديو، وشعرت بالراحة تغمرني، ولكنها لم تكن برونوين بل مايف التي عبست بمجرد أن ظهرت صورتها وقالت: «أسفه على مقاطعة العشاء العائلي الدافئ، ولكن هل تستطيع أن تقول لأختي إنه يفترض بها عندما تبدل كلمة المرور لحساب نتفليكس أن تحفظها على كل الأجهزة لأن...».

قاطعتها: «مايف.. إنها ليست هنا».

رمت مايف بسرعة: «ماذا؟ لقد ظننت أن لديكما خطة معًااليوم». «صحيح، كان لدينا». أردفت وأنا أشعر بصخرة تضغط على صدري: «ولكنها تأخرت، ولم ترد على أيّ من رسائلي».

عcess مايف شفتها: «ولم ترد على رسائلي أيضًا».

«اللعنة». وقفت بسرعة، وتوجّهت صوب المطبخ، تشوّشت رؤيتي، وبالكاد استطعت رؤية القلق على ملامح وجه والدي، فتحت باب المنزل الرئيسي، وخرجت بسرعة، متّجاوزاً الدرجة الثانية، بحكم العادة، مع أن والدي ملا الشق الكبير الذي كان فيها، ثم حذّقت إلى ممر السيارات، وأنا آمل أن تظهر سيارة برونوين الفولفو، سألت مايف: «متى تحدثت إليها آخر مرة؟».

«أمم، ربما منذ ساعة ونصف؟ كانت تشتري الخضروات، وأرادت أن تعرف أي نوع من الخس هو الأنسب للسلطة، فأخبرتها أنني لا أعرف، لذلك

حاولت الاتصال بلويس، ولكنه في العمل ولم يجب و...». اختنق صوت مايف تدريجًا وهي تقول: «ثم أغلقنا، ولم أسمع منها منذ ذلك الحين، ماذا عنك؟».

«تحدث إليها للمرة الأخيرة في الوقت نفسه». أشعر بثقل الصخرة يزداد على صدري، ويفرغ رئتي من الهواء، وأنا أنظر متربقاً إلى نهايتي ممر السيارات، رأيت سيارة تقترب من جهة اليمين، ولكنني عرفت من تلك المسافة أنها ليست سيارة برونونين، وقلت في اللحظة التي وصلت بالقرب مني: «أشعر بالقلق، ما رأي والديك بالموضوع؟».

أجابت مايف: «إنهما في عمل خيري، لقد ذهبا... انتظر لحظة، أدي تتصل بي، سأضيفها إلى مكالمتنا». بعد لحظة ظهر وجه أدي بجانب مايف على شاشة هاتفي، فسألتها مايف بلهفة: «أدي هل تحدثت إلى برونونين منذ فترة قريبة؟».

أجابت أدي: «أنا أتصل بك لأأسألك عنها، فهي لم تقرأ رسالتي التي أرسلتها منذ حوالي الساعة، وهذا ليس من عادتها، لذلك بدأت أفكّر في ما حدث لفيفي...».

قلت في الوقت الذي تسارعت فيه نبضات قلبي، واشتدت لدرجة أني شعرت أن قلبي سيخرج من صدري: «اللعنـةـ، اللعنـةـ!». عبرت ممر السيارات، وقبضت على شعرى بشدة وشدّته، وفوجئت أنّي لم أنتزعه من جذوره. استعدت صورة جيك ريوردان وهو يتحنّي أمامي على منصة الحانة وقد ارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الخبيثة: هل تعرف ما الذي لا أطيق صبراً عليه؟ لا أطيق صبراً أن تخسر كل شيء يا ماكولي، ثم كان لديه الجرأة اللعينة ليتحدث عن برونونين أمامي: بمجرد أن تترك وتدّهب ستسقط وتتلاشى بسرعة كبيرة لدرجة...

تلاشت صورته، لقد ظننت أن ذلك الأحمق اللعين يتحدث عن هجرها لي، ولكن هل كان يعني شيئاً آخر؟ أتذكّر اللحظة التي وجدنا فيها فيفي في ذلك الكوخ، مُخدّرة ولا تستجيب لنا، لا أعرف لماذا قد يفعل جيك شيئاً كهذا لفيفي في حين أنه لا علاقة لها بوضعه في السجن، ولكن حينها تذكّرت مجدّداً، لقد كان تمريناً.

إذاً من زاوية أخرى فبرونونين أيضًا...

اجتاحتني موجة من الغضب، إذا لمس جيك ريوردان شعرة من برونونين، سأقتله، أجل سأقتله.

سألت أدي: «هل تستطيعين تعقب موقعها؟».

ردت مايف: «إنها لا تشغّل خدمات الموقع على هاتفها تظن أن مثل هذه الأشياء غريبة».

«حسناً، لا أفهم الطريقة التي تُفكّر فيها، ولماذا تظن أن مثل هذه الأشياء غريبة، ولكن لا بأس ببّيّن موقعها الدائم لكل متابعيها على الإنستغرام رغم... نيت أهدئ». قالت أدي كرّد فعل على الصوت الغاضب المحبط الذي صدر مني للتو، لا أعرف ما الذي قمت به، لا أستطيع التفكير، بالكاد أستطيع التنفس، أردفت أدي: «سيكون كل شيء على ما يرام، نحتاج...».

زمجرت غاضبًا: «سأقتله».

في الوقت الذي عدت فيه إلى المنزل، رأيت والدي يجول أمام المنزل، سألني: «هل كل شيء على ما يرام؟». ولكنني لم أستطع الرد عليه، أحتاج الوصول إلى مفتاح دراجتي النارية والذهاب إلى... مكان ما. إلى أين قد يذهب جيك إذا قرّر أن يلعب لعبة قذرة مع برونوين؟

سألت أدي: «من سُتقتل؟ نيت لقد سُبّبت لي الدوار». هاتفي في يدي التي تلوح في الهواء في الأسفل بمواجهة الأرض بينما أخطو خطوات كبيرة وواسعة باتجاه دراجتي النارية.

قلت وأنا أصرّ على أسناني، وأركب دراجتي: «جيك».

قالت أدي وبدت ملامح وجهها ثابتة: «ماذا؟ اشرح الأمر».

وضعت هاتفي أمام وجهي مجدّداً، وبطريقة ما أخبرتهما بما حصل في الحانة، مع أنني لم أكن أعرف إن كان ذلك منطقياً: «لذلك سأذهب وأجد برونوين، وأجعله يعرف جيداً أن العبث مع برونوين روخاس هو أسوأ غلطة قد يرتكبها شخص ما في حياته». أنهيت حديثي، تلفظي باسمها جعلني أهداً بطريقة لا يستطيع أحد فعلها سوى برونوين ذاتها، إذا حدث مكروه لها سأشعر، أليس كذلك؟ سأشعر بشيء أكثر من الألم والنار التي تضطرم الآن في داخلي، يجب أن تكون هناك مرحلة مختلفة تماماً من الألم عندما تشعر وكأن روحك تمزقت إلى أشلاء.

سألت مايف: «أين ستتجدهما؟».

قالت أدي في اللحظة التي كنت سأنهي فيها المكالمة، وأنطلق بدراجتي: «لدي فكرة.. منزل العطل الخاص بعائلة جيك في رامونا، هل تتذكر

ما أخبرتنا به فيبي عن ورق الجدران؟ أظن أنه أخذها إلى هناك. بعد تدبرها،
وإذا كنت محقّة في هذا فهذا يعني أن...».

قلت: «أعطيك عنوانه».

قالت أدي بحزم: «كلا، يستحيل أن أدعك تقود كل هذه المسافة
 بمفردك، ستصطدم بأول سيارة تراها بوجهك نتيجة كل ذلك الأدرينالين،
انتظرني لخمس دقائق، حتى أجلب مفاتيحي وأجلب مايف ونحوّه إليك
 مباشرة».

الفصل السابع عشر

أدي

الأربعاء، 8 تموز

سبق لي أن قدت عبر هذا الطريق عشرات المرات إلى منزل جيك في رامونا، ولكن هذه المرة مختلفة تماماً: نيت إلى جانبي، وبكاد يفقد صوابه، ومايف تنهني من حيث تجلس في الخلف وتنظر بحرص إلى عداد السرعة.

قالت: «خمسة وستون ميلاً بالساعة هي الحد الأدنى للسرعة يا أدي، وهذا يعني أنهم يتوقعون منك أن تقودي أسرع من ذلك».

«أنا أقود بسرعة ثمانين تقربياً».

«متأكدة؟ لأنني أشعر وكأننا نسير إلى الخلف».

قلت وأنا أنظر عبر مرآة الرؤية الخلفي لأغيّر المسرب: «لا أريد أن يتم إيقافي، أعني بالطبع في ظل ظروف معينة قد تكون مرفقة الشرطة لنا مفيدة ولكن...».

زمررت مايف: «ولكن الشيء الوحيد الذي سيقولونه هو ولكنها غائبة منذ ساعتين فقط، ثم كلام آخر مفيد جداً بالطبع مثل وما هي خطتكم إذا؟ هل ستقتحمون المكان وتدخلون؟».

قال نيت بغضب: «أجل». هذه كانت أول كلمة يتفوه بها منذ نصف ساعة، ويعدّ هذا أفضل من أصوات الغضب والزمرة التي كان يصدرها لذلك نستطيع أن نعتبر هذا تطوارً.

قلت في الوقت الذي دست فيه على الكابح وخرجت من الطريق السريع: «نحن نقترب من المنزل». من الغريب أنني على هذا الطريق مجددًا، آخر مرة ذهبت فيها مع جيك إلى رامونا كانت بعد أسبوع من خروجي مع تي جيه فورستر، كنت متواترة جدًّا طوال فترة القيادة، أخاف من زلة لسانى التي قد تفصح كل شيء وتدمره، لم تكن لدى فكرة حينها ماذا قد تعنى كلمة «تدمر».

الآن أكره كل شيء يتعلق بالوقت الذي أمضيته مع جيك، ولكن على الأقل استطعت أن أعرف عنوان هذا المنزل. من الجيد أننا نفعل شيئاً ما بدلاً من الجلوس والمشي في الغرف والقلق. بالنسبة إلى الطريقة التي أفكّر فيها أنا أفضّل أن أقوم بأي شيء بدلاً من الجلوس، مع أن قلبي لا يوافق تماماً مع عقلي فقد تسرعت ببعضات قلبي بمجرد أن رأيت الطريق وحتى هذه اللحظة، من ناحية أشعر بأن هذه الرحلة تشبه ملاحقة فأر هارب، ومن ناحية أخرى أشعر بأنها عملية انتشارية، فما الذي سنقوم به إن كانت برونوين برفقة جيك هناك؟ ربما كان يجدر بنا أن نجمع أفراد نادي جريمة القتل، ولكنني بالكاد استطعت إقناع نيت أن يتظرني أنا ومايف، كان سيستشيط غضباً لو أنني ذكرت فقط فكرة التوقف وإحضار البقية.

سألت مايف فجأة: «هل لديك أي أسلحة في هذه السيارة؟».

كرّرت: «أسلحة؟ ماذا تظنين أفعل تماماً في وقت فراغي؟».

«كلا أعني.. مثل مضرب بيسبيول أو شيئاً مشابهًا، ربما ترك كوبير واحداً هنا؟».

«لا يتجلو كوبير وهو يلوح بمضرب البيسبول يا مايف».

قالت مايف وهي ترجع ظهرها إلى الخلف: «بالطبع يفعل ذلك، هذا عمله». ثم أردفت بصوت مخنوق: «هل لديك مثلاً مكشطة للثلج؟ ربما أسفل مقعدك؟».

«أوًلا لماذا قد أملك مكشطة للثلج ونحن نعيش في جنوب كاليفورنيا؟ وثانياً منذ متى تعتبر مكشطة الثلج سلحاً؟».

سألت مايف: «أليست مدبة من الأمام؟ ل تستطيع أن تطعن الثلج؟». «تطنين أنه يجب أن يطعن الثلج؟».

«أعني.. تعلمين ما الذي أعنيه، أن يُكسر أو أيّاً يكن».

تمتمت وأنا أتوقف عند الإشارة الحمراء: «لا تفكري في الانتقال إلى نيو إنجلند يا مايف.. لن تستطعي العيش لشتاء واحد».

انحنت مرة أخرى بين المقعدين الأماميين متنهدة: «لقد كانت مجرد فكرة».

قبل أن أستطيع الإجابة صدحت نغمة هاتف نيت بأغنية «أم أم بوب» الذي أمسك بدوره هاتفه بشدة كشخص غارق يتعلّق بحبل نجا، حتى مايف لم تستطع أن تمنع نغمة صوتها من أن تختلط بالقليل من السعادة: «هل هذه برونوين؟».

قال نيت: «لا أعرف.. لا أستطيع معرفة الرقم». ثم رفعه عالياً ليرينا الشاشة.

صاحت مايف لدرجة جعلتني أقفز، وأرفع قدمي عن الكابح، فاندفعت السيارة نحو الأمام، لحسن الحظ أنه لم تكن هناك سيارة أمامي وإن كنت سأحطم مصداتها الخلفية: «إنه رقم هاتفك! أجب أجب...».

بالفعل أجاب نيت، وقال هو يحول الصوت إلى المكبر: «مرحباً؟».

«نيت، أنا آسفة جدّاً!» ملأ صوت برونوين السيارة، ثم عمت الفوضى؛ عاودت مايف الصراخ، واحتلّت بكائي بضمكي، كرر نيت اسم برونوين مراراً، وكأنها الكلمة الوحيدة التي يستطيع تذكرها. هدأنا قليلاً عندما لاحظنا أن سائقي السيارات الغاضبين أطلقوا العنان لأبواق سياراتهم بعد أن مضى وقت على تحول مصباح إشارة المرور إلى اللون الأخضر.

قلت: «دعوني أركنْ جانباً».

قال نيت بصوت مفعم بالمشاعر: «برونوين.. يا إلهي لقد اعتقدننا..».

صرخت مايف: «أين كنت؟ كنا في غاية القلق عليك!».

سألت برونوين في الوقت الذي توجّهت فيه إلى محطة وقود مهجورة، ووضعت مبدل السرعة على وضعية الوقوف: «مايف؟ هل هذه أنت؟.. من معك؟؟».

أجابت مايف: «أنا ونيت وأدي.. ما الأمر يا برونوين؟ هل أنت بخير؟».

«أجل أنا على الأرجح بخير.. كل ما في الأمر.. لقد سار كل شيء بشكل خاطئ، لقد أردت الحصول على بعض توت العليق والكريما من أجل الحلويات، ولكنني لم أجد توتًا جيدًا، لذلك فكرت أنني أستطيع أن أقطف القليل منه من ذرة مارشال، ذلك الدغل القريب من الصخور؟ ولكن عندما وصلت لم أجد إلا القليل، لذلك قررت البحث في الجوار علني أجد دغلاً آخر، ولكنني توغلت بعيدًا، وانتهت بي المطاف بالقرب من جدول لم يسبق لي أن رأيته، أخرجت هاتفي لأنظر إلى خريطة غوغل، وعندما سقط مني في النهر، وعندما حاولت أن ألتقطه، انزلقت قدمي، ولويت كاحلي، وعندما حاولت أن أقف مجددًا، سقطت بقوة أكبر، وعندما تمكنت من الوقوف مجددًا، كان الهاتف قد اختفى».

قالت مايف وقد ترقرقت عينها بالدموع: «يا الهي، أريد أن أسخر منك حفًا أيتها الخرقاء، ولكنني لا أستطيع لأننا كنا قلقين جدًا عليك!».

قالت برونوين: «أعرف ذلك، لقد كانت التوقيت سيئًا خصوصًا بعد ما حدث لفيفي، ولكنني وجدت صعوبة في العثور على سيارتي، وأضاعت كثيًراً من الوقت، خاصة أنني كنت أخرج، في الحقيقة، لقد خشيت أن أتىء في الغابة لأيام مع أنني لم أبتعد عن مكاني الأول سوى نصف ميل».

قالت مايف وهي تمسح عينيها: «تفكير منطقي».

أردفت برونوين: «في النهاية عثرت على السيارة، ولكنني علقت في الزحام لساعة، طوال الوقت فكرت في ركن السيارة، واستخدام هاتف أحدهم، ولكنني لم أستطع تذكر رقم أحد منكم، ولكن يجبأخذ العبرة مما جرى، يجب علينا جميعًا أن نحفظ رقم هاتف أحدنا على الأقل، لا يهم من يكون...».

قاطعتها مايف: «كلنا نحفظ رقمك، هذا أمر بديهي».

«أي رقم يفي بالغرض، أيًّا يكن الأمر، تابعت القيادة حتى وصلت إلى المنزل وبحثت عن الأرقام، والآن..» تنفست بعمق وقالت: «ها أنا ذا أحدثكم بمجرد أن استطعت ذلك. أنا آسفة جدًا لأنني فوت العشاء يا نيت».

سألها نيت بصوته الأجيش المفعم بالحنان: «هل تعرفين كم أحبك؟».

أجابت: «وأنا أيضًا». أكملت بصوتها العذب: «أحبك كثيرًا».

تدخلت: «وأنا ومايف نحبك أيضًا». ثم أنسدت نفسي على النافذة وقد غمرتني الراحة لأنه وللمرة الأولى لم يحدث السيناريو الأسوأ الذي تتوقعه.

سألت برونونين: «أين أنتم يا رفاق؟».

أجابت مايف: «أوه حستاً هذه قصة طريفة، نحن في رامونا».

سألت برونونين: «ماذا؟». على الرغم من أنها ليست مكالمه فيديو إلا أنني استطعت تخيل الحيرة وقد اعتلت ملامحها وهي تسأل: «لماذا؟».

قالت مايف: «لأننا طلّنا أن جيك خدّرك واحتطفك وحبسك في الغرفة ذات ورق الجدران الأخضر المطبع بأوراق الكرمة التي ذكرتها فيبي، إذا نظرت إلى ذلك الآن فيبدو تصرّفًا ناجمًا عن رد فعل مبالغ فيه، ولكنه كان منطقيًا في ذلك الحين».

لهشت برونونين: «يا إلهي! لا بد أنكم كنتم في غاية القلق».

قالت مايف: «لا لقد كنا هادئين، وبالتأكيد لم يخطّط نيت لقتل جيك أو أي شيء من هذا القبيل».

قال نيت باقتضاب: «ما زلت أفكّر في ذلك، من باب أخذ الاحتياطات الالازمة». نظر إلى هاتفه مطولاً، وكأنه يتمنى أن يكون فانوساً سحرياً، بمجرد أن يدعكه، يخرج منه مارد، ويحضر برونونين على الفور، وفي النهاية قال: «نحن متوجهون إلى منزلك، أريد أن أراك».

«أنا أيضًا أريد أن أراك و...».

قاطعت حديثهما: «مهلاً.. آسفة على مقاطعة محادثة لم شملكما الرائعة هذه، ولتأخير لقائهما وجهًا لوجه أيضًا ولكن.. نحن لا نبعد سوى أقل من ميلين عن منزلك، لذلك وبما أنه ليس علينا تحرير أي رهينة الآن، دعونا نفعل شيئاً آخر».

قطّبت مايف حاجبيها وسألت: «مثل ماذا؟».

قلت وأنا أرفع هاتفي: «لتقط صورة لورق جدران الغرفة التي أظن أن فيبي احتجزت فيها، ثم نسألها إن كانت نفسها التي رأتها ليلة السبت».

الفصل الثامن عشر

أدي

الأربعاء، 8 تموز

قلت عندما وصلنا إلى نهاية الطريق: «ها نحن ذا، تستطيعون رؤية منزل جيك خلف تلك الأشجار إلى جهة اليمين».

أستطيع أن أسمع مايف وهي تتحرك في المقعد خلفي لتقترب من النافذة، ثم تشهق: «المصابيح منارة، لا بد أن هنالك شخصاً ما هنا، ألغ المخطط! ألغ المخطط!».

قلت: «تبقى المصايبح منارة دائماً؛ يحرص والدا جيك على عدم إطفالها بسبب كثرة السرقات التي تحصل لمثل منازل العطل هذه، إذا بدت فارغة لمدة طويلة». قدت بيضاء شديد حتى أرى بداية الطريق المرصوف المألوف على جانب الطريق، وقلت حين توقفت السيارة: «يبعد ممر السيارات الخاص بمنزل جيك، حوالي خمس عشرة قدماً، نستطيع أن نقود أو نركن السيارة هنا ونمشي».

قالت مايف على الفور: «نركن السيارة هنا، ربما لم يكن صحيحاً ما قلته عن المصايبح هذه المرة».

أوقفت عمل المحرك، وبمجرد أن أوقفت عمل مصابيح السيارة الأمامية، خِيَّم ظلام دامس على الطريق. اقشعر بدني من البرد بمجرد أن ترَّجَلت، واحتضنت نفسي بذراعي، وتمنيت لو أن معي بلوزة صوفية كتلك التي أخرجتها مايف من المقعد الخلفي، في غضون ذلك، خلع نيت سترته الجلدية وقدّمها لي.

سألته وأنا أرتديها: «ألا تشعر بالبرد؟».

أجابني: «كلا».

قالت مايف بطريقة مسرحية: «إنه يستمد الدفء من شعلة الحب، التي لم يستطع الجدول الذي يقع خلف ذروة مارشال إطفاءها».

قال نيت: «اسكتي». ولكنه بدا مرتاحا، وكأن ما من شيء يستطيع تعكير صفو مزاجه.

قلت ونحن نقترب من ممر سيارات آل ريورдан: «هس». هناك مصابحان خافتان الإنارة ينيران الأعمدة الحجرية على جنبي المدخل، وبمجرد أن تخطيناهما عاد الظلام ليخِيَّم على المكان. ممر السيارات طويل ولا يستطيع رؤية شيء سوى الواجهة الزجاجية الرَّهيبة التي تلوح في الأفق على بعد عدّة ياردات، لم يسبق لي أن رأيت منزلًا مثل هذا – هناك شيء بارد ومخيف بشأنه – ولكن بالطبع لا شك في حقيقة أنه عقار مرتفع الثمن.

تمتم نيت: «يا إلهي.. هذا منزلهم الثاني؟».

همست: «الثالث، لديهم واحد في بريادوس أيضًا. ها هي الغرفة الشمسية أمامنا... تلك التي تكثر فيها النوافذ بعد أن تصعد الدرج إلى الفناء».

همست مايف: «لماذا هناك ورق جدران في الغرفة الشمسية؟».

«هناك جدار واحد فقط، يفترض بورق الجدران أن يكمل صورة النباتات الموضوعة في الخارج».

قال نيت: «أوه، حسناً بالطبع لا نريد أن يكون هناك اختلافات ذات منظر مزعج». مع أنني لا أستطيع رؤيته، ولكني أستطيع تخيل نظرته الساخرة، أردف نيت: «أين المفتاح الاحتياطي؟».

«تحت واحدة من النباتات الموضوعة على جنبي الباب، لقد تعودوا وضعه هناك...».

أمسكت مايف ذراعي بقوة، فثبتت مكاني مباشرة، همست بصوت خافت جدًا: «أدي، هناك سيارة مركونة هناك».

إنها مُحَقَّة، لقد ركنت في أكثر زاوية مظلمة من ممر السيارات، لذلك لم ألحظها حتى أصبحنا فوقها تقريرًا، تسارعت نبضات قلبي وأنا أقول: «إنها سيارة جيك».

تمتم نيت وهو ينظر إلى المنزل: «لماذا هو هنا؟ هل فترة الاختبار هذه بأكملها مجرد كلام فارغ؟».

قلت: «لقد أخبرتكم... يستطيع استخدام الشبكة السوداء، إنه يتحرك كثيرًا حول المدينة بالنسبة إلى شخص يخضع لحكم تقييد الحركة».

قالت مايف: «حسناً إدًا.. على الأقل لقد حاولنا وبذلنا جهداً أيها الفريق».

قلت: «مهلاً، نحن نعرف أن برونوبين ليست هنا، ولكن ماذا لو كان هناك شخصًا آخر هنا؟». لا أتقبل فكرة أننا قطعنا كل هذه المسافة لنعود خاليين الوفاض، فأنا أعرف أكثر من أي شخص عدد الأشياء السيئة التي يستطيع جيك أن يقدم عليها. ربما تناح لي فرصة إثبات ذلك، في الوقت الذي يظن فيه جيك أنه غير مراقب، قلت: «أعتقد أنه يفترض بنا أن نكمل ما جئنا لأجله».

همست مايف وهي تتراءج: «أنا أخالف الرأي».

قلت وأنا أستدير صوب نيت: «حسناً أنا سأذهب، هل ستأتي؟». تنهد: «إذا كنت ستكملين ذلك، أنا معك».

اختفت مايف عبر الطلال في الوقت الذي قلت فيه: «سارق الطريق لكما».

اقتربت ونيت بهدوء من المنزل تترصد الأجراء حولنا على الجانبين والأمام، بحكم الليالي التي قضيتها هنا أعرف أنه يستطيع أن ترى شيئاً غير انعكاسك عبر النوافذ بسبب قلة الأضواء في الساحة الخارجية، تجاوزنا الغرفة الكبيرة الواسعة جدًا وتلفارزها المثبت على الجدار والذي تعرضت شاشته بث قناة رياضية، ولكنني لا أستطيع رؤية أحد في أي مكان.

همس نيت: «يبدو المكان هادئًا».

همست بدوري: «هناك منطقة أسفل الدرج لا تستطيع رؤيتها من هنا». بحثت تحت واحدة من النباتات الموضعية بجانب الباب، بدت وكأنها ثقيلة يصعب رفعها، ولكنها في الواقع خفيفة وهذا ما سهل عليّ أن أدخل يدي تحتها، حاولت أن أتحسس وجود المفتاح الاحتياطي، بحثت جيداً ولكنني لم أشعر بشيء سوى الإسمنت الخشن.

سألني صوت: «هل تبحثين عن هذا؟». أسقطت إماء النبطة الذي أصدر صوتاً عالياً.

تقدم نيت ووقف أمامي وهذا ما حجب عملياً ذلك الخيال القادم من على بعد عدة درجات أسفل منا: إنه جيك.. كان يرتدي بنطاً رياضياً وبلوزة ذات قبعة ويحمل بيده المفتاح الاحتياطي، كما يمكن رؤية جهاز التعقب حول كاحله من تحت الجراب. نظرت إليه فاغرة فمي، ولم أستطع الرد من شدة الصدمة، ابتسم بسخرية: «رأيت سيارتك وأنا أركض، يا لها من طريقة لنقض طلب تقييد الحركة يا أدي، أعتقد أنك لم تستطعي البقاء بعيدة عنّي، أليس كذلك؟».

تقدّم خطوة، وكذلك فعل نيت الذي قال: «تراجع».

قال جيك: «أنت تعتمدي على ملكية الغير يا ماكولي، أستطيع أن أدخل وأطلب الشرطة مباشرةً». مع أنه قال ذلك، ولكنه لم يربح مكانه، بل نظر إلى نيت من رأسه حتى قدميه، ثم قال: «أو نستطيع حل الأمور بطريقة أخرى، أنا متأكد تماماً من أنني أستطيع القضاء عليك نظراً لأنني قضيت مدة أطول منك خلف القضبان، لا بد أنك تعرف أن المرء يتعلم، كثيراً من الأشياء هناك». ثم نظر جيك إلىّي، فحاولت أن أبقى متماسكة: «ثم أجري وأدي محادثة كان علينا إجراؤها منذ وقت طويل جدّاً».

قال نيت ببرود: «سأقتلك إذا فكرت في ذلك». قالها بلهجة (لا تعبث معي) التي قد ترعب معظم الناس، ولكنها لا تجدي نفعاً مع جيك، الذي قال وهو يطقطق براجممه: «حَقّاً؟ هل تريد أن تختبرني؟».

صعد صوت مألف من داخل المنزل، وهذا ما جعلني أقفز: «جيك!». ثم أعود وأنخفض كثيراً في الوقت الذي قال فيه والد جيك: «هل تتحدث إلى أحد؟».

أجاب جيك بصوت مرتفع: «أتحدث إلى بعض الجيران، سأأتي بعد لحظة».

ثم عاد ليتسم بطريقته المستفزة، ولمعت عيناه عندما تلقت نظراتنا، لم أستطع أن أشيخ بعيوني بعيداً مع أنني كنت أروم ذلك، قال: «حسناً، يبدو أن الوقت غير مناسب لإعادة لم شملنا، ولكن إليك شيء مهم يا أذْ». بدا تلفظه باسم التودد الذي كان ينادياني به وكأنه تهديد الآن: «سيأتي اليوم – وقربياً جدّاً – الذي أزيل فيه جهاز المراقبة هذا، وإذا ظننتِ أنني سأغفر لك ما فعلته بي فأنت مخطئة. لذا، تعودي منذ الآن أن تعيشني حياة تراقبين فيها كل شيء حولك، لأنك ستجدينني يوماً ما حولك». حدق جيك إلى نيت في الوقت الذي استدار فيه على عقبيه وأدخل المفتاح في القفل ثم تابع: «ولن يكون هذا معك».

فتح الباب و – لله الحمد – اختفى من أمام أعيننا. ولكنني لا أزال عاجزة عن استعادة تنفسي الطبيعي، وكأنني نسيت كيف أتنفس، قال نيت: «لا تستمعي إلى هذا الوضع، إنه يحاول أن يؤثر فيك».

قلت بصوت منخفض بالكاد يمكن سماعه: «كلا، إنه يقول الحقيقة، أعرف حقيقة مشاعره، وهو لم يقم الآن سوى بتأكيدها، إنه على حق في ما يخص طلب التقييد أيضاً». ثم اغرورقت عيناي بالدموع، فمسحتهما بسرعة، ليس هنا: «دعونا نذهب لقد كانت هذه فكرة غبية تماماً، ما كان يجدر بي أن آتي بكما إلى هنا».

قال نيت ونحن نعود أدراجنا عبر ممر السيارات: «لقد وافقنا جميعاً على ذلك.. ولسوء حظنا أنه رأى السيارة، اللعنة من يذهب ليركض في هذا الوقت من الليل؟».

قلت: «أضيفي إلى ذلك أننا لم نلتقط صورة لورق الجدران اللعين ذلك». على الرغم من أن ذلك آخر همومي حالياً، ولكن لو فعلنا ذلك على الأقل كنت لأقنع نفسي أن هناك بصيص أمل صغيراً في أن تختفي كلمات جيك تلك من رأسي وكوايسى.

قالت مايف وهي تقترب بهدوء نحونا من الظلام: «لا أظن أن ما تقوله دقيق». ثم ظهرت خلال ثوان وهي تحمل هاتفها: «لست مُراقبة جيدة لأنني لم أستطع أن أرى جيك عندما أتى». تابعت هامسة ولاهثة: «ولكنه أيضاً لم يرني، لذلك وبينما كان يتحدث إليكما ويوضح مجدداً كم هو شخص رذيل، صعدت الدرج إلى ساحة الفناء، ولم يكن الباب المؤدي إلى الغرفة الشمسية مغلقاً...». ثم ناولتني هاتفها: «ها هي ذا، صورة واضحة تماماً لورق الجدران».

الفصل التاسع عشر

فيبي

الخميس، 9 تموز

قلت: «إنه مختلف.».

سألت مايف وهي ترفع هاتفها أكثر: «هل أنت متأكدة؟..».

«لقد أخبرتك عندما راسلتك البارحة، إن الشكل والنمط مختلفان.».

قالت مايف وهي تكبير الصورة: «أجل، ولكنني اعتقدت أنك قد ترين الصورة الأصلية بشكل أفضل، بالإضافة إلى أنك كنت مخدّرة وقتها، لذلك...».

«أعرف تماماً شكل الشيء الذي رأيته أو حلمت به، ولم يكن مطابقاً لهذا.».

قالت مايف وهي تتنهد وتغلق صورة ورق جدران منزل رامونا: «اللعنة، لقد عدنا إلى نقطة البداية، وتعرضت أدي لكل ذلك الترهيب مقابل لا شيء.».

تمتمت: «أنا آسفة.».

أمسكت بذراعي وضغطت عليها بلطف: «بالطبع لم أقصد ذلك، كل ما في الأمر...، يا لها من ليلة.».

قال كوير: «كان يفترض بكم أن تتصلوا بي».

كان كرييس هو من يقود، وجلس كوير إلى جانبه، أما أنا ومايف ولويس فجلسنا في المقعد الخلفي لسيارة كرييس الهوندا سيفيك.

بدوره قال كرييس: «وبي أيضًا». وعبس وهو يضرب قبضة يده براحة يده الأخرى: «كنا نستطيع أن نلقنه درساً لا ينساه».

قالت مايف وهي تُقبل خده: «المرة القادمة أيها الرجل القوي، لم نستطع ذلك. لم تروا نيت حينها كان ذاهباً لوحده مباشرة لو أنتي وأدي لم نقنعه بانتظارنا».

قال كرييس وبذا الغضب والرفض في نبرة صوته: «ما كان يجدر بأحد أن يذهب». في بعض الأحيان تبدو تلك السنوات التي تفصله عن كوير وبقية الأفراد الأربع لمجموعة بايفيو الأصلية وكأنها أكثر من عشر سنوات، وأردف: «لقد كانت فكرة في غاية السوء».

قالت مايف: «أجل نحن ندرك ذلك الآن بالطبع، ولكن مع ذلك لا تقل ذلك في وجه أدي».

بدأ كرييس: «أجل بالطبع لم أفكّر ولن أفكّر في فعل ذلك أبداً و...».

قاطعه كوير: «انعطاف عند اليسار عند الضوء الذي يلي هذا. يقع مقر وكيل سيارات سوبارو على بعد مبني واحد».

نحن في مهمة بحث عن سيارة جديدة، لأن سيارة كوير الجيب توقفت أخيراً عن العمل، وينكلف إصلاحها مبلغًا، لذلك عرضت جدته أن تمنحه دفعه أولى لشراء سيارة جديدة – يبدو أنها اشتراط الكثير من أسمهم شركة آبل في بداية التسعينيات – وسيدفع هو الباقي من خلال عائدات الإعلان.

لم أتوقع أن أكون جزءاً من رحلة شراء السيارة الجديدة، ولكنني كنت في كافيه كونتيجو عندما توقفوا لجلب لويس، وأقنع كوير السيد سانتوس بالسماح لي بمرافقتهم، إنه يعترض بي جيداً منذ اليوم الذي ذهبنا فيه إلى محل السيارات عندما أعطاني المطرقة لأنفّس عن غضبي، وقد أسمهم ذلك إلى حدّ كبير في التخفيف مما أشعر به من وحدة، لذلك بمجرد أن حصلت على إذن والدتي أيضاً، لأنه وبعد ما حدث في حفلة نيت في الرابع من تموز، عليّ أن أخبرها قبل أن أعدل من جدولي المعتاد وإن كان تعديلاً طفيفاً، وكانت مستمتعة لمرافقتي إياهم.

سأله لويس: «سوبارو؟ حسناً عن أي نوع من السوبارو نحن نتحدث؟ هل سيارة رياضية؟ أو...».

قال كوبر: «أوتباك سوبارو».

توقف كرييس عند الإشارة الحمراء ووضع يده على ذراع كوبر: «عزيزي كوبر... تعلم أنني أدعمك في كل قراراتك، ولكن هل أنت متأكد من أن أول سيارة جديدة تريده شراءها ستكون ستيشن؟».

أجابه كوبر: «إنها السيارة المفضلة لجدي، لقد أرادت دائمًا أن تحظى واحدة».

سأله كرييس: «كيف يفترض بي أن أقود وأنت تتفوه بما تفوهت به؟».... بعد ثوان صدح صوت أبواب السيارات خلفنا، عندها نظر كرييس عبر مرآة الرؤية الخلفية وتابع طريقه بعد أن أصبحت الإشارة خضراء وقال: «ثق بي، تريد جدتك أن تشتري شيئاً تستمتع أنت بقيادته».

احتاج كوبر: «أنا لا أعرف من أين يجدر بي أن أبحث؟».

لمعت عيناً لويس وهو يقول: «لذلك أنا هنا. كرييس انعطاف يميّزاً، سذهب إلى متجر ماندالاي للسيارات». نفذ كرييس ما طلب منه، ولاح في الأفق مبني ضخم ذو واجهة زجاجية كبيرة، وقد أحاطت به سيارات لامعة من شتى الألوان.

قلت مقتبسة من إعلان تلفاز مشهور على نطاق واسع: «أوه، عندما تلاقي الفخامة القدر».

قالت مايف: «للحقيقة أنا لا أفهم معنى هذه الجملة».

قال لويس: «حسناً، لا تشتهر شركات بايفيو بإعلاناتها التسويقية الرائعة، هل تتذكرون غايز؟ تلك الحلوى السويدية المزيفة ذات شكل السمك، لقد كانوا ينتجونها عندما كنّا أطفالاً؟» ثم قال بصوت غنائي مشابه للإعلان: «أفضل هدية سترتها في حياتك».

حدّقت إلى لويس: «اللعنة لويس، يمكنك الغناء».

ضغطت مايف على ذراعه بلطف: «لا يكفي عن مفاجأتنا».

ابتسم لويس بتواضع: «ولكن رغم ذلك لست بقدر (لا شيء يجعلني أشعر بالحماسة إلا اللياقة)».

تنهد كوبر: «لن تكفوا عن ذلك أبداً، أليس كذلك؟».

ربت كرييس كتفه بلطف: «على الأقل استطعت أن تحصل على سيارة جديدة بفضله».

قاد كرييس إلى موقف السيارات، وشق طريقه بحذر نحو آخر بقعة متاحة للركن، إنه – وبالطبع – سيارة الهونداي الوحيدة في الموقع، قال وهو يخرج مفتاح السيارة: «حسناً ها نحن ذا في متجر ماندالاي للسيارات، حيث تكلف السيارات أكثر بكثير من المنازل».

قال كوبر وهو يضع يده على قفل حزام الأمان، وترتسم تعابير التحّفّ على وجهه الوسيم: «انتظر ماذا؟ ربما يجب أن نتناقش في الأمر أكثر».

من جهته لم يستطع لويس أن ينتظر، فصاح: «إنه حلم يتحقق!». وتوجّه صوب المدخل قبل أن يغلق أي شخص بابه.

قالت مايف مباشرة: «حسناً هلا تنتظرون إلى ذلك، لقد استغرقني الأمر شهوراً عدة، ولكنني اكتشفت أخيراً ما الذي يجذبني تجاه لويس سانتوس».

قال كرييس، وهو يدفع كوبر عبر موقف السيارات: «هياً.. نحن نشاهد السيارات فقط، سيكون الأمر ممتعاً».

تبناهم أنا ومايف بخطوات وئيدة، فشددت كمها عندما وقفت وحدّقت إلى سيارة بورش رمادية أنيقة، فسألتها: «هل ما زلت تراقبين أولئك الفتية من موقع منتدى الانتقام؟». حاولت أن أبدو طبيعية، و كنت أقوم باستطلاعاتي الخاصة عن أوبن هذا الأسبوع، وتلصّصت على سجل المتصفح لديه؛ والذي كان بلا فائدة تماماً، لأنّه يقوم بمسحه مباشرةً، ولست خبيرة بالเทคโนโลยيا بما فيه الكفاية لأكتشف طريقة أخرى لمعرفة سجله.

قالت مايف: «أجل، ما زلت أتراسل مع قنديل البحر ذلك أياضًا، يصعب على تامي لي أن تبقيه بعيداً تماماً، لذلك أضطر لتجاهله رسائله أحياناً. أنا متأكدة بنسبة 99 بالمئة من أنه وأصدقاؤه ليس لهم أي صلة بما يحدث في بايفيو».

سألتها: «لماذا لست متأكدة بنسبة مئة بالمئة؟».

أجابت وهي ترفع كتفيها: «لا يملك البشر قدرة كاملة على التوقع، وكثيراً ما تتفاجئين بهم، حتى عندما تظنين أنك تعرفينهم جيداً». شعرت بانزعاج في معدتي، في الوقت الذي أكملت فيه مايف وهي تنظر إلى السيارة: «أعني، لقد كانت هذه فكرة تطبيق النميمة الخاص بسايمون منذ البداية، أليس كذلك؟ على الرغم من أن كل شيء انتهى بشكل خاطئ، ولكن الأمر بأكمله كما أخبر برونوين ذات مرة: إذا لم يكذب الناس أو يخونوا بعضهم بعضاً، ما كنت لأجد شيئاً أقوم به».

قلت وأناأشعر بالانزعاج في معدتي مجدداً: «أجل.. كان كلامه صحيحاً».

قالت مايف: «تكم من مشكلة سايمون في أنه لم يَر الموضوع من زاوية أخرى ليتعاطف مع الناس ويرى لماذا يضطرون للكذب أحياناً. لا يكذب كثير من الناس بقصد إحداث ضرر وإنما لأنهم خائفون، ليس هناك أسوأ من أن تدع الناس يرون الجوانب الأخرى منك التي لا تريدهم أن يروها».

لقد أصبح الجو حاراً جدّاً هنا في مرأب السيارات، لذلك حركت طرف بلوزتي وأنا أسأّلها: «هل يجب أن ندخل أو...».

قاطعتني مايف: «أنا أدين لك باعتذار يا فيبي».

رمشت بسرعة: «تدينين لي.. لماذا؟».

قالت وهي محمّرة الوجهتين: «لأنني أبرزت في حفلة نيت صورة جيك وهو يُبَدِّل لك إطار السيارة بدلاً من التحدث إليك أولاً، لقد كنت مصدومة جدّاً لدرجة أنني لم أستطع التفكير في الأمر للحظات، لقد سبب الاضطراب لك ولأدي، ولو أنني لم أفعل ذلك، كانت الليلة ستسير بشكل مختلف تماماً، وما كنت لتشملي، ثم...».

أوقفتها قائلة: «مايف.. أنا الشخص التافه الذي سمح لجيك بتبدل إطار سيارتي، كان يفترض بي أن أكون واضحة حول ذلك» ثم أضفت، «وأيضاً حول..».

تباطأت وتابعت مايف الجملة: «حول ذهابك إلى الحدث الذي أقامه في إيستلاند».

قلت وأنا أنظر إلى الأرض: «أجل وهذا أيضاً».

سألتني برقه: «لماذا ذهبت؟ ولماذا لم تخبرني أحداً؟». عندما لم أستطع أن أعطيها جواباً، أكملت قائلة: «هيا فيبي، هذا هو واجب الأصدقاء، أليس كذلك؟ إنهم يوجدون لتبويحي لهم بكل ما يزعجك».

ازدرت لعابي بصعوبة، ماذا لو أن خوض تلك المحادثات المخيفة يعني خسارة أصدقائك، عدا عن كل شيء آخر خسرته بالفعل؟ قلت: «آه.. أعتقد أنني أردت أن أرى إن طرأ أي تغير على جيك». تعثرت في كلماتي: «إذا كان قد طرأ أي تغير حقيقي على جيك، بسبب.. بسبب..».

أوه يا إلهي، هل سأقولها حقاً؟

لقد قالت لي إيماء لا تفعلي أي شيء حتى أصل إلى المنزل، حسناً؟ ولكن ها نحن هنا ولم تأتِ بعد، لقد مررت خمسة أيام منذ أن خدرت، وسحبت من حفلة نيت، وعواملت كشخص على وشك الموت. ولكن أختي لا تزال تنتظر أن تهبط أسعار التذاكر في إكسبيديا، هل تظنني أمتلك قدرة تحمل خارقة؟

«أيها الأصدقاء!». نظرنا إلى لويس الذي يقف أمام الباب الرئيسي للمتجر، وهو يلوح بذراعيه: «تعالوا إلى هنا، عليكم أن تدخلوا، سنقوم بقيادة تجريبية للاميورغيني!».

قالت مايف متذمرة: «هذا الجانب من شخصيته غير جذاب على الإطلاق». ولكن عينيها عبرتا عن شيء مختلف وهي تنظر إليه وترسم ابتسامة تلقائية على شفتيها، ثم نظرت إلىي، وتعابير وجهها تعبّر عن التفهم التام وقالت: «لقد كنت قلقة على أدي؟ أليس كذلك؟».

أجبتها: «أجل». لأن تلك هي الحقيقة ولأن ذلك أكثر سهولة - بكثير - من قول أي شيء آخر.

الفصل العشرون

فيبي

الخميس، 5 تموز

لم يشتري كوبر أي سيارة من متجر ماندالاي للسيارات، لأن الأسعار أرعناته. أخيراً قال وهو يجذب لويس باتجاه سيارة كريس: «لم تعطني جدتي شيئاً على بياض، بالإضافة إلى أنني أحتاج تلك المدفوعات الشهرية من الإعلان التجاري، فهم سيدفعون لي فقط لمدة سنة، ومن يعرف ما الذي قد يحدث بعد ذلك؟ على أن أدخل بعض المال للأيام السيئة».

قال كريس بمودة: «أنت حَقّاً من برج الثور يا كوبر.. ولكنك محق في النهاية، لقد كان الأمر ممتعًا ولكن في المرة القادمة سنبحث في أماكن أرخص قليلاً من ماندالاي للسيارات».

قال لويس: «اترك الأمر لي يا كوب، أعرف تماماً ما الذي تحتاج إليه».

تنهد كوبر: «أنا حَقّاً أشكّ في ذلك».

تجادل الشبان طول فترة الرحلة، ثم أعادني كريس إلى كافيه كونتيجو، فعملت حتى الساعة العاشرة كرجل آلي من دون أن أفك في أي شيء. كنت أنظر إلى إيفي وأحاول أن أقلد ما تفعله تماماً لأن أصبح موظفة نموذجية. حتى أني في نهاية الليلة عبات على الكاتشب الناقصة بعضها من

بعض للحصول على علب معبأة تماماً رغم أنني أترك ذلك لها غالباً، قالت عندما رأته: «لا بأس فيبي، أستطيع القيام بذلك».

كنت على وشك أن أقول ألا يرهقك أن تكوني مثالية إلى هذه الدرجة، ولكنني كبحت لسانني وشكرتها بدلاً من ذلك.

ثم اتصلت بوالدي وقلت لها: «قد أُمِّرَ على بيت نوكس لبعض الوقت».

قالت: «حسناً، ولكن لا تتأخر، كوني في المنزل بحلول الساعة الحادية عشرة». هذه علامة على مدى إعجاب أمي بنوكس فهي لم تطلب مني أن أعود إلى المنزل مباشرة.

قلت: «حسناً سأكون في المنزل في الوقت المحدد». ثم مشيت نحو سيارتي، وقدت إلى منزل نوكس، وحذقت مطولاً إلى نافذة غرفته المصينية، بقيت أحدق لخمس عشرة دقيقة كشخص غريب الأطوار وأنا أحاول معرفة إذا كان يجب عليّ أن أفعل ذلك أو يجب أن أعود إلى سيارتي وأغادر. لكنني لم أستطع، لقد بقيت كلمات مايف ترن في رأسي من دون توقف بينما كنت أعمل، إلى درجة أنني كنت على وشك أن أتصل بها عشرات المرات قبل أن تنتهي فترة عملي، ولكن في النهاية رأيت أن هناك شخصاً آخر علىّ أن أتحدث إليه أولاً.

لذلك ها أنا ذا الآن أسلق مجدداً صوب نافذة غرفة نومه.

قال نوكس بمجرد أن رأني من حيث يجلس على السرير وأنا ألهث: «ظننت أن أيام دخولك عبر النافذة قد ولت». مع أنه ابتسم لكنه بدا مشوشاً لأنه ومنذ أن طلب مني أن أعطيه مساحته الخاصة أصبحت أرّ جرس المنزل عندما آتي لزيارته.

قلت وأنا أقترب من سريره: «أريد التحدث إليك، ولكنني لا أريد أن يعرف والدك أنني هنا، وأريد أن تُقسم أنك لن تخبر أحداً بما سأقوله لك».

لم يتردد نوكس قبل أن يقول: «حسناً». ثم جذب الأغطية بقوة وأبعدها إلى جانب السرير وجلس قبالي: «ما الأمر؟».

كيف أبدأ بسرد القصة؟ لا أعرف إلى أين يجب أن أنظر، لذلك ألتقط ورقة من مكتب نوكس وأبدأ ببطوبيها على غير هدى وأقول: «الامر يتعلق بـ...». أشعر بالاضطراب، وأحاول عيناً البحث عن كلمة أبدأ فيها الحديث الذي

يرعنبي تماماً. «هل تتذكر عندما طلبت مني أن أخرج معك في موعد، بعد زفاف أشتون وإلي؟».

أوه يا إلهي، لماذا حظر لي ذلك الآن؟

قال نوكس باقتضاب: «أجل».

قلت: «وقتها رفضت طلبك». طويت الورقة بسرعة.

قال نوكس بنبرة صوت ثابتة، ولكن الإشارة الوحيدة إلى أن ذلك أزعجه هو حجمه المستمر لظهور رقبته بطريقة لا إرادية: «أتذكر ذلك».

قلت: «ولكنني وقتها كنت أريد الخروج معك». ثم نظرت إليه – وأوه كلا.

أشرق وجه نوكس خجلاً، وارتسمت ابتسامة رائعة على شفتيه، وعرفت أنني أخفقت في ما كنت سأفعله بطريقة أسوأ مما كنت أتوقع، وقبل أن أصل إلى الجزء السيئ منه أيضاً، قال: «فيبي.. هل لديك فكرة كم...».

أيّا يكن ما سيحدث، ولكنني لا أستطيع تركه ينهي تلك الجملة: «ولكنني لم أستطع أن أخبرك بذلك، لأن هناك أشياء لا تعرفها». قلت له بتعليق: «حول كيف انتهت لعبة جرأة أو تحدّ».

سأل نوكس وقد بدت الحيرة جلية على وجهه: «ماذا بشأنها؟». مع أن الابتسامة الخفيفة ما زالت تلوح على وجهه بشكل خفي، أوه أنا أسوأ البشر لأنني بدأت المحادثة بتلك الطريقة، ربما كانت تلك الطريقة الوحيدة الممكنة لأنني الآن لا أستطيع أن أتهبّ من الموضوع وأنهي المحادثة كما فعلت مع مايف في متجر ماندالاي للسيارات بل على إخباره حتماً.

لذلك أخبرته. أخبرته بكل تفصيل بشع وقدر فعله أوبين، وبما فعلته أنا وإيما لكي نتستر عليه، أبقيت عيني على قطعة الورق وأنا أتحدث، وقد طويتها إلى عشرات الأشكال المختلفة. سمعت صوتي منخفضاً وهادئاً بشكل غريب، لن تستطيع أن تعرف أبداً من ذلك الصوت مقدار الأسى والإحباط الذي يشعر به قلبي وهو على وشك أن يتمزّق بين أضلاعي.

تابعت حتى قلت كل ما أردت قوله، طننت أنني سأشعر بالراحة بمجرد أن أخرج كل شيء، ولكنني لم أشعر بالراحة، وكان كل تلك الكلمات التي خرجت من فمي معلقة الآن في الهواء وتحتل كل المساحات الفارغة بفعل صمت نوكس.

أخيراً قال: «واو». لم أتبين شيئاً من نبرة صوته.
قلت: «أجل».

ثم خِيَم السكون لفترة ليست قصيرة.

عندما لم أعد قادرة على تحمل هذا الهدوء، نظرت إلى نوكس الذي حرك رجليه عند حافة السرير فاحتكت ركبتيه: «تعلمين أنني سأكتم أي سرّ إذا احتجت أي واحدة من أخواتي إلى ذلك، صحيح؟ من دون أن أسأل عن السبب».

قلت وقد ترقرقت عيناي بالدموع وأنا أضع يدي على فمي غير قادرة على تصديق هذه المبادرة الجميلة التي بدأ فيها الحديث: «أوه يا إلهي.. لقد طننت أنك ستكرهني، لقد كنت ومايف الأشجع، وأنقذتما الجميع وما كنتما ستضطران لذلك لو أن أوبن سمح لإيمانا بالذهب بعيداً...».

قال نوكس وهو يلوي فمه: «أجل.. هذا الجزء لم يكن رائعاً، ولكنني أتفهم لماذا فعلت ذلك، وسبب يئس أوبن إلى تلك الدرجة، لا بدّ أن ذلك كان يقتله من الداخل.. ولكن لا بأس الآن بما أنك بدأت تخبريننا، وسيستطيع هو الحصول على المساعدة التي يحتاج إليها».

توقف شعور الراحة الذي ملأني للحظات، وحلّ مكانه ثورة سريعة، صرخت: «أخبركم؟.. أنا لا أخبركم، بل أخبرك أنت».

«حسناً فهمت ذلك أجل، في البداية أنا ثم البقية، أليس كذلك؟».

انطلقت الكلمة من فمي قبل أن أقِرّر تماماً إن كنت سأقولها: «كلا!». ففي النهاية وعلى الرغم من أنني كنت أفكّر بالأشياء نفسها التي قالها، ولكن الآن وما دام هناك احتمال حقيقي لحدوث ذلك فقد سبّبت لي الغثيان والدوار. لقد قالت إيماناً هناك الكثير من التعقيبات.

سألني نوكس وقد توسيّعت عيناه: «لن تخبرني أحداً.. ولكن حينها لن تتوقف الأمور، أليس كذلك؟ إنها حلقة مفرغة، لقد أراد سايمون أن ينتقم، وأراد جيك الانتقام، وأراد جيرارد الانتقام، وأرادت إيماناً الانتقام، وأراد أوبن...».

وضعت يدي على أذني كطفل صغير، وصرخت «توقف.. لم يرد أوبن أن يحصل ذلك، لم يدرك ما الذي كان يفعله».

سألني نوكس بهدوء: «ما الذي سيحدث إذا أراد شخص ما أن ينتقم مجدداً من أوبين؟ ماذا لو كان ذلك سبب اختطافك يوم السبت؟».

تشوشت رؤتي، وعدت بالذاكرة للحظات إلى كوخ المعدات ذلك عندما كنت خائفة ومخدّرة ولا أعرف كيف وصلت إلى هناك، ماذا لو.. كلا هذا مستحيل، قلت: «لا أحد يعرف ذلك غيرنا أنا وإيما والآن أنت، وقد وعدتني...».

قال نوكس وهو يشيك أصابعه: «لن أنكث بوعدي، ولكنني أتمنى أن تأخذني بعيداً الاعتبار فكرة أن تكسرني أنت وعدك، كانت ليلة السبت لتنتهي بنهاية أسوأ، وإذا كان هناك شيء واحد نعرفه بحق عن بابيفيو فهو أن الأمور تصبح أسوأ بكثير قبل أن تتحسن مجدداً».

لم أسمح لنفسي بتقبيل تلك الفكرة: «أوبين مجرد طفل، سيطلق الجميع مختلف الأحكام عليه كما فعلوا مع إيما...».

قال نوكس: «وبراندون كان مجرد طفل أيضاً عندما كان يلعب ببغاء بتلك الرافعه الشوكية التي قتلت والدك، لم يُحمل أي مسؤولية، وقرررت إيما أن تنصب له ذلك الفخ ليموت بسبب ما فعله حين...».

«لم تقصد ذلك حقاً! تعلم أنها لم تر ذلك، لقد اعتقدت أنه ربما قد..». ازدردت لعابي بصعوبة ثم قلت: «يصاب قليلاً».

«وهل هذه حقاً طريقة تفكير أفضل؟».

أجل. كلا. لا أعرف. لا يوجد جواب جيد على هذا السؤال، لذلك بقيت صامتة.

«فيبي لنضع كل شيء جانباً، بفعلك ذلك والبقاء صامتة أنت لا تقدمين لأوبين خدمة، إذا كنت تظنين أن الأمر صعب عليك فلك أن تتخيلي كم هو صعب عليه؟ والذنب الذي لا بد أنه يقتلها؟». عضضت إصبعي بصمت في الوقت الذي أضاف فيه نوكس: «هل نسيت الشعور الذي تركه ذلك الفيديو؟»- ليس عليه حتى أن يقول أي فيديو - قفز براندون إلى الموت، في الوقت الذي صدح صوت صرخ شون ومونيكا في الخلفية، سيبقى ذلك الفيديو محفوراً في ذاكرتي طوال عمري، تابع: «أو تلك القنبلة التي كانت على وشك أن تقتل عشرات الناس وتنتزع ذراع نيت من مكانها، أو...».

«لم أنس شيئاً».

لم أدرك. أنت كنت أصرخ حتى سمعت نقرة خفيفة على الباب، بعدها أطلت والدة نوكس برأسها عبر الباب، وسألت: «هل كل شيء بخير يا عزيزي؟». ثم عندما رأته قالت: «أوه مرحباً فيبي، لم أسمعك عندما رنت الـ...». توقفت عندما رأت النافذة مفتوحة ونسمات الهواء التي تحرك الستائر، سالت: «هل أنت بخير؟».

قلت: «أنا بخير.. آسفة على إزعاجك، لقد كنت.. أنفُس عن غضبي». أوه يا إلهي، يا ليت لدى سيارة خردة ومطرقة ثقيلة الآن.

سألت السيدة مايرز: «لما لا تتابع حديثكما في الطابق السفلي؟ هناك بيترز إذا كنتما جائعين».

«كلا، لا بأس لقد كنت.. كنت على وشك المغادرة». وقفت ممسكة بقطعة الورق، فلم أكن واثقة أنتي أستطيع تركها الآن: «عليّ أن أذهب».

سأل نوكس ويدا الإحباط على تعابير وجهه: «هل أنت متأكدة من ذلك؟». لقد كان ذلك الأمر بأكمله مجرد خطأ، ليتنى لم أت إلى هنا، لم يصلح اطلاعه على الأمر شيئاً بل زاد الأمر سوءاً، لأنه ينظر إلى الآن وكأنه لا يعرفني، وربما هو محق في ذلك.

قلت: «أنا متأكدة». ثم مررت بجانب السيدة مايرز.

الفصل الحادي والعشرون

نٰيت

الجمعة، 10 تموز

الخميس كان يوم عطلتي من النادي الريفي، فأمضيته مع حبيبي غير المفقودة. لقد كانت أفضل ليلة حظيت بها منذ فترة، وهي أكثر من تعويض لحقيقة أننياليوم سأطّرد على الأغلب.

تصرّف غافين بسرعة يوم الأربعاء، ولكن ليس بالسرعة الكافية، فقد رأني الكثير من الناس عندما اندفعت باتجاه جيك، وبعد ما حدث في منزله في رامونا لن يُفاجئني إذا استخدم جيك تلك الحجة ليتخلص مني، لأنه وبكل بساطة يستطيع ذلك.

لذلك، بمجرد أن دخلت الحانة ألقيت نظرة سريعة على مقاعد المشرب الحديدي بقلق، متوقّعاً أن أرى جيك المتعجرف يبتسم، ولكن بدلاً من ذلك لمحت فانيسا وهناك كأس طويلة أمامها على قمة كرزة مارشينبو مثقوبة بعود أسنان، فقالت وهي تأكل الكرزة: «لا تقلق ما عاد يُسمح له بالوجود هنا بعد الآن».

أشعر بشيء من التوتر يغادرني وأنا أقف في مكاني خلف مشرب الحانة الأساسية، وألُوح إلى ستيفاني - الساقية في الحانة التي تعمل حتى المساء بدلاً من غافين - ولكنني رغم ذلك لن أترك فانيسا تعرف أنني كنت قلقاً بشأن جيك: «من؟».

نظرت إلى: «تعرف تماماً من أقصد، لقد اشتكت بعض النساء من أنهن لا يشعرن بالأمان بوجود جيك في النادي، كما أن بعضهن قلن إنه هدّدك».

نظرت إليها بدهشة، ثم بدأت بسحب الكؤوس الزجاجية من غسالة الأواني خلفي: «حقاً؟». لقد هدّدني نوعاً ما، ولكن يستحيل أن يكون أحد سواي قد سمعه: «من قال ذلك؟».

أشارت فانيسا بواسطة عود الأسنان إلى الزاوية حيث تجلس مجموعة الأمهات دائمًا: «لا أعرف أسماءهن، ولكن.. إنهن يحمينك».

فجأة، أصبحت مناوبة العمل هذه أفضل بكثير مما توقعت، ومن بين كل الناس كانت فانيسا ميريمان هي الشخص الذي نقل الأخبار الجيدة لي، في الحقيقة بدا الأمر وكأنها تنتظرني من أجل أن تُخبرني، صالبت ذراعي أمام صدري، ثم اتكأت على أحد الأعمدة الذي يثبت الحانة وقلت: «ما خطبك يا فانيسا؟».

قالت وهي ترتشف من كأسها: «أوه حان وقت الأسئلة إذا؟ حسناً لنحظى بالمرح، دعني أطرح عليك سؤالاً، لماذا أنت وقح هكذا؟».

«هيا بالله عليك، أنت دائمًا هنا، دائمًا وحدك، هذه ليست فانيسا ميريمان التي أعرفها من أيام مدرسة بايفيو الثانوية».

قطّبت حاجبيها: «أتمنى أنك لا تلّمح إلى أنني آتي إلى هنا من أجلك».

قلت: «أنا لا ألمح إلى شيء». وهذا حقيقي، لأن طبيعة فانيسا تكون البدائة بمغازلة من ترغب فيه، ولكنها لم تفعل ذلك طوال فترة مجئها إلى هنا، فسألتها: «هل تأتين من أجل غافين؟».

قطّبت حاجبيها بدهشة وقالت: «من؟». أوه غافين أيها المسكين. أنظر إليها بثبات محاولاً أن أجده كلمات موزونة لصياغة سؤالي التالي، حتى تقول: «ماذا؟ انطق ذلك الحكم المسبق اللعين الذي على وشك أن تنتقه، نيت».

حسناً لقد طلبت مني ذلك: «خطر على بالي للحظة أنك ربما تكونين هنا من أجل جيك».

عبسَت فانيسا: «حقاً؟ أجل، ذلك هو النوع الذي أحبه تماماً، أولئك الذين يؤذون من حولهم ويساعدون الأولاد المضطربين على تدمير حياتهم.. ذلك هو نوعي المفضل تماماً، يا إلهي نيت! لا أصدق أنك قلت هذا».

بدت منزعجة جدًا، فقلت: «أنا آسف، لا أعرف أنك كنت تشعرين بتلك الطريقة». ثم أشعر أنني مجبر على إضافة: «ولا أعتقد أن أدي تعرف ذلك هي الأخرى».

ضغطت فانيسا القشة الم موضوعة في المشروب نحو الأسفل، وقالت: «تعرف أدي أنني آسفة بشأن كل شيء حدث في الفصل الدراسي الأخير». «هل أخبرتها بذلك؟».

«كلا، ولكن بالطبع أنا آسفة، فأنا لست وحشًا في النهاية». «ولكن لا تحدث الاعتذارات هكذا».

تمتمت فانيسا وهي تضغط بقوة أكبر: «آآآه.. أعرف ذلك، حسناً؟ أنا أحاول الوصول إلى تلك المرحلة، كنت على وشك قول شيء ما في حفلتك، ولكنني ثملت كثيراً، ولم أستطع، ولكن ثق أنني كنت مرعوبة من رؤية جيك ذلك اليوم، شأني شأن الآخرين. لم أعتقد أنه سيسمح له أن يكون هنا، لقد كنت آتي إلى هنا فقط من أجل.. أمه».

ما كان يجدر بي أن أفاجأ من سماع هذا، كما فعلت إذا الأخذ بعين الاعتبار أن فانيسا عملياً بقيت تتربّب وتتعقب السيدة ريو ردان في المرة الأخيرة التي كانت فيها هنا، ولكن إذا لم يكن لجيك صلة بالموضوع، فلا أستطيع معرفة ما الذي تسعى فانيسا خلفه، فسألتها: «لماذا؟».

«لأنها كانت تعمل سابقًا في كونراد وأولسن وكانت ذات شأن كبير». أضافت بعد أن لاحظت من تعابير وجهي أنني لم أفهم: «إنها أكبر وكالة إعلانات في سان دييغو، لديها فروع ومكاتب في كل مكان: في لندن، وباريس، وسيدني، وأي مكان يخطر على بالك. لقد أردت بشدة أن أتدرب هناك، ولكنهم لم يتصلوا بي حتى لأجري مقابلة العمل، أظنّ أنهم ما زالوا غاضبين من والدي».

سألتها: «والدك؟». حدقـت إلى الكؤوس الزجاجية المصفوفة أمامي، غسالة الأواني تلك سيئة، ما زال معظمها رطـباً لذلك أمسكت بمنشفة وبدأت بتجفيفها، وأردفت: «لماذا؟».

«لقد تعاقدت شركـته معهم من أجل حملة إعلانية منذ عدة سنوات، ولكـنه كـره الفـكرة الإبداعـية النـهائيـة ولم يـدفع لهمـ، وـحصلـت مشـكلـة كـبـيرـة وـقـتها». ثم ضـغـطـت القـشـة مـجـددـاً: «ولـكـنه كان مـحـقاً، فقدـ كانتـ الفـكرة

الإبداعية سيئة جدًا»، أياً يكن فقد اعتادت السيدة ريورдан على العمل هناك بصفتها مخرجة الحملات الإعلانية، وأعتقد أنها تستطيع قول بعض الكلمات الجيدة عنِّي، لقد قالت إنها ستفعل ذلك ولكنني.. لا أعرف حقًا، لا يبدو أنها تتواصل معهم كثيرًا الآن، لقد خضعت الوكالة لإعادة هيكلة كبيرة بعد وفاة المدير التنفيذي، وعلى الرغم من أنها لن تقول ذلك بنفسها، ولكنني أشعر أنها فُصلت من العمل».

قلت: «أوه هذا سيئ». وعند ذكر حقًا، فقد بدت السيدة ريوردان مؤخرًا، وكان لديها الكثير من وقت الفراغ، ومن الواضح أنها لا تحب ذلك.

قالت فانيسا: «أجل، يبدو أنني لن أحصل على مساعدة، ولكن ربما يكون ذلك الأفضل لي، خاصة مع كل تلك الانتقادات والمقالات السيئة التي تُكتب عن كونراد وأولسن».

«حقًا؟ لماذا؟».

«لأنها شركة الإعلانات المسؤولة عن اللوحة الإعلانية في شارع كلارندون، تلك اللوحة التي اخترقت؟».

سألتها في الوقت الذي توقفت فيه عن تجفيف الكؤوس: «حقًا؟». لقد حاولت مايف جاهدة أن تجد صلة بين تلك اللوحة الإعلانية وما حدث لفيفي، ولكنها لم تستطع إيجاد شيء واحد بعد، لم تستطع إيجاد صلة مع جيك خاصة أن ورق جدران منزله لم يطابق ما تتذكرة فيفي، ولكن من المثير للاهتمام أن والدته كانت تعمل في تلك الوكالة الإعلانية.

وما الذي تقوله مايف دائمًا عن الصدف؟ لا تثق بها.

«أجل، لقد خسروا كثيرًا من الصفقات بسبب ذلك، بالطبع فإن نقص الحماية لوحده يعتبر خطأ أحمر عريضًا، ربما بعدم قدرتي على العمل هناك أكون قد تفادي رصاصة، من يدري».

«حسناً، ولكن إذا لم تكن السيدة ريورдан قادرة على مساعدتك، ولست مهتمة بعافين...».

قاطعني فانيسا: «حقًا من هو هذا الشخص؟».

في المرة القادمة التي أرى فيها عافين سأخبره أن يحول أنظاره إلى فتاة أخرى، قلت: «لماذا تستمرين بالقدوم إلى هنا؟».

قلت ذلك بما يُشبه المزاح، ولكن فانيسا احمرّت ونظرت صوب الزاوية: «لا أعرف إذا لاحظت ذلك يا نيت، ولكن كل أبناء دفعتي الذين تخرجت معهم يكرهونني».

قلت: «ليس الجميع».

ابتسمت وسألتني: «هل قلّ كرهك لي؟».

«لست أسوأ شخص قد أصادفه».

بدت خجولة: «شكراً لدعمك».

«مهلاً، إذا أردت التحدث بشأن ما حصل في المدرسة الثانوية فلست الشخص المناسب، ربما جعلتني أُمِّر ببعض الأوقات العصبية، ولكنني كنت أرد لك الصاع صاعين مباشرة، لقد قلت لك كثيراً من الأشياء التي ما كنت لأقولها اليوم بغض النظر عن مدى غضبي، هل تعرفي؟ أنا آسف بشأن كل ذلك، آسف لأنني تكلمت بالسوء عن حياتك الجنسية في تلك الكافيتيريا بعد أن فُضحت سر كوبِر».

رمشت فانيسا بدھشة: «هل تعذر لأنك وقفت إلى جانب كوبِر؟ لأنني أعرف أنني لم أتصرّف بشكل لائق يومها».

«أعتذر على الطريقة التي قمت بها بذلك، ما كان يجدر بي التمادي إلى هذا الحدّ».

عُصّت فانيسا إيهامها: «أنا.. حسناً». ثم احمرّت كامل رقبتها وكأنها تعاني من طفح جلدي: «أرى ما تفعله، ولكن كما قلت كنا متعادلين، لست الشخص الذي ركل زوجاً من كلاب غولدن ريتريفر الذهبية، وأيضاً هل لديك فكرة كم هو صعب أن تعذر إلى أشخاص لا يرغبون في رؤيتك بالقرب منهم؟ الذي يتوقعون أنك على وشك قول أسوأ الأشياء بمجرد أن تفتح فمك؟».

في الحقيقة أجل أعرف ذلك، وأجل أعرف ما يشعر به المرء عندما يُعطى فرصة ثانية، ولا أصدق أنني على وشك قول ما سأقوله، ولكن..

«فانيسا هل ترغبين بالقدوم إلى حفلة عيد ميلادي الأسبوع القادم؟».

راسلتني برونوين بمجرد أن أنتهي من العمل عند الساعة التاسعة مساءً: أنا في منزلك مع والدك، فأرسلت لها علامة استفهام، فأضافت: لقد

توقفت قليلاً لأعتذر منه على تفوتي العشاء في ذلك اليوم، وقرّرنا أن نطّبخ لك شيئاً ما الليلة.

أنا متأكد تماماً من أنه لا يوجد صيغة «نحن» في ذلك الحوار، فلن يفكّر والدي في ذلك من تلقاء نفسه، ولكنه لن يمانع أي شيء تقوله برونوين، بل سيذهب بكل سعادة إلى منزل يحترق ويدخل إليه إن طلبت منه برونوين ذلك، ويمكن القول إن ذلك شيء مشترك بيني وبينه. أرسلت إليها حسناً رائعاً، على الرغم من أن لدي بعض المخاوف حول الفترة الزمنية التي سيسنطرانها ليعداً ذلك الشيء الشبيه بالعشاء.

لكن ما كان علىّ أن أقلق، لأنني عندما وصلت إلى هناك كانت كريستال - شريكتي في السكن - بدأت بإعداد كل شيء بالفعل، كريستال طباخة ماهرة تقرّياً بقدر لويس، ولديها شيء مميز وهو قدرتها على إعداد الوجبات من مكونات تبدو وكأنها لا تصلح لتكوين معًا، نادتني بمجرد أن دخلت المطبخ وناولتني وعاء عن الطاولة: «سلطة فواكه مع نعناع وشراب القيقب».

سألتها وأنا أقبّل جبين برونوين: «حَفَّا؟». وجلست إلى الطاولة البيضاء التي اشتراها جياهاو عندما كان يعمل في إيكيا.

نظرت برونوين إلى بتوهّج: «إنها جيدة جدّاً». وربّت ذراع والدي وسألته: «هل تفضل سلطة عادية، باتريك؟».

بالكاد كان والدي قد لمس وعاءه، ولكن الآن ملأ فمه، وقال: «أوه كلا هذه رائعة». ثم تابع بعد أن بلع: «كل ما في الأمر أنني لست جائعاً».

قالت كريستال وهي تكسر بيضتين في إناء: «سترغبون في ترك بعض المساحة للبيض بحليب جوز الهند». ثم نظرت إلينا وهي تخفق البيض فسألتنا: «نيت.. هل تحدثت إلى ريجي مؤخراً؟».

«كلا». جرّبت سلطة الفواكه تلك بعد أن غرّرت شوكتي في قطع مختلفة منها.. واستغرّت أن يكون مذاقها جيد جدّاً، وسألتها: «لماذا؟».

قالت كريستال: «لأنه لم يعد إلى المنزل ليلة أمس، أعرف أن الأمر غير مستغرب، ولكنه خطط وديكون للعب ألعاب فيديو من نوع ما، ومن غير العادة، أن يفوّت ريجي نشاطات من هذا النوع، أضف إلى ذلك أن ريجي يعمل في متجر آيل مع صديقة ديكون أريانا، التي ذكرت أنه لم يأت إلى العمل اليوم. لذلك كنت أرسله لأطمئن عليه، ولكنه لم يرد».

توقفت عن الحركة وشوكتي في يدي في منتصف طريقها إلى فمي، وتبادل النظرات مع برونوين. لم يكن ريجي يخبر أي شخص فيينا عن خطّطه، ولكن ذلك يشبه كثيراً ما حصل مع فيبي.

قلت: «لقد رأيته ليلة الأربعاء، ولم أره منذ ذلك الحين، ماذا عنك؟».

قالت كريستال: «رأيته في الوقت نفسه تقريباً». ثم توقفت: «أوه، كلام انتظر... لقد رأيته صباح الأمس قبل أن أغادر إلى العمل، إذًا لم يمر كل ذلك الوقت بل...».

تدخلت برونوين: «مررت أكثر من أربع وعشرين ساعة، وقد كسر فيها قاعدتين له؛ فعلى الرغم من أن ريجي ليس شخصاً دقيقاً في مواعيده تماماً ولكنه يعشق ألعاب الفيديو ومنتجات شركة آبل. هل تحدثت إلى والديه؟».

قالت كريستال: «لا أعرفهما. هل تعرفينهما؟».

أجبت برونوين: «قليلًا. لقد كنت أعطي ريجي دروساً خصوصية في الثانوية، لذلك قابلتهما ولكنني لا أعرف رقم هاتفهما، أتساءل إذا كان...».

سألتها وهي تتوقف عن الكلام تدريجياً: «ماذا؟».

التفت نظرتها القلقة بنظرتي: «أعرف أن هذا يبدو مغض جنون، ولكن.. هل يجب علينا أن نتفقد كوخ المعدّات؟». ثم قالت: «فقط من باب الاحتياط؟».

قلت: «لا يبدو ذلك جنونًا».

سأل والدي: «ألم يختتم بالشمع الأحمر، ويُطّوّق بشرط بعد ما حدث لفيبي؟».

أجبت: «أشك في ذلك.. لا تتسم شرطة بايفيو بكل تلك الكفاءة».

قالت برونوين: «وحتى لو أنهم فعلوا ذلك أظن أننا نستطيع إيجاد طريقة للدخول». ثم وضعت شوكتها فأصدرت صوت قرقة: «أكره أن أكل ثم أرکض مباشرة يا كريستال، ولكن أظن أنني سأرتاح أكثر إذا تفقدناه أولاً».

تحدث والدي قبل أن أستطيع الإجابة دافعًا وعاء السلطة الذي بالكاد لمسه وقال: «حسناً، إذًا يجب أن نذهب».

الفصل الثاني والعشرون

٦٧

الجمعة، 10 تموز

بعد خمس عشرة دقيقة كنتُ وبرونوين والدي نمشي عبر ملعب البيسبول لمدرسة بايفيو الثانوية، وقد أضانا جميعنا مصابيح هواتفنا المحمولة، قلت: «خلف المدرجات». وتقدمت المسير.

تمتّمت برونوين: «إنه هادئ جدًا، ويبعث شعورًا بالسلام والأمان».

تمت: «لا تكوني ساذجة». ثم وجّهت ضوء مصباح هاتفي نحو كوخ المعدات: «حسناً، إنه مغلق». ثم وصلت إلى مقبض الباب وحاولت فتحه: «مغلق أيضاً».

قال والدي وهو يسحب مفاتيحه من جيبيه: «لقد بقيت مفاتيحي مع شخص ما لفترة، ربما صنع نسخة منها، انتظر لحظة».

أدخل مفتاحاً في القفل وحرّكه حتى سمعنا الطقة، فانفتح الباب
مصدراً صريراً طويلاً متباططاً. لاح لي خيال لفيفي المرمية على الأرض،
وشعرت بنبضات قلبي تتسع وتتشدد وأنا أنظر عبر الظلام، بعدها أنار ضوء
مصباح هاتف والدي المساحة، و.. قال في الوقت الذي دخلت فيه برونوين:

«ما من شخص هنا». سلطت برونوبن ضوء مصباح هاتفها صوب كل جدار في الكوخ.

تمتمت: «حمدًا لله».

ولكنني مع ذلك لم أكن مرتاحًا مثلها، ليس بعد ما قاله والدي عن مفاتيحه، فهو محق... أياً يكن ذلك الشخص الذي أخذها فهو غالباً يستطيع الوصول إلى أي جزء يريده من مدرسة بايفيو الثانوية بكل حرية. سأله: «أبي، ما هي الأقسام الأخرى التي تكون مغلقة هنا أيضًا؟».

قال: «هاه؟ كل الأقسام والأبنية مغلقة».

«أجل، ولكن.. لو أراد شخص ما – لنقل أن يستمر بـلـعـب لـعـبـته – ما المـوقـع الـذـي تـظـن أـنـه سـيـخـتـارـه؟».

بدا والدي محـتـارـاً، ولكن بـرونـوبـن فـهـمـت ما أـعـنـيهـ، وـسـأـلـتـ: «ـتـظـنـ أـنـ الشـخـصـ – أـيـاًـ يـكـنـ – الـذـي وـضـعـ فـيـيـ هـنـاـ رـبـماـ يـكـونـ قـدـ أـخـذـ رـيـجـيـ إـلـىـ مـكـانـ آـخـرـ؟».

أجبـتـ: «ـلـأـعـرـفـ هـذـاـ اـحـتـمـالـ وـارـدـ».

قالـتـ وـهـيـ تـضـعـ يـدـهـاـ عـلـىـ ذـقـنـهـاـ: «ـمـمـ.. هـذـاـ الكـوـخـ مـنـفـصـلـ عـنـ بـقـيـةـ أـرـاضـيـ مـدـرـسـةـ باـيـفـيـوـ الثـانـوـيـةـ، هـلـ هـنـاـكـ أـبـنـيـةـ أـخـرـ مـنـفـصـلـةـ عـمـّـاـ تـبـقـىـ؟ـ».

أـجـابـ والـدـيـ: «ـلـأـعـتـقـدـ أـنـيـ أـعـرـفـ مـبـانـيـ مـنـفـصـلـةـ غـيـرـ الكـوـخـ هـنـاـ».

قالـتـ: «ـحـسـنـاـ»ـ. ثـمـ نـظـرـتـ إـلـىـ الـفـوـضـىـ الـمـنـتـشـرـةـ لـلـمـعـدـاتـ وـالـحـصـائـرـ الـرـيـاضـيـةـ الـمـكـوـمـةـ بـعـضـهـاـ فـوـقـ بـعـضـهـاـ عـلـىـ الـجـدـرـانـ، وـتـابـعـتـ: «ـلـنـفـتـرـضـ أـنـاـ نـلـعـبـ لـعـبـةـ جـدـيـدةـ وـهـنـاـكـ قـاـعـدـةـ وـاـحـدـةـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ كـتـابـةـ كـلـمـةـ تـمـرـينـ عـلـىـ ذـرـاعـ فـيـيـ وـهـيـ: كـلـ شـيـءـ لـهـ صـلـةـ مـاـ بـالـرـيـاضـةـ، إـذـاـ بـدـأـنـاـ بـهـذـاـ الكـوـخـ، عـلـيـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ نـتـوـجـهـ إـلـىـ...ـ»ـ.

قلـتـ: «ـصـالـةـ النـادـيـ الـرـيـاضـيـ، أـوـ رـبـماـ غـرـفـ تـبـدـيلـ الـمـلـابـسـ»ـ.

قالـتـ بـرونـوبـنـ: «ـتـمـاـمـاـ.. بـاتـرـيـكـ هـلـ تـسـتـطـعـ إـدـخـالـنـاـ إـلـىـ هـنـاـ؟ـ»ـ.

قالـ والـدـيـ وـهـوـ يـحـرـكـ الـرـبـاطـ الـمـطـاطـيـ عـلـىـ مـعـصـمـهـ: «ـأـسـتـطـعـ وـلـكـنـ...ـ هـنـاـكـ كـامـيـرـاتـ مـرـاقـبـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ، سـيـعـرـفـونـ أـنـاـ كـنـاـ هـنـاـ، رـبـماـ يـجـبـ أـنـ نـتـصـلـ بـالـشـرـطـةـ وـنـخـبـرـهـمـ بـمـاـ يـقـلـقـنـاـ»ـ.

قالت برونوين: «ولكنك لا تقتحم المكان بالعنف، لديك المفاتيح، سيكون تصرفك مجرد تصرف من موظف مسؤول وقلق».

بدا والدي محتاراً ومرتبكاً، ولا يمكنني لومه فهو يحتاج إلى عمله، قلت: «أو.. ابنك المتهور الأحمق أخذ المفاتيح منك من دون معرفتك».

احتجت برونوين: «كلا، لا يمكن أن تُسرق مفاتيحه مرة أخرى».

سأل والدي: «انظرا.. حسناً سأذهب وحدي، حسناً؟ ابقيا هنا».

اقترحت برونوين: «هل نستطيع مرافقتك حتى السور على الأقل؟».

أعاد والدي إقفال كوخ المعدات، وعدنا أدراجنا حتى لاحت مدرسة بايفيو الثانوية أمامنا غارقة في الظلام باستثناء بعض المصايب القليلة عند المدخل، قال: «سأعود على الفور». ثم توجّه صوب مرأب السيارات، سرت القشعريرة في جسد برونوين وهي تراه يبتعد، فاحتضنّت كتفيه بذراعي، وسألتها: «هل تشعرين بالبرد؟».

أرخت رأسها على صدري، وقالت: «كلا، أنا قلقة فقط، كل هذا يشعرني بالسوء».

احتضنتها بشدة أكثر وشممت رائحة شعرها الذكية، خوفاً من أن تخرج مع زفيري تلك الفكرة القابعة في مخي: أيّاً يكن ما يحدث، فعلى الأقل، إنه لا يصيّبك أنت، أعرف أن من الخطأ التفكير على هذا النحو في هذه اللحظة، ولكن برونوين شاهدت يوم الأربعاء الفائت كيف تعاملت بغاية السوء مع ذلك الموضوع. بقينا على هذا الحال لفترة حتى سمعنا صوت خطوات فتباعدنا عن بعض وتقدمنا فوراً، فوالدي يكاد يركض نحونا وهو شيء لم أره منذ عشر سنوات على الأقل.

بدا متوتراً ومشوشاً عندما وصل إلينا وانحنى واضعاً راحتي يديه على ركبتيه، ليتمكن من التقاط أنفاسه قليلاً، ثم قال: «كاميرات المراقبة كلها لا تعمل».

كرّرت برونوين: «لا تعمل؟ ما الذي تعنيه بذلك؟».

قال وهو يقف مجدداً بشكل مستقيم: «أصواتها لا تعمل، هناك ضوء صغير أحمر عندما يكون مضاءً فهذا يعني أنها تعمل، لقد لاحظت ذلك على الكاميرا الموجودة عند الباب الخلفي، وظننت أن الأمر مجرد صدفة، ولكن

كاميرات المدخل لا تعمل هي الأخرى، أقيمت نظرة سريعة على صالة النادي الرياضي - لا يوجد أحد هناك بالمناسبة - والأمر سُيّان».

قالت برونونين: «ربما هناك خلل في الكهرباء؟». ثم نظرت إلى المبني، وقالت: «ولكن المصايب الخارجية تعمل بشكل جيد، إذًا..».

قلت: «بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا وَالدِّي، دُعَا نَتَفَقَدُ غَرْفَ تَبْدِيلِ الْمَلَابِسِ».

توقع أن يعترض ولكنه لم يفعل، بل سمح لي بأخذ مفاتيحه وتقديم الطريق باتجاه المدخل الخلفي، حيث – وتماماً كما قال – كان ضوء كاميرا المراقبة الموضوعة في الزاوية مطفأ، فتحت قفل الباب ودفعته، ثم دخلت قاعات مدرسة بايفيو الثانوية للمرة الأولى منذ أكثر من سنة، أول ما نظرت إليه هو بيت الدرج، وعادت بي الذكرة إلى اللحظة التي كنت فيها هنا مع برونوين بعد أن استجوبتنا شرطة بايفيو بشأن موت سايمون، اعتذرت لها عن سرقة المسيح الصغير خلال لعبه ميلاد السيد المسيح التي لعبناها في الصف الخامس، وأعطيتها هاتف استعمال مؤقت (يحتوي رقمًا مؤقتًا ينتهي بعد فترة معينة) في حال أرادت أن تتحدث أكثر.

وقتها حاولت أن أتصّرف وكأنني لا أهتم إذا استخدمته أو لا، ولكن الشيء الوحيد الذي كان يشغل تفكيري وأنا أعطيها إياه هو أن لا ترميه، حسناً؟ وأن ترد علىّ عندما اتصّل بها. وقد فعلت ذلك: صحيح أنها تركته يرّن لحوالي الخمس مرات قبل أن ترد، ولكنها ردّت في النهاية.

شبكت برونوين أصابعها بأصابعها ونحن نفتح الباب المزدوج لنصل إلى القاعة الرئيسية المحاطة من الجانبين بغرف تبديل الملابس، سالت برونوين: «هل يجب أن تدخل إلى صالة النادي الرياضي أولاً حتى تصل إلى غرف تبديل الملابس؟ بالكاد أستطيع تذكر التقسيمات».

قال والدي: «كلا، هناك ممر جانبي خلف صالة النادي الرياضي يمكننا استخدامه». مشى أمامنا ومرّ بجانب خزانة عرض الكؤوس الزجاجية وهو يقول: «لقد كان عملي هنا يعطي شعوراً غريباً، قضاء الكثير من الوقت وأنا أمشي عبر هذه القاعات، لم آتِ إلى هذا المكان إلا نادراً جدّاً عندما كنت طالباً هنا يا نيت». ثم تنهنج قليلاً وتتابع: «يا ليتنى لم لملمت شتات نفسي عندما كنت بحاجة إلى مساعدتى».

قلت: «خُف عنك». لا أشعر بالراحة عندما يفعل والدي ذلك، لأنني لا أعرف أبداً ماذا عليّ أن أرد عليه بدوري، أكملت: «بطريقة ما سارت الأمور على ما يرام».

قال والدي: «بل أنت من جعلها تسير على ما يرام.. بمساعدة برونوين».

«أجل.. حسناً..». ثم لاح باب غرف تبديل ملابس الفتيان، لم يسبق لي أن شعرت بالسعادة لرؤيته، قلت: «ها نحن ذا». ثم دفعته نحو الداخل متوقعاً أن أجده مقفلًا، ولكنه انفتح، كثُرت قائلًا وأنا أخطو إلى الداخل: «لم تتغير رأيته على الإطلاق».

قالت برونونين: «لم يسبق لي أن دخلت إلى غرفة تبديل ملابس الفتى، هل يجب.. برأيك هل تظنّ أنه يجب أن نضيء المصايب؟». ثم حاولت تلمس الجدار حتى تجد مفتاح المصباح، فأعمى الضوء المفاجئ عيني للحظة، ثم تمنت بعد أن تأقلمت عيني وما زلت أرمي بسرعة: «أوه.. حسناً لنـ.. الحمامات هناك، و....».

توقفت فجأة، ورفعت ذراعي لأمنع برونوين من التقدم أكثر، فسألتني وهي ترفع رأسها فوق كتفي لتشاهد ما أراه: «ماذا؟». ثم سمعتها تشهق بصوت مرتفع، فعرفت أنني لم أستطع منعها من رؤية مارأيته لتوi.

بع متناثرة من سائل أحمر داكن سميك على الأرضية، تماماً قبل الزاوية التي عليك أن تتعطف عندها لتصل إلى قاعة تبديل الملابس الرئيسية.

قالت بـ ونوبـن متقطـعة الأنـفـاسـ؛ «دمـاءـ».

قلت: «ابقي هنا». وكأنها ستصغي لي، بل بدلاً من ذلك ها هي تمشي إلى جانبي وأنا أتجاوز بحذر يقع الدماء، وانعطف عند الزاوية.

صاحت برونونين وقد وضعت يديها على فمها بعد أن سقط هاتفها الجديد الذي اشتترته البارحة من يدها: «يا الهي». استطاعت أن أحافظ على رباطة جأشي وأشعر بمغص في معدتي وأنا أحاول استيعاب المشهد الذي أمامي.

قال والدى، وهو يسند نفسه إلى الباب: «يا الله».

إنه ريجي، مكّمم الفم ومعصوب العينين، وقد فُيد إلى أحد الكراسي البلاستيكية التي تُستخدم في الغرف الدراسية وقد انقلب على الأرض، هناك جرح كبير وعميق على جبهته، ثم هناك الكثير من الدماء حول رأسه بالإضافة إلى بقع مبعثرة عند زاوية الحاجط بين الحمامات ومنطقة تبديل الملابس. لقد أصبحت بشرته رمادية اللون، وتصلب جسده، هناك كلمة مكتوبة على ذراعه

اليمنى بالطريقة نفسها والأحرف الكبيرة السوداء التي كُتبت بها على ذراع
فيبي.

يصنع

القسم الثاني

الفصل الثالث والعشرون

أدي

الثلاثاء، 14 تموز

أخذت المغلف ورفعته عاليًا أمام ضوء مرآة المكياج الخاصة بي، ولكن لا.. لا أستطيع أن أرى من خلاله، أنا مضطربة لفتحه لأعرف إن كانت أختي ستنجب في الخريف صبيًا أو بنتًا، ربما إذا فعلت ذلك فستساعدني الحماسة والإثارة على موازنة وتعديل كفة هذا الصيف البشع الأشبه بسلسلة من الكوابيس التي تنتهي.

ومن ناحية أخرى، قد يترك تأثيرًا أقل أهمية مما أتوقع.

رُنْ هاتفي، فسقط المغلف من يدي عندما لاحظت أنها مكالمة فيديو من كيلي، قلت وأنا أضغط على زر قبول المكالمة: «هاري!». فلُوحت لي من مكان يبدو وكأنه سطح مطل على المحيط، وتتلاأل النجوم من خلفها وهي تقول: «عيد ميلاد سعيد يا أدي!».

قلت وأنا أSEND الهاتف إلى المرأة: «شكراً». ثم شعرت للحظات بمشاعر لا يمكنني تحديدها، وأناأتأمل عيني كيلي اللامعتين وسمرة بشرتها المتوجهة. نعم، ها هو ذا يأتي.. ذلك المغتص الجميل في معدتي، قلت: «تبدين جميلة، أنا أفتقدك حقًا». قلت مبشرةً قبل أن يتدخل عقل السحلية الغريزي و يجعلني أقول شيئاً مثل: كيف الطقس عندك؟

نظرت إلى كيلي مبتسمة وقد بربت غمارتها خديها، وقالت: «وأنا بدورى أفتقدك، يبدو شعرك مذهبًا وتبدين جاهزة تماماً للذهاب والاحتفال، تعلمين.. لقد فكرت بالفعل في السفر لحضور حفلتك، ولكن عندما سمعت ما حدث لريجي لم أكن متأكدة أنك ستقيمين الحفلة».

هل كانت كيلي ستتسافر حقاً؟ ستقطع كل تلك المسافة من كيب كود؟ لا أعرف يبدو هذا.. كثيراً. جلست وقلت: «لقد اختصرنا الحفلة نظراً لذلك، لدينا أنا ونيت توقيت سيئ عندما يتعلق الأمر بالحفلات، فقد صادف موعد حفلته بالكاد بعد أسبوع من وفاة براندون وبيه، والآن.. حدث الأمر نفسه تقريرياً مع ريجي».

شعرت بالحزن والكآبة وأنا أضع المغلف الوارد من طبيب التوليد الخاص باشتون في الدرج العلوي لخزانة ملابسي، فالآن وبالتالي ليس الوقت المناسب للحصول على الأخبار السعيدة.

قالت كيلي: «الأمر فظيع، لا أصدق أن نيت وبرونوين هما من عثرا عليه، لا بد أن تلك اللحظة كانت مخيفة جدًا، هل تملك الشرطة فكرة عن الفاعل؟».

أجبتها: «إذا كان لديهم شكوك فلن يخبرونا، ولكنك تعرفين كيف تسير الأمور في بيفيو، هناك دائمًا عشرات الأشخاص الذين يظهر فجأة أنهم كانوا غامضين تماماً».

تنهدت كيلي: «أجل أعرف بيفيو». ثم أخفضت رأسها قليلاً وأضافت: «وأعرفك جيداً، كوني حذرة حسناً؟ ركري على الوصول إلى البيرو حالياً، فأمامك أسبوعين، وبعد ذلك يمكنك أن تحصل على الراحة، قد تتغير الأمور تماماً عندما عودتك مرة أخرى».

قلت وأنا ألعب بطرف الجلد الميت عند الظفر: «أجل قد يحدث ذلك، وستكونين قد عدت إلى جامعة كاليفورنيا بحلول ذلك الوقت، ربما أراك في عيد الشكر؟». ثم أطلقت صوتاً يشبه الضحكة إلى حد ما، وحاولت السيطرة على حماسي، لأنني أعرف تماماً أن ذلك لن يحدث.. من أمازح هنا؟

لدينا جداول مختلفة تماماً، وحتى لو لم نكن كذلك فلو استطعنا اللقاء كل ما سأفعله هو إفساد الأمور وتخريب صداقتنا أيضاً.

قالت كيلي: «يبدو هذا أمراً جيداً».

رمشت متفاجئة. هل من المفترض أن أكون الشخص الذي يرفض لتجنب ما قد يحدث، سألت: «لماذا؟».

قالت: «هل تتذكرين عندما انفصلنا أنا وكوبر؟».

لم أتوقع هذا السؤال، ولكنني اكتفيت بالإيماء برأسٍ، فتابعت: «حسناً، نحن على علاقة طيبة الآن، ولكن وقتها كنت مجروحة حقاً من الداخل، ظننت أنني أعرفه جيداً، وأنه يبادلني المشاعر، وجعلني ذلك أفكّر بيني وبين نفسي: إذا كنت مخطئة حيال ذلك، فما هو الشيء الذي أخطأته به أيضاً؟ وشعرت أن الجواب هو: كل شيء». التقطت الجلد بقوة أكبر بينما أضافت كيلي قائلة: «لقد شكّكتني تلك التجربة بنفسي، خاصة في ما يتعلق بالعلاقات. لم أرغب بعلاقة أخرى لأنني لم أكن واثقة بنفسي، ناهيك عن أنني لم أثق بأي شخص آخر».

حاولت تذكيرها: «لقد واعدتِ لويس، بعد أسبوعين تقرّباً من انفصالك عن كوبر».

«لأنني كنت أعرف أن الأمور لن تتطور إلى علاقة جدية، بالإضافة إلى أن تلك كانت ردة فعل كلاسيكية، أظنّ أنني أردت أن أشعر أنني مرغوبة مرة أخرى، ولكن مع ذلك لم ينجح الأمر». وضعت خصلة من شعرها خلف أذنها ما جعل شكل أذنها بكل خطوطها وأثلامها العميقه أكثر وضوحاً، ثم أكملت: «ما أريد أن أخبرك به هو أنني أعرف تمام ما يشعر به المرء عندما يُخدع ممن يظن أنه يحبه، مع أن الشخص في حالي كان جيداً، فأنا واثقة أنه لم تكن في نية كوبر أن يؤذيني. لذا، حافظنا على صداقتنا، ولكن مع ذلك هناك أصوات في داخلي تعلو وتتحفظ كلما حاول أحدهم التقرب مني».

تمتمت: «دماغ السحلية».

حركت كيلي رموشها الطويلة: «هاه؟».

«هذا هو اللقب التي أطلقه على هذه الحالة، دماغ السحلية، إنه الذي يتحكم بزمام الأمور عندما تشعرين بالخطر، وذلك بالغالب يعني...».

أنهت كيلي جملتي: «وذلك بالغالب يعني معظم الوقت إذا كنت في مرحلة التعافي من جيك وليس من كوبر مثلي».

«خاصة إذا كان جيك ذلك قادرًا على التجول مجدداً في حديقة منزلك». طيّرت نسمة شعر كيلي أمام وجهها فعاودت دفعه إلى الخلف بإحدى يديها،

وقالت: «ما أحاول قوله يا أبي أنه ما من داع للاستعجال... لذلك دعينا نتحدث كما نفعل دوماً، ولا نقلق تجاه أي شيء آخر». ثم ابتسمت بمكر وقالت: «كلمات أخرى، لا يفترض بفكرة السفر إليك أن ترعبك».

قلت محتاجة: «لم أكن مرعوبة!».

ضحك: «لقد كنت مرعوبة جدًا، يبدو أنه دماغ السحلية خاصتك».

استسلمت: «حسناً، ربما كنت مرعوبة قليلاً».

«أنا أفهمك حقًّا». ثم أبعدت نظرها عن الشاشة وقالت: «حسناً، سأكون عندكم خلال ثوان».

عاودت النظر إلىّ وقالت: «يجب علىّ الذهاب الآن، نحن نلعب لعبة غولف ليلية مصغّرة، أنشري صورًا من حفلتك، حسناً؟».

«إنها ليست حفلة بقدر ما هي محاولة لتجمّع واستخلاص معلومات من نادي القتل».

قالت وهي ترسل قبلة: «لا تزال حفلتك، ارتدي أحد تيجانك وكوني الملكة التي أعرفها».

قلت وأناأشعر بالشلل ينزاح عن كاهلي، وأرسل لها قبلة بدوري: «أنا حَقَّاً أفتقدك كثيراً».

قالت وهي تغمز قبل أن تنهي المكالمة: «أعرف ذلك».

فجأة شعرت أنني أفضل حالاً، فقلت مبتهجة في الوقت الذي طرقت فيه والدي الباب: «ادخلني!». بدت مرتبكة وهي تدخل، لأنه لا يمكن القول إن هذه طريقتي الطبيعية فعندما أدعوها للدخول بالعادة أكتفي بإصدار صوت موافقة بلا مشاعر.

قالت والدتي: «لقد وصلت السيارة». ثم أضافت وهي تتحني لتنظر إلى غرفتي: «ما الذي يسعدك إلى هذه الدرجة؟».

أجابتها: «كنت أتحدث إلى كيلي».

قالت: «أوه». ثم ألقت نظرة عن قرب إلىّ وأنا أنظر إلى وجهي في المرأة، بدوت متوجهة ومشعة من الداخل، كرّرت أمني بلهجة مختلفة تماماً:

«أوه.. أوه حَقّا؟».

قلت وأنا ألتقط مرطب الشفاه من أعلى مكتبي وأضعه في جيبي: «من الأفضل ألا أترك لويس ينتظر في الأسفل».

«حسناً إذا كانت تلك العلاقة شيئاً ما..».

قلت عندما واجهتها: «لا تفعلي يا أمي.. حسناً؟». أشعر بشيء من الدوار عندما أتذكر كل تلك الأوقات التي وقفت فيها في ذلك المكان بالضبط وأعطتني عدداً لا متناهياً من المحاضرات حول ما يجب أن أرتديه وكيف يجب أن أتصرف مع جيك، لقد مرّ عامان منذ أن ظهرت شخصيته الحقيقية للعالم، ولكن يبدو أن شيئاً لم يتغير بيني وبين والدتي، بغض النظر عن أي شيء أفعله دائماً، أنا التي قمت بالخطوة الخاطئة.

قلت: «لا أريد أن أتأخر على الحفلة».

قالت وهي تتنحى جانباً: «أنا لا أحاول تأخيرك». نزلت الدرج متواترة وسمعتها تناديني: «كل ما كنت سأقوله هو..».

فكّرت وأنا أفتح الباب الأمامي وألوح للويس لماذا يجب أن تكون كلمتك هي الأخيرة، أنت وجيك كلاكم متشابهان بذلك.

أنهت أمي جملتها قائلة: «... إذا كان هناك شيء، فهي فتاة محظوظة». قالت ذلك بشكل مفاجئ جداً، ولم أكن مستعدة لسماعها تقول ذلك. لذلك كدت أغلق الباب على أصبعي.

الفصل الرابع والعشرون

أدي

الثلاثاء، 14 تموز

قالت مايف وهي تنظر مباشره إلى حاسوبها في غرفة روخاس الخاصة بالحواسيب والتكنولوجيا: «التمرين يصنع الأفضل». جلس جميع أفراد طاقم بایفيو في الغرفة، وأكملت: «لا بد أن هذه هي الجملة التي يحاول ذلك الشخص تشكيلها فقد كتب تمرين على ذراع فيبي، والآن يصنع على ذراع ريجي، ألا تطئون ذلك؟».

قلت وأناأشعر بالقلق يجتاحني: «ريما». منذ البداية، كنت أعرف أن الأثر الجيد الذي تركته كيلي لن يدوم طويلاً، أكملت: «ولكن السؤال الأهم والأكبر حالياً هو: من ذلك الشخص، هل هو جيك؟ لقد أخبر فيبي أن عليها أن تقوم بمزيد من التمرين، هل تتذكرون؟».

نظرت صوب فيبي بقلق، إنها تجلس الآن إلى جانب كوبر وكريس بدلاً من نوكس، ولكن برونوين أجابت بدلاً منها وأنا واثقة من أنني أعرف لماذا: لم تحب أبداً فكرة أنني وقعت في دوامة جيك بشكل غير واع لفترة طويلة من الزمن. قالت برونوين: «صحيح، ولكن وإن كان جيك قادرًا على الإفلات من جهاز التعقب والمراقبة، لماذا يستهدف فيبي؟ ليس هناك أي تاريخ سيء بينهما، أو حتى ريجي؟ لقد دعم ريجي جيك في تلك المقالة في بایفيو بليد،

تذكرون ذلك، لقد قال شيئاً عن أن جيك كان لطيفاً معه، أو جملة أخرى بهذا المعنى».

قلت وأنا أقتبس من تلك المقالة: «قال لقد كان جيداً جدًا معي». لقد حفظت تلك المقالة الغبية، قلت: «حسناً، ذلك منطقي».

انحنت فيبي وقالت: «من المثير للاهتمام أنك عرضت الأحداث يا مایف، فالأشياء تتضاعد، لم أكن.. لم أكن مقيدة مثل ريجي، ولا أظن أن الشخص الذي فعل ذلك كان يريد رؤيتي ميتة أو حتى مجروحة». ثم تابعت وهي تتبع لعابها بصعوبة في الوقت الذي طوق كوبر كتفيها بذراعه ليطمئنها: «أظنّ أنه أراد إثبات أنه حصل علىّ وأنني موجودة هناك فقط».

قالت برونونين: «ربما لم يرحب بقتل ريجي أيضًا». تبادلت نظرة مع نيت، وقالت: «أعلم أنه لا يفترض أن تتحدث عما رأينا، ولكن...».

قالت نيت: «سيلتزم جميع من في نادي القتل بالصمت». تتمم الجميع بالموافقة على ذلك باستثناء فيبي التي ربما تعرف بالفعل ما ستقوله برونونين.

أكملت برونونين: «بدا أن ريجي مات عن طريق الخطأ، لقد كان هناك آثار خدوش على الأرضية ناجمة عن جر الكرسي، وبدا وكأن ارتفاع المكان الذي تلطخ فيه الجدار بكل الدماء مساو للارتفاع الذي قد يصل إليه ريجي أثناء جلوسه على الكرسي، أعتقد ونيت أن الكرسي انقلب به وضرب نفسه في زاوية حادة من ذلك الجدار وهو يحاول تحرير نفسه».

شعرت بقشعريرة، لم أهتم أبداً بريجي كراولي عندما كتّا في المدرسة الثانوية، حتى أتنى بالكاد استطعت تحمله، ولكن لا يستحق أي شخص في العالم أن يموت بالطريقة التي مات فيها.

سأل كوبر: «إذاً أياً يكن الشخص الذي قام بذلك أراد فقط أن... ماذا؟ يعذبه ويرعبه؟ أو يرسل رسالة؟ أستطيع التفكير في عدد من الأشخاص الذين قد يفعلون ذلك، كاترينا لوت مثلاً. ولكن سيكون من الغريب التفكير بأنها قد قطعت كل تلك المسافة من بورتلاند لتخطف ريجي، بالإضافة إلى ذلك ليس لديها شيء - هي أو أي شخص آخر - ضد فيبي؟ ليس هناك من رابط بينهما».

قلت: «حسناً، لقد كانا في حفلة نيت في الرابع من تموز. وقد تحدثنا لفترة قصيرة معاً، صحيح فيبي؟ هل رأكما شخص ما وقتها؟».

قالت فيبي: «لا أظن ذلك، فيحسب ما أذكر كل الأشخاص الذين كانوا يتسلّعون في غرفته رحلاً بحلول الوقت الذي دخل فيه».

وضعت برونوين قدميها فوق حصن نيت، ثم قطّبت حاجبيها وهي تلعب بشعره وقالت: «أيّاً يكن من فعل ذلك فهو يتمتع بقدرات مخيفة بشكل مذهل، لقد كان قادرًا على أن يجعل جميع أولاد المدرسة يختفون من المبني ثم أغلاق جميع الكاميرات...».

قاطعتها مايف: «هذا ليس بالأمر الصعب؛ إذا كان نظام الكاميرات محلّيًا، كل ما عليك فعله هو مسح اللقطات التي تظهر دخولك للمبني ثم إيقاف عمل النظام بأكمله».

نظر إليها لويس نظرة تجمع بين الإعجاب والترقب: «في بعض الأحيان لا أعرف إن كان يجدر بي أن أعجب بك أو أخاف منك».

ابتسمت مايف بهدوء: «أنا أعتبر الخوف والإعجاب جيدان بالنسبة إلىّ».

تنحنحت برونوين: «كما كنت أقول.. يمكنه فعل كل ذلك، ولكنه حقًا لا يستطيع إبقاء ريجي على قيد الحياة؟».

قلت وأنا أشعر بالوخز في جلدي: «ربما لم يرغب بذلك، بل ربما كان من المفترض أساسًا أن يbedo موت ريجي وكأنه حادث غير مقصود، تماماً كما حدث مع براندون».

ردد نوكس: «صحيح.. تماماً كما حدث مع براندون» وحاول أن ينظر إلى عيني فيبي التي ظلت تنظر إلى الأرضية. لم يكن التفاهم بينهما جيدًا في الآونة الأخيرة، وكانت لأسال عن ذلك لو أنها لا نملك مشاكل أكبر الآن.

سأل نوكس: «هل هناك أخبار أو ثرثرة من شباب منتدى الانتقام يا مايف؟».

قالت: «إنهم يتحدثون عن الأمر، مثل أي شخص آخر، يتساءلون بعد أن مات ريجي عما إذا كان شخص ما يحاول تقليد جاريد، ولكنهم لا يتحملون أي مسؤولية، ولا أحد يتفوه بأي شيء حول التمريرين يصنع الأفضل». نظرت بعيدًا ثم أكملت: «لا أستطيع التوقف عن التفكير في تلك الجملة، وهل لها علاقة بتلك اللوحة الإعلانية التي أعلنت بدء لعبة جديدة؟ أقصد لقد استطاع برونوين ونيت إيجاد ريجي لأنهما كانا يفكران في الأماكن الرياضية، بدأ أولاً بكوخ

المعدات، ثم في غرف تبديل الملابس. هل يمكن أن تكون عبارة التمرين يصنع الأفضل هي تلك «القاعدة الوحيدة» التي ذكرها الإعلان؟».

سألت بعصب: «ولكن ما هي تلك اللعبة؟ الأمر ليس مشابهاً للعبة تحدي أم جرأة التي يتلقى فيها الناس رسائل نصية وتعليمات، أمّا الآن فماذا؟ قام شخص باختراق لوحة إعلانات، وهذا كل شيء؟».

قالت مايف: «ربما الشخص الذي اخترقها هو الوحيد الذي يلعب». ثم وصلت حاسوبها المحمول بكل ي يصله بشاشة التلفاز الكبيرة المثبتة على الحائط وفي غضون ثوان ظهر الكثير من نتائج البحث، قالت: «لقد كنت أبحث في غوغل عن تلك العبارة، ولكنني لم أجد الكثير من الأشياء المهمة بالطبع، بعض الأغاني ومقالات ويكيبيديا، وبعض برامج الإثراء الصيفية..».

قاطع رنين جرس الباب حديثها، قالت برونوين وهي تتبادل نظرة مع نيت: «من قد يكون؟ الجميع هنا». ثم وقفت وعبرت الشقة ونظرت إلى الشاشة الصغيرة الموضوعة بجانب الباب، ثم عبست قائلة: «لحظة.. هل بدأت تخيل أشياء أم أن فانيسا ميريمان تقف عند عتبة بابنا؟».

قال نيت: «أوه، اللعنة». بدت نبرته غير معتادة أبداً لدرجة أنني احتجت للحظات حتى أعرف بما عليّ وصفه حالياً، إنه.. إنه يبدو مذنباً، أكمل: «حسناً، إنه خطأي، لقد حدث الكثير من الأشياء مؤخراً ونسيت أن أخبرها أننا لن نقيم حفلة تماماً».

قلت وأنا أفتح فمي متفاجئة: «نيت!.. لقد دعوت فانيسا إلى الحفلة؟ لماذا فعلت ذلك؟».

وقف رافعاً يديه وكأنه يحاول الدفاع عن نفسه: «آسف، كان يجدر بي أن أخبركم قبل كل تلك الأشياء المريعة التي حصلت مع ريجي، تمضي فانيسا كثيراً من الوقت في النادي الريفي حيث أعمل، وقالت إنها تريد الاعتذار عن الطريقة التي عاملتكمما أنت وكوبر فيها خلال المدرسة الثانوية، لذلك فكرت أنه..». توقف في الوقت الذي كان الجميع يحدقون إليه: «من الواضح أنني فكرت بشكل خاطئ، تلك كانت فكرة رهيبة، سأخرج وأخبرها أن الوقت غير مناسب».

سألته: «هل تريد فانيسا أن تعذر حقاً؟».

أجاب نيت: «هذا ما قالته».

قلت: «حسناً لا يمكن لهذه الحفلة أن تصبح أسوأ على أي حال، لا بأس في سماع ما تريده قوله».

سألني: «هل أنت متأكدة من ذلك؟». فأومأت برأسِي، فالتفت صوب كوبر: «وأنت كوب؟».

رفع كوبر كتفيه وبدا غير مبالٍ: «لِمَ لا؟».

اختفى نيت عبر الممر، في الوقت الذي نظرت إليه برونوين بمزاج من الفخر والخوف، قالت: «إنه طيب جدًا».

ارتعش كريس قليلاً وهو يقول: «هل هذه هي الفتاة...؟».

قاطعه كوبر مؤكداً: «إنها فتاة الكافتيريا». فتحولت تعابير وجه كريس مباشرةً إلى الغضب الشديد القاتل وقال بسوداوية وهو يصالب ذراعيه أمام صدره: «إذاً دعني أقل إن اعتذارها مهما يكن فهو قليل ومتاخر».

سمعت أصوات خطوات قادمة وبعض التمتمة، ثم عاد نيت بصحبة فانيسا التي ارتدت ملابس أكثر إثارة ممّا تتطلبه هذه الليلة المتواضعة؛ فستان قصير لامع وكعب عالٍ وقد صفت شعرها بشكل ذيل حصان مسحوب من الأمام، وزينت وجهها بكثير من ألوان الكراميل، قالت وهي تدخل الغرفة وتتفحص الجميع بعينيها ونحن نحتسي المشروبات الغازية ونتظر إلى شاشة التلفاز الكبيرة التي تعرض شاشة لابتوب مايف: «ماذا.. هكذا بالضبط توقعت أن تكون حفلة فتاتي روخاس».

زفر نيت محبطاً: «حَفَّا؟ هكذا ستبدئين حديثك».

«كلا، أنا..». ثم تقدمت نحوه وقدّمت لي زجاجة مغلقة بورق فضي: «عيد ميلاد سعيد أو أيّاً يكن».

أخذت الزجاجة بصمت في الوقت الذي أضافت فيه: «إنها شمبانيا وردية، من ذلك النوع الذي أحضرته خلال ذلك الوقت الذي أمضينا فيه يوماً أنا وأنت وكيلي على الشاطئ بدون الفتية في الصيف السابق للسنة الأخيرة في المدرسة الثانوية، هل تتذكرين؟».

قلت: «نعم.. شكرًا». إنه أحد أفضل الأيام التي أذكرها عن ذلك الصيف، وربما أفضل ذكرى لدى مع فانيسا.

حرّكت أساورها وكأنها تنتظر مني أن أقول شيئاً آخر، وعندما لم أقل شيئاً خيّم صمت طويل على الغرفة، حتى قال نيت وهو ينظر إليها: «و؟».

فقالت فانيسا دفعة واحدة: «وأنا آسفة حقّاً. أنا آسفة لأنني وقفت إلى جانب جيك، ولأنني فضحتك، وحاولت أن أجعل جميع أصدقائك يعادونك ويقفون ضدك..».

قاطعتها وأنا أشعر بشيء من الألم: «كلا، أنت لم تحاولي فحسب، بل نجحت في ذلك». فحتى كيلي قاطعتني لفترة.

قالت فانيسا وهي تنظر صوب كوبر: «باستثناء كوبر، وأنا آسفة حقّاً لأنني كنت أتصرف بكراهية معك يا كوبر، كان ذلك أمراً فظيعاً وخطيراً، ليس هناك أي عذر لكل تلك الأشياء التي قمت بها في ذلك الوقت، لذلك لن أحاول أن أجد عذرًا ما، لقد كنت فتاة حمقاء مُعقدة، ولكن ذلك ليس مبرّراً، فهناك الكثيرات من الحمقاءات لا يفعلن أيّاً ممّا فعلته، ولكن رغم ذلك أنا آسفة حقّاً.. أنا سعيدة لأنكم قمتم بعمل رائع في الوصول إلى حياتكم الحالية، ولديكم آلاف الأصدقاء، لذا..». عبّرت بأساورها مجدّداً وتتابعت: «أعتقد أنه يمكنكم القول إن الكارما تعمل بشكل جيد».

إنها تذكرني بنفسي – ربما بطريقتها في اللعب بتلك الأساور – عندما ألعب بقرطي في اللحظات التي أشعر فيها بالتتوّر والقلق، ولكنني أجد نفسي أطفّ تجاهها، لا يجعل اعتذارها الأشياء أفضل حالاً بالطبع، ولكنها على الأقل استطاعت أن تعذر أخيراً، وبعد ما حدث لريجي أعلم أنني لا أريد أن أحمل ضغينة أخرى ضد زملائي السابقين حتى أولئك الذين كانوا فظيعين، فلا تعرف أبداً متى تكون المرة الأخيرة التي تشاهد فيها شخصاً ما.

قلت: «أنا أسامحك».

صاح كريس: «حقّاً؟ هذا كرم منك يا أدي، ولكن بالنسبة إليّ..». نظر الجميع إليه، في الوقت الذي اصطبغ فيه خداه باللون الأحمر: «أدرك أن هذا الاعتذار ليس لي، ولكنني الشخص الذي اضطرّ حينها إلى البقاء مع كوبر». ثم نظر بعينيه الخضراوين الغاضبين إلى فانيسا التي احمرّت خجلاً ووجلاً، ولكنها لم تنظر بعيداً: «لقد كان محطّماً تماماً، لأنك كنت فظيعة وسيئة جدّاً».

قالت فانيسا: «أعرف».

عزم كريس شفته: «هل تعرفين حقّاً؟ هل لديك فكرة عما تعنيه حقيقة أن تكوني متّهمة زوراً بالقتل، وأن يُكشف سرّك أمام كل طلاب مدرستك، ثم

يستهزئ بك أشخاص كنت تعتقدين أنهم أصدقاؤك الحقيقيون؟ وكل ذلك خلال يوم واحد؟». ارتفع صوته مع كل كلمة في الوقت الذي نظرت فيه إلى برونوبين التي توسيع حدقتا عينيها وهي تشاهد، لم يسبق لي أن رأيت كرييس يصرخ بهذه الطريقة، لا أظنّ أنني توقعت أنه قادر على الوصول إلى هذه الدرجة من الغضب أساساً. حدق نيت إليه متجمداً، وكأنه غير قادر على تصديق أنه قد أطلق كل تلك القوة الغاضبة الداخلية لكرييس: «لا يتعلّق الأمر فقط بكوبير، فقط اضطررت أدي المسكينة إلى التعامل مع تصرفاتك السيئة تلك لأسابيع...».

قال كوبير الذي لم تبأح عيناه كرييس، بصوت هادئ ومنخفض: «توقف واحداً». وكأنه سبق له أن رأه غاضباً ويعرف الطريقة المناسبة تماماً لتهديته، تابع كوبير: «لقد تجاوزنا كل هذا الآن، أليس كذلك؟ لقد فعلت أيضاً أشياءً لست فخوراً بها...».

قال كرييس: «لم تكن شيئاً وقاسياً تجاه أي أحد!».

قالت فانيسا التي لا تزال تنظر إلى الأعلى رافعة ذقنها ورقبتها محمرة مثل وجه كرييس: «أنت على حق، كنت سيئة جيداً، وأنا آسفة».

قال كرييس: «حسناً، ربما عليك التعبير عن ندمك هذا من خلال أفعال ملموسة، بإمكانك التبرع إلى مشروع تريفور على سبيل المثال».

قالت فانيسا وهي تومئ برأسها: حسناً، سأفعل ذلك».

بدا كرييس أقل غضباً قليلاً: «جيد، هذه بداية جيدة على الأقل».

عم الصمت، ولاحظت نظرة يائسة من نيت تجاه برونوبين، لدرجة أنه على الرغم من كل التوتر في الغرفة كان على أن أحبس صحتي، سيصبح الجحيم شديد البرودة قبل أن يفكّر نيت ماكولي مجدداً في لعب دور صانع السلام، قالت برونوبين بهدوء: «أعتقد أن مناقشة هذا القدر من الموضوع كافية خلال يوم واحد».

ضغط كوبير بلطف على يد كرييس قبل أن يقول: «أقدر اعتذارك يا فانيسا».

ابتسمت له فانيسا بحزن ربما لاحظت أنه قال أقدر، وليس أقبل: «لقد كنت تعامل الناس دائمًا بلطف أكثر مما يستحقونه يا كوبير.. حسناً اسمعوا؛ لم

أقصد أن أجعل الحفلة أسوأ، سأذهب وستطعون العودة إلى...». ثم نظرت إلى شاشة تلفاز عائلة روخاس: «البحث عن الحملات الإعلانية القديمة؟».

وضعت زجاجة الشمبانيا الوردية على أقرب طاولة جانبية، كانت لفتة جميلة من فانيسا على الرغم من أن نخب شمبانيا هو آخر شيء أرغب فيه حالياً، وسألتها: «الحملات الإعلانية؟ ماذا تقصدين؟».

أشارت فانيسا نحو نتائج بحث غوغل التي أجرتها مايف: «أليس هذا ما تفعلونه؟ التمرين يصنع الأفضل». ألا تذكرون هذه العبارة الإعلانية من أيام المدرسة المتوسطة؟ كان إعلاناً لشركة دروس خصوصية تقدم الدروس تحضيراً لاختبار السات، عندها حدث الكثير من الجدل لأن الآباء كانوا يقولون لا يوجد شيء اسمه الكمال أو الأفضل، ولكن رغم ذلك تمكنت الشركة حينها من مصاعفة أرباحها». التقطت أنفاسها قبل أن تنظر باتجاه نيت وتصيف: «بالمناسبة كانت تلك الحملة الإعلانية من شركة كونراد وأولسن، كان سبب شهرتها».

لقد بدا لي الاسم مألوفاً، ولكنني لم أستطع ربطه بشيء، من الواضح أن نيت استطاع لأنه قال مباشرة: «حقاً؟». عاودت مايف البحث على غوغل ونحن نتحدث، وظهر إعلان على شاشة التلفاز، ثلاثة «مراهقين» جميعهم ممثلون في العشرينات من أعمارهم، يجلسون في المكتبة الأكثر أناقة في العالم، وتحيط بهم جبال من الكتب، قالت إحدى الفتيات وهي تنقر بقلم الرصاص على الطاولة بحيث يناغم مع نغمة الإعلان: «التمرين». ثم قالت الأخرى وهي ترجع صفاتها الطويلة إلى الخلف: «يصنع». لينهي الفتى بابتسامة خبيثة وعينين زرقاءين: «الأفضل».

استطاعت الآن تذكر ذلك الإعلان، كان منتشرًا في كل مكان في الصيف السابق لبدء المدرسة الثانوية، لقد أقنعني وقتها تماماً، حتى أنت سألت والدتي إن كنت أستطيع أخذ دروس خصوصية لاختبار السات على الرغم من أن ذلك الاختبار كان بعد سنوات.

سأل نيت فانيسا: «هل أنت متأكدة من ذلك؟».

أجابت: «مئة بالمئة، لقد درست ذلك الفصل الماضي».

سألته: «ما هي شركة كونراد وأولسن؟».

عندما انتهى الإعلان التجاري ضغطت مايف على زر إعادة التشغيل، من المخيف فجأة أن تشاهد الممثلين المبتسدين وهم يقولون تلك الكلمات

التي كتبها شخص ما على ذراعي فيبي وريجي: التمرين، يصنع.

قال نيت: «إنها الوكالة الإعلانية المسئولة عن اللوحة الإعلانية التي احترقت.. لقد سبق لوالدة جيك أن عملت فيها».

أووه بالطبع، كانت السيدة ريووردان قد أبلغت شركتها بأنها على وشك الرحيل عندما قابلتها، ولكنها كانت تتحدث عن تلك الشركة كثيراً. كنت أتساءل كثيراً عن سبب مغادرتها فمن الطريقة التي كانت تتكلم بها بدا وكأن وظيفتها كانت....

«الأفضل». قال ذلك الفتى والعينان الزرقاء من الإعلان.

الفصل الخامس والعشرون

فيبي

الخميس، 16 تموز

كرّرت إيماء: «أنا آسفة جدًا».

حاولت استيعاب شكل أخي المعتاد التي تجلس أمامي على طاولة مطبخنا، بشعوربني محمر مربوط ببربطة شعر، وبشرة شاحبة حتى في الصيف، وملامح واضحة، وكان وجهها نسخة عن وجهي. مضى أكثر من شهر على رؤيتها للمرة الأخيرة. ولكن ذلك ليس ما يقلقني. قلت ذلك وأنا أبذل قصارى جهدي للحفاظ على ثباتي الانفعالي: «اثنا عشر يومًا يا إيماء.. لقد استغرقت كل ذلك الوقت.. اثنا عشر يومًا منذ أن خُدرت واختطفت حتى استطعت العودة».

قالت إيماء: أعلم.. لقد استغرق الأمر بعض الوقت حتى تمكّنت من العثور على الرحلة المناسبة، ولكن...». رفعت يدها في الوقت الذي حذّقت فيه إليها غاصبة غير مصدقة: «صدقيني فيبي، ليس لدى مال، ولم أستطع أن أطلبه من أمي، لقد أنفقت كثيراً لتعيين محاميًّا لي أساساً، وأيضاً.. لقد كان من الصعب عليّ أن أقوم بشيء مؤخّراً». ثم تابعت بسرعة قبل أن يتتسنى لي أن أسأّلها: «ليس لأنني أشرب الكحول، أعدك لن يحدث هذا مرة أخرى، ولكن فكرة السفر بحد ذاتها بدت مستحيلة، في معظم الأيام بالكاد أستطيع النهوض

من السرير». ثم جالت بعينيها في أرجاء الشقة، لا تزال أمي في العمل، وأوين في منزل أحد أصدقائه يلعب ألعاب الفيديو، قالت: «لا أصدق أنتي وصلت إلى هنا».

أشعر بقلبي يعتصر من الداخل بسبب كل ذلك الحزن الذي في صوتها:
«حقاً؟ هل أنتِ.. إيماء يبدو أنك بحاجة إلى التحدث إلى شخص ما..».

ضحكت بحزن: «حَقّاً؟ من هو الشخص الذي يفترض بي التحدث إليه؟».

قلت: «حسناً، في البدء تحدثي إليّ.. ولكن ربما يجب عليك التحدث إلى معالج نفسي أيضاً».

تنهدت إيمان: «وَيَأْيُّ أَمْوَالِ عَلَيْهِ فَعَلَ ذَلِكُ؟».

قلت: «لدى المال...». ولكنها هزت رأسها رافضة مباشرةً.

قالت إيماء: «انظري.. أنا من بدأت تلك الاتفاقية مع جيراد، وعلىّ أن أتحمل نتائجها، أستحق أن أشعر بهذه الطريقة، ولكن لا يجب عليك ذلك، وأسمع ما تقولينه عن أوبين.. أجل ربما لا نساعدك كما كنا نعتقد، ولكن يا فيبي...». بلعت لعابها بصعوبة قبل أن تكمل: «لقد قدمت للشرطة معلومات كاذبة عندما أخبرتهم أن لا فكرة لديك عن الشخص الذي قد يكتب تلك الرسائل لجيراد بعد أن طلبت منه أن ينهي اللعبة، يمكن أن يوجهوا لي مزيداً من التهم إذا قرّروا أن يتصرفوا بشدة معـي».

قلت: «لذلك سأخبرهم أنا». لم أستجوب بالطريقة نفسها التي استجوبت فيها إيمـا بمـجرد أن اعـترـفت بأنـها تـقـمـصـتـ شخصـيـتـي طـوـالـ الـوقـتـ.

قالت: «سيكرهك الناس».

قلت وأنا أفكّر في نوكس: «إنهم يكرهونني بالفعل».

عصت إيماء شفتها: «وسيكرهون أوبين أيضًا.. لا يمكننا التسريع في هذا فيبي.. نحن بحاجة إلى التفكير في الأمر أكثر.. أنا لم أر أوبين حتى...».

ثم سمعت صوت خطوات ثقيلة في الردهة، وصوت فتح قفل الباب
الأمامي، تمنت وهي تتلوى في مقعدها: «بالحديث عنه».

وقفت ويكٌت: «أوه أويٌن! يا الهٰي لقد كبرت جدًا!».

قال أوبين: «مرحباً». واستغرق وقتاً جيداً في إلقاء حقيبته في زاوية الغرفة كما هو الحال دائماً، وكان إيما رحلت لمدة ساعة وليس لمدة شهر، احتضنته وهي تصدر كل تلك الأصوات المزعجة، أخرجت هاتفي وتحقق من الوقت، يجب أن أغادر في غضون خمس دقائق، مما سيعطي إيما الفرصة للبقاء مع أوبين على انفراد.

أخيراً، سأله بعد أن تركته: «كيف حالك؟ أخبرني كل شيء».

هذا أوبين كتفيه بلا مبالاة توجه نحو البراد: «لا شيء جديد».

أصررت إيما: «لا بد أن شيئاً ما قد حدث، كيف تقضي الصيف؟».

قال أوبين وهو يفتح علبة فانتا: «بالنوم والتسلية وألعاب الفيديو».

قالت إيما مبتهجة: «حسناً يبدو هذا ممتعاً.. هل رأيت كثيراً من أصدقائك؟».

هذا أوبين كتفيه مجدداً بلا مبالاة، في الوقت الذي حاولت فيه إيما السيطرة على ابتسامتها، قلت في سري مرحباً بك في عالمي.

وصلتني رسالة نصية من برونون، فقرأتها بصوت مرتفع: «جنازة ريجي غداً، سيجتمع الكل في كافيه كونتيجو غداً في الساعة العاشرة، هل تريدين أن ترافقيني؟».

قالت إيما: «أوه أجل بالطبع، يمكننا أن نذهب جمیعاً».

قال أوبين على الفور بحدة: «لن أذهب».

سأله إيما عابسة: «لماذا؟».

شرب أوبين نصف الفانتا قبل أن يجيب: «لأن الأمر يبدو غير طبيعي. جميعكم تكرهون ريجي، فلماذا تتظاهرون بأنكم تشعرؤن بالحزن عليه فجأة؟».

فتحت إيما فمها مصعوقة: «أوبين! من الفطبيع أن تقول شيئاً كهذا!».

قال أوبين: «ولكن مع ذلك هذه هي الحقيقة».

قالت إيما: «أوبين، ريجي مات.. تماماً مثل..». أعلم أنها تحاول إجبار نفسها على قول تماماً مثل براندون، ولكنها لم تستطع، وأنهت جملتها قائلة:

«إن موت شخص ما يعتبر مأساة بغض النظر عمّا إذا كنت تحبّ ذلك الشخص أم لا».

«ربما إذا كنا نتحدث عن شخص مثله، فبقاوه على قيد الحياة مع أنه أحمق كان سيعتبر مأساة أكبر». ثم غادر تاركاً علبة المشروبات الغازية على المنضدة وتوجه نحو غرفته.

حدقت إليه إيمان فاغرة فمها وهو يغادر، ارتعبت بدورها، ولكن مشاعر الارتياح سيطرت علىّ أخيراً لأنها تمكنت من رؤية ما أراه كل يوم. لست مصابة بالجنون أو الحساسية الشديدة ولكن أوبن هو من يتصرف بطريقة فظيعة، سيكون من الغريب أن أقول لإيماناً الآن لقد قلت لك ذلك، لذلك أكتفي بقول: «أراك بعد عدة ساعات». ثم أمسكت حقيبتي وتوجهت إلى الباب.

قام الشاب الجالس خلف مكتب أنيق مصنوع من الكروم بتعديل سماعاته، ورفع حاجبيه المثالبين وهو يقول: «ستراك لوسيندا الآن، عليك التوجه نحو أسفل تلك القاعة مباشرةً، الباب الثالث على يسارك».

قلت وأنا أنهض عن الكرسي الصلب ذي الطراز الحديث جدّاً في قاعة الاستقبال في شركة كونراد وأولسن: «شكراً جزيلاً».

في الليلة الفائتة وبعد أن غادرت فانيسا منزل عائلة روخاس، أمضت مجموعة بيفيو ساعات في البحث عن أي معلومات لها علاقة بالحملة الإعلانية التمررين يصنع الأفضل، عندما كتّانا نتصفح «فريق القيادة» الخاص بتلك الحملة على الموقع الإلكتروني لشركة كونراد وأولسن لفت انتباهي اسم واحد فقط: لوسيندا كوين، لقد كانت والدتي هي المسئولة عن حفل زفاف لوسيندا منذ خمسة أشهر، وزارت منزلنا عدة مرات خلال الأيام التي سبقت الزفاف.

وفقاً لسيرتها الذاتية فهي أيضًا من العاملين القدامى جدّاً في شركة كونراد وأولسن. شعرت وكأن تلك هدية من السماء، فاتصال صغير بها قد يفضي إلى شيء مفيد. لا أزال عاجزة على عبور ذلك الجسر الذي يوصل بيني وبين جميع أصدقائي، ولكنني أعرف كيف أحصل على المعلومات من دماغ لوسيندا الوظيفي.

«فيبي.. أهلاً من رائع جدّاً رؤيتك!». لا تزال لوسيندا شخصاً مفعماً بالطاقة، فقد نهضت مباشرةً من خلف مكتبه لتضمني بقوة.

إنها أقصر مني، وقد قصت شعرها الداكن على طريقة بيكسى، ووضعت نظارة أرجوانية مواكبة للموضة، وارتدى فستاناً بلون الفحم غريب التصميم، ولكنه رغم ذلك جذاب لدرجة تجعلك تعرف أنه كلف ثروة بمجرد النظر إليه، قالت وهي تربت كتفي: «يا إلهي.. لقد مررت بفترة صعبة، أليس كذلك؟ سمعت عن كل تلك الأحداث الفوضوية التي جرت بين أختك وجيراد جاكسون. أشعر بالأسف والحزن عليك لأنك اضطررت للتلوّط في كل ذلك».

أنا متأكدة من أنها تشعر بذلك حقيقة لأنها إنسانة لطيفة ولكنها لا تستطيع إخفاء الفضول الذي يشع من عينيها، وأنا لا أمانع في ذلك، بل إنني أعتمد على ذلك. قلت بصوت خافت وأنا أنظر إلى الأرض: «لقد كان الأمر فظيعاً، كان مهوساً مخيناً بي، حسناً.. لقد طنّ أن من تحدّثه هي أنا».

قالت لوسيندا وهي تعبر أمامي لتغلق الباب: «لقد سمعت ذلك». ثم أشارت إلى الكرسي المقابل لمكتبها وقالت: «أجلسي من فضلك وأخبريني بما حدث». فعلت ما طلبته وأخبرتها بأكبر قدر ممكن من التفاصيل، في الحقيقة ما أسرده مجرد إعادة صياغة للعناوين الرئيسية، ولكن مع ما يكفي من إضافة التفاصيل الشخصية التي تجعل لوسيندا تشعر وكأنها تحصل على معلومات حصرية.

بهذه الطريقة ربما أجعلها تفعل الشيء نفسه عندما يحين دورها للتكلم.

قالت بتعاطف عندما انتهيت: «يا له من كابوس».

قلت: «أجل لقد مررت فترة كالكوابيس حقيقة». ركزت على الزمن الماضي في الجملة، فهذا ما تعرفه لوسيندا وهذا كل ما يجب أن أشاركها إياه. حجبت شرطة بايفيو المعلومات المتعلقة بما كان مكتوبًا على ذراع ريجي، لذلك بالنسبة إلى العامة لا يوجد أي رابط بين اختطافي وبين وفاة ريجي.

«لكن ها أنت ذا تقضين صيفك بالتحطيط للمستقبل، أنا معجبة بك وبإرادتك. يا فيبي، لا بد أن والدتك فخورة بك جدًا».

تمتمت وأنا أشعر أنني شخص سيئ: «آمل ذلك». لا تزال والدتي تتأكد من كل مواعيدي وتتفقّدني عندما لا أكون في المنزل، وبالطبع سيكون الفخر هو آخر ما تشعر به إذا عرفت السبب الحقيقي لزيارتني هذه.

وضعت لوسيندا يديها على مكتبها الأسود اللامع، إنه صارخ وأنيق جدًا ويليق بلوسيندا كثيراً، وقالت: «إذاً ماذا تريدين أن تعرفي عن العمل في

الإعلانات؟».

أنظر إليها بطريقة ساذجة وبعينين متسعتين: «كل شيء؟».

ابتسمت بلطف: «ما رأيك أن أخبرك بكيفية حصولي على أول عمل لي؟».

«سيكون هذا رائعاً».

بعد ذلك جرت المحادثة بسلامة، لأن لوسيندا ودودة جدًا، وأنا مهتمة بشكل عام بمعرفة ما جرى، ولكنني أواصل البحث عن فرصة لأجعل المحادثة تتمحور حول ذلك الإعلان بشكل خاص، وبمجرد أن تبدأ لوسيندا باسترجاع ذكريات حملاتها الإعلانية المفضلة، أجد الفرصة سانحة.

قلت: «من المثير للاهتمام أن كل تلك الإعلانات رسخت في ذهني، مثل سيارات ماندالاي، لقد استخدموها ذلك الشعار منذ ذلك الوقت، أو حلوى الغويبي». لا بدّ لي من متابعة الحديث وتجاوز هذا الإعلان بسرعة على أي حال، لأنني وبكل صراحة غير قادرة على تذكر تلك الأغنية القصيرة التي غناها لويس، تابعت: «ولن أنسى أبداً تلك الحملة الإعلانية التي تحمل شعار التمرين يصنع الأفضل، لقد كانت إعلانًا لدروس استعدادية لاختبار السات، فقد عُرض ذلك الإعلان على كل الشاشات عندما كنت في المدرسة الإعدادية، لقد كنت مهووسة به نوًعاً ما».

قالت لوسيندا مرتعشة وكأنها تتذكر أحداث تلك الأيام: «يا إلهي، هل تعرفين أن شركة كونراد وأولسن هي من قامت بتلك الحملة؟». أبديت تفاجؤًا مزيفًا أمل أن تكون قد اقتنعت به، فأضافت: «لقد كانت إحدى الحملات الأولى التي عملت عليها عندما بدأت بالعمل هنا، ولكي أكون صادقة اعتقدت دائمًا أنها لم تكن بالجودة الكافية، أعني عبارة التمرين يصنع الأفضل لا تعتبر عبارة جديدة ومذهلة من وجهاً نظر الوكالات الإعلانية، ولكنها كانت فعالة رغم ذلك».

قلت: «ربما كان الفضل الأكبر للممثلين، فقد جعلوا الدراسة تبدو ممتعة للغاية».

شعرت أن تملّقي مكشوف، ولكن لوسيندا صاحت بإثارة: «تمامًا، لقد كنت مسؤولة عن اختيار الفتاتين، وهذا ما أردت أن أراه فيهما، الطموح، لقد كانتا موهوبتين بشكل جيد حتى أن إدعاهما حصلت على إعلان آخر لشركة تويوتا بعد بضعة أشهر فقط».

كذبت قائلة: «لقد كنت معجبة بذلك الفتى، هل تعرفين اسمه؟ أوّلّ أن أعرف ما الذي يقوم به الآن». فحتى مايف بكل مهاراتها الإلكترونية الهائلة لم تستطع تتبع الفتى على غوغل، مع أنها استطاعت الوصول إلى الفتاتين «ابتسامته كانت ودودة، لكنه لم يستطع حتى قراءة السطور، لقد اضطررنا لإعادة المشهد عشرات المرات قبل أن يستطيع قول «الأفضل» بشكل صحيح، أشك في أنه استطاع الحصول على أي دور آخر».

سألتها: «لماذا قبل في الأساس إن كان شيئاً إلى هذا الحد؟».

تنهدت قائلة: «كان ابن المخرج والمدير الإداري».

استقامت في جلستي وسألتها: «حقاً؟ ومن كان المخرج؟».

قالت لوسيندا شبه عابسة: «ألكسندر ألتون».

سألتها: «ألا تحبّينه؟».

أجابت لوسيندا: «بالطبع، كنت أحبّه». كنت؟ أكملت: «لماذا؟ هل أظهرت تعابير وجهي شيئاً ما؟.. أعتذر ولكن سرحت ذكرياتي للحظات، لقد أحبّت ألكس، كان مرشدًا ومعلّماً رائعاً، أشعر بالحزن عندما أفكّر في ما حدث له».

بدأت نبضات قلبي تتسارع: «ماذا تقصدين؟».

أجابت لوسيندا: «لقد غرق منذ ست سنوات». شهقت بصوت عال وهي تقول: «لقد كانت مأساة حقيقة، كان لديه ثلاثة أطفال، تشييس وهو الممثل، كان قد أكمل الحادية والعشرين لتوه، ولديه توأم كانوا لا يزالان في المدرسة الثانوية، وقد بدأا يتلقيان دروساً في القيادة منذ بضعة أشهر فقط. اعتاد ألكس على المزاح قائلاً إنه عندما يجلس إلى جانب ابنه الأصغر في السيارة فهو يضع حياته على كف عفريتي، لم تخيل أبداً أن...». تابعت وهي تنحدر: «على أي حال، لقد انتقلت والدتهم بعد ذلك إلى مكان بعيد في الغرب الأوسط أعتقد أنها أصبحت أقرب إلى عائلتها».

قلت: «واو.. ذلك محزن». تسارعت الأفكار في رأسي وتزاحمت. كنت أعرف أن شخصاً من ذوي المناصب المهمة في تلك الشركة قد توفي - سبق لفانيسا أن أخبرتني بذلك عندما أخبرته عن إعادة الهيكلة التي أدّت لإخراج والدة جيك من الشركة - ولكن هذه التفاصيل تبدو الآن أكثر أهمية بعد أن تعرف أن ذلك الشخص كان له صلة مباشرة بحملة «التمرين يصنع الأفضل».

أنهيت جملتي بهدوء: «من المرىع أن يموت المرء غرقاً؟ لا نسمع عن الكثير من حوادث الغرق».

قالت لوسيندا: «لقد صدمتنا جميّعاً، ودخلت الشركة بأكملها في حالة حداد».

«لا بدّ أن الأمر كان في غاية الصعوبة، خاصة أن السيد ألتون كان المسؤول عن كل شيء، فقد قلت إنه كان مخرج تلك الحملة الإعلانية أليس كذلك؟». تابعت وأنا أحاول تذكر ما قاله نيت عن السيدة ريورдан: «حسناً، أعتقد أنه كان هناك قائد آخر يستطيع.. مم..».

توقفت ولم أعرف كيف أنهي الجملة، لكن لوسيندا تدخلت قائلة: «من الناحية النظرية، أجل كان هناك شخص آخر، ولكن لم ينجح الأمر تماماً، فالمدير الآخر غادر بعد فترة قصيرة». ثم أمالت رأسها ولمعت عيناهَا كما كانتا لحظة دخولي، وأنا متأكدة أنني أعرف ما تفكّر فيه، محادثة نميمة طازجة تماماً: «في الواقع أظنّ أنك تعرّفينها، لأنك تعيشين في باليبيو، وربما سمعت بها، إنها كاثرين ريورдан والدة..».

قالت: «جيّك ريوردان، لقد كان معي في المدرسة الثانوية قبل أن يُقبض عليه».

زمّت لوسيندا شفتيها وقالت: «لا أصدق أنه سيُخضع لمحاكمة جديدة، إنها مهزلة حقيقة، مع أنني أحببت كاثرين دائماً، ولكن هذا الفتى يستحق السجن مدى الحياة».

قلت بحماسة: «أجل، أواافقك الرأي». يمكنني أن أتحدث معها عن سينات جيّك مطولاً، ولكنني لم آتِ إلى هنا من أجل ذلك، لذلك فكرت في أن أطرح عليها سؤالاً لأنّها مدرّوس الكلمات، فسألتها: «لماذا تركت والدته شركة كونراد وأولسن؟».

أجابت لوسيندا: «حسناً، يُقال إنها غادرت لقضاء مزيد من الوقت مع جيّك، وربما فعلت ذلك حقاً، وحده الله يعرف العناية التي يحتاج إليها فتى مثله، ولكن في الغالب لم تعد كاثرين قادرة على العمل، لقد هرّت وفاة ألكس كيانها وأزعجتها جداً، كانت في المكسيك تصوّر إعلاناً عندما توفي، وبمجرد أن عادت أخذت إجازة لمدة شهر تقريباً على الرغم من أننا كنّا يائسين ومشغولين جداً ونريد أي نوع من التوجيه، ولكن وبمجرد عودتها لاحظنا جميّعاً أنها لم تكن هي ذاتها».

«واو..». لم أعرف والدة جيك على الإطلاق، باستثناء بعض اللحظات القصيرة خلال المناسبات المدرسية، ولكن يبدو أنها أكثر تعاطفًا من أفراد عائلة ربوردان.

سألتها: «هل كانت مقربة من السيد ألتون؟».

ابتسمت لوسيندا: «هذا ما تشير إليه الشائعة».

فغرت فاهي عندما أدرك ما رمت إليه: «حقاً؟».

كان ردّ فعلي مبالغًا فيه، تنهجت لوسيندا بشكل محترف وكأنها تذكرت فجأة أنها تكبرني بخمسة عشر عاماً على الأقل، ولا ينبغي أن تشرر معي مثل طلاب الثانوية، وقالت: «المهم أن كاثرين أرادت أن تبدل مسارها العملي، واحتجنا نحن إلى تغيير مديرنا، أردنا شخصاً يستطيع نقل الشركة عملياً إلى القرن الحادي والعشرين لأننا وبكل صراحة وبمثل ذلك الإعلان التمرين يصنع الأفضل كثاً عالقين في فترة تسعينيات القرن الماضي، فقبل ست سنوات لم يكن للشركة حساب على الإنستغرام، مثلاً عندما كنت أتحدث عن إعلان رقمي أمام الفريق الإبداعي كان كل ما يمكن أن يفكروا فيه هو استخدام لوحة الإعلانات في الشوارع».

نظرت إلى ساعتها وبدا أنها أنهت تلمّح إلى أن وقت المقابلة انتهى، لذا أسرعت في سؤالها: «بالحديث عن ذلك، هل استطعتم اكتشاف من الذي اخترق اللوحة الإعلانية في كلارندون؟».

ارتسمت على وجه لوسيندا تعابير الغضب وبدت غير سعيدة لأنني أعدت تذكيرها بكل تلك المقالات السيئة التي كتبت وقتها، لذلك أسرعت بالإضافة: «لقد اجتاحتني الخوف عندما رأيتها للمرة الأولى، وكان لعبه صراحة أو جرأة بدأت مرة أخرى».

قالت لوسيندا: «يا إلهي بالتأكيد أفهم». لقد حاولت تغيير تعابير وجهها لتبدو أكثر تعاطفًا، لكنها لا تزال منزعة بوضوح: «حسناً لا تقلقي بشأن ذلك، كانت بروتوكولات الأمان قديمة جدًا، ولكنها حدثت ولن تتعرضوا لأمر مشابه مجدداً». عاودت النظر إلى ساعتها: «الآن أحتاج لأن أستعد للقائي اللاحق، ولكن التحدث إليك كان ممتعًا يا فيبي، أتمنى أن تكوني قد استفدت مما قلته لك؟».

أغلقت شاشة الهاتف التي تظهر التطبيق الذي كنت أدوّن عليه ملاحظاتي بشكل سري وأنا أتحدث إلى لوسيندا، وقلت: «بالطبع، لقد

استفدت كثيراً». ثم نظرت إلى الملاحظات التي دوّنتها: الأشخاص الداعمون لتشيس ألتون، غرق ألكس ألتون، علاقة مع والدة جيك؟

جيـك

قبل ست سنوات

قال والدي وهو يشير بيده إلى المسبح في الفناء الخلفي لمنزل آل ربوردان: «سيكون كل هذا لك يوماً ما يا جيك، بالطبع إذا أردته، وقد تفضل الحصول على شقة في المدينة، هناك بعض الشقق العالية التي تبني حديثاً في وسط المدينة ويمكنني القول إنها مذهلة».

قلت: «لا أعرف يا أبي، لا تزال تفصلنا فترة طويلة عن ذلك».

قال أبي: «ليست طويلة بالقدر الذي تظنه، فالوقت يمضي سريعاً. ستلتحق بالمدرسة الثانوية بعد شهر، وستخرج منها بعد أربع سنوات، وسيكون عليك التفكير في الكلية التي تناسب تطلعاتك، والوظيفة الملائمة، والحبية المناسبة..».

ضحك والدي بعد أن رأى تعابير وجهي: «ثق بي، سوف تهرب من كثرة الفتيات قريباً».

تمتمت: «آمل ذلك».

قال والدي وهو يمد ذراعيه وهو جالس على الكرسي الطويل: «أجل ستفعل ذلك».

سألته: «كيف تبدو الحبيبة الملائمة أساساً؟». ثم شعرت وكأن علي طرح السؤال بصيغة أخرى: «أعني عدا عن أنها فائقة الجمال».

أسرع والدي بالإجابة: « تكون شخصاً داعماً، تفهم أنك شخص عليه الذهاب إلى أماكن كثيرة، وتساعدك على تحقيق أهدافك».

علقت بما ظننته الحقيقة: «مثل والدتي». ولكن عندما لم أسمع ردّاً من والدي تحركت في كرسيي ونظرت إليه وسألته: «أليس كذلك؟».

قال: «والدتك امرأة مذهلة». كان يضع نظارة شمسية على وجهه ما جعل من قراءة تعابير وجهه أمراً مستحيلاً عليّ، وأكمل: «إنها أيضاً طموحة ومدفوعة بما ترغب به كثيراً، وهذا شيء لم أكن أعرفه عنها عندما التقينا للمرة الأولى».

سأله بحذر: «وهل هذا شيء سيء؟».

أجاب والدي: «بالطبع لا». لم أستطع استنتاج شيء من نبرته، وأضاف: «إذا كان هذا ما ترغب أن تكون عليه زوجتك فلا ضير في ذلك، هناك بعض الأزواج الذين يفضلون العمل في وظائف تنافسية تستغرق وقتها، وهناك من يفضلون علاقة تكاملية أكثر بحيث تكون المرأة داعمة لزوجها، وأنا أعرفك أكثر مما تعرف نفسك يا جيك، لذلك أستطيع القول إنك تفضل النوع الثاني وستكون أكثر سعادة مع فتاة جميلة داعمة ترى في نجاحك نجاحاً لها».

قلت: «أجل». لقد بدا ذلك جيداً، ولكن كلمات والدي أزعجتني لسبب ما، فقد لاحظت التوتر بين والدي هذا الصيف، ولم أستطع إلا التفكير بهما مهما أحاول، ولكنني حاولت أن أقنع نفسي أن خطبنا كبيراً لم يحصل بينهما، فالريوردان لهم مكانة في شارع ولينغتون، ويجب أن يبقوا كذلك، فلم أرد أن أبدأ عامي الأول في الثانوية مدعاه للشقة بعض النظر عما تمتلكه أسرتي من عقارات، سأله والدي: «علاقتك بأمي جيدة، أليس كذلك؟».

أجابني وهو يحرك ساقيه على حافة الكرسي الطويلة: «أجل بالطبع.. وأنا أراهن أنها ستعذ لنا بعضاً من شطائير الدجاج والسلطة التي نحبها إذا طلبتنا ذلك بلطف شديد جداً. هيّا دعنا ندخل، فلقد أصبحت أشعة الشمس شديدة الحرارة».

قلت وأنا أُتحمّل مخاوفي جانبًا: «حسناً». بالطبع إذا قال والدي لا داعي للقلق، فلن أقلق.

قال والدي: «بالمناسبة لقد كنت أتحدث مع بعض المدربين في مدرسة باليفيو الثانوية حول استضافة حفل تعارف للاعبين الجدد قبل بدء المدرسة». ثم تابع وهما يتمشيان حول المسبح: «نملك مساحة كبيرة، وستكون فرصة رائعة لك للتتعرف إلى الأولاد المناسبين لتسكع معهم».

قلت: «يبدو ذلك جيداً».

«لا يمارس سايمون أي رياضة، أليس كذلك؟».

ضحك ساخراً: «هل تمنحك؟ ما الرياضة التي يستطيع ممارستها؟».

سألني: «لا أعرف ربما الكروكيه؟». وضحك بدوره.

قلت في طريقنا إلى المنزل: «تتحدث وكأن سايمون يستطيع اتقان أي رياضة تُلعب بالكرة، إنه أعجز من أن يلعب كرة الطاولة حتى، عليك أن تراه

عندما يحمل ذلك المضرب الصغير». ثم حاولت تقليله ملوكاً بيدي حول رأسي، وكأنه يحاول قتل ذبابة، فقهقه والده.

قال والدي: «حسناً، هذا يعني أنه سيفهم سبب عدم دعوته».

في العادة، يكون باب الزجاج الخارجي مغلقاً، ولكنني لاحظت عندما اقتربت منه أني تركته مفتوحاً بشكل جزئي عندما دخلت في المرة الأخيرة لأجلب الشراب. يعزل هذا الباب المصنوع من طبقتين من الزجاج الصوت، ولكنني استطعت الآن سماع صوت والدتي بكل وضوح.

قالت: «الأمر ليس بهذه السهولة يا ألكسن، ليته كان سهلاً، ولكنه ليس كذلك».

توقفت للحظة، وأردت البقاء مكانى، ولكن والدي وضع يده على كتفى وتابع بكل بساطة نحو الباب بخطوات ثابتة وكأنه لم يسمع شيئاً، فلم أجد سبباً لأبى مكانى.

قالت والدتي: «ألا تظن أني أريد ذلك أنا الأخرى؟ أنا لا أريد شيئاً أكثر من هذا، ولكن علىي أن آخذ جيك بعين الاعتبار...».

في تلك الأثناء، فتح والدي الباب الزجاجي بالكامل، فتوقفت والدتي عما كانت تقوله، وريثما وصلنا إليها كانت قد وضعت هاتفها على وجهه على طاولة الطعام، وتصنعت ابتسامة شبه مثالية.

سألت: «كيف كان المسبح؟».

أجاب والدي: «جميل، ولكن الجو حار قليلاً، وشعرنا بالجوع، أعتقد أنها نستطيع أن نطلب منك صنع بعض شطائر الدجاج والسلطة؟».

قالت: «بالطبع». ثم التقطت هاتفها وأسرعت إلى المطبخ: «سأشعر في تحضيرها على الفور.. سأخرج الدجاج من الثلاجة، وانتظر قليلاً ريثما يذوب الثلج عنه».

لقد كان ردّها هذا دليلاً ثائياً على وجود خطب ما - بالإضافة إلى المحادثة التي سمعتها للتو بالطبع - فلم تكن هذه هي الطريقة التي تتحدث بها مع والدي مؤخراً، بل كانت ترد بعبارات مثل أعمل حالياً على شيء آخر، أو هل ستساعدني في ذلك؟

أمّا الدليل الثالث فكان انعكاس ابتسامة والدي في مرآة غرفة الطعام ذات الحواف المذهبة، كان سكوت ريدوردان يبتسم ابتسامة خافتة، وهو عادة ما يبتسم على هذا النحو عندما يصل إلى مبتغاه، لقد لمعت عيناه وهو ينظر إلى زوجته تتجوّه إلى المطبخ. أخيراً استطاعت أن أقرأ تعابير وجهيهما مع أنه لم يسبق لي أن رأيت شيئاً كهذا.

وعرفت أنه يستشيط غاضباً.

الفصل السادس والعشرون

نٰيت

السبت، 18 تموز

شقة والدتي أنيقة ونظيفة جدًا، لدرجة أنها تبدو كصالات عرض لأحد محلات بيع الأثاث. جلست برونونين بشكل مثالي، وهي تتناول الفطور، وتتبادل أطراف الحديث مع والدتي عن جامعة بيل، ولكنني بدوره مشتّتاً معظم الوقت بسبب الاختلاف الشاسع الذي يظهر عليه هذا المنزل مقارنة مع منزلي القديم.

سألتها وأنا أنظر إلى وعاء السيراميك المليء بالليمون والموضوع على طاولة المطبخ: «لماذا لديك كثير من الليمون الحامض؟».

أجبت والدتي بسؤال: «حسناً، مظهره جميل هكذا، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك يعطي الليمون مذاقاً جيداً للمشروبات».

نظرت إليها عندما قالت ذلك، وأردفت قائلة: «مثل السيلتزر (شراب غازي)».

قالت برونونين وهي تنظر إليّ نظرة تعني أهداً: «أحب هذه المشروبات جدًا».

حاولت أن أهداً، ولكنني لا أستطيع التخلص من ذلك الشعور بأن أمي قد دعتنا لسبب خاص ما، وبالعودة إلى الماضي لم يدعني أي من والدي ليخبرني أخباراً سارة ما.

سألتها: «ما الذي كنت تقومين به مؤخرًا يا أمي؟». بدا سؤالي مفاجئًا، لقد كان هناك الكثير من العمل خلال آخر أسبوعين وطوال تلك الفترة لم أرها وجهًا لوجه.

أجابت وهي ترتفف رشفة من عصير البرتقال: «أحاول أن أقوم بمهامي بشكل جيد في المكتب، لدينا أعمال كثيرة». لا تزال تعمل لصالح شركة نسخ طبي ولكنها أصبحت المديرة الآن، تقول: «شعرت بالحزن حقًا لأنني لم أستطع حضور جنازة ريجي، قالوا إن مراسم وداعه كانت مؤثرة».

قلت: «أجل أعتقد ذلك، بقدر الإمكان».

البارحة وبينما كنت أجلس بين أدي برونويين في كنيسة القديس أنطونيوس لم أستطع إلا أن أتذكر جنازة سايمون، لقد ذهبت إلى تلك الجنازة مع ضابط الإفراج المشروط، وب مجرد أن انتهت اقتدث للاستجواب، وقتها لم يكن لديّ أدنى فكرة عن المنعطف الذي ستسلكه حياتي، علمًا أنها تغيرت بمحملها نحو الأفضل، ومع ذلك اضطررت البارحة لحضور ثالث جنازة لواحد من طلاب ثانوية بايفيو خلال أقل من سنتين.

ليلة أمس، أخبرت كريستال جميع شركاء السكن أن ريجي لم يكن يضع قلادته الجلدية المعتادة عندما توفي، وأن والديه يسألان عنها، أعتقد أنها هدية من والدته، لذلك فتشنا البيت اللعين، ولم نعثر عليها، ولكنني شعرت أنني شخص سيئ حقًا لأنني وللمرة الأولى اعتبرت ريجي شخصًا حقيقيًا وليس مجرد أحمق لعين، فالنهاية بالنسبة إلى شخص يضع قلادة أعطته إياها والدته كل يوم ربما ما كان سيصبح شخصًا أحمق لو أنه استطاع الخروج من ثانوية بايفيو بشكل جيد.

يبدو أن أمي تشاطري التفكير لأنها نظرت إلى بحزن: «أحياناً أتساءل كيف كانت حياتنا ستكون لو اصطببت معي إلى ولاية أوريغون خلال كل السنوات الماضية؟».

أجابت برونويين مبشرة: «فطيبة تماماً». أنظر إليها أنا وأمي فتحمرّ خجلًا: «بالطبع بالنسبة إلى».

حاولت أن لا أفكّر حالياً في ريجي، وحاولت أن أثير حنقها: «ما الذي تتحدين عنه؟ كنت ستعيشين أفضل أيام حياتك، وتوعدين أحد شبان ييل المتفوقين، بينما كنت...».

قالت برونوين: «على الأرجح كنت تلاحق الفتاة التي أعجبتك عندما كنت في الصف الخامس». وابتسمت تلك الابتسامة الآسرة.

لا يهم عدد المرات التي نظرت إليّ فيها، وابتسمت على هذا النحو، ولكن في كل مرة أعجز فيها عن التنفس، ولكن في النهاية ما زلت لا أستطيع التنفس لعدة ثوانٍ عندما أرى ابتسامتها تلك، أخيرًا قلت: «كلامك غير دقيق».

قالت أمي وبدت تقصد ما قالته مع أنها ليست ملمة بالتفاصيل: «حسناً، يبدو أن الأمور سارت أفضل مما خطط لها».

فقلت: «ولكن لا بد أن العيش هنا أنهك، مع وجود كل...». لقد كنت على وشك قول الجرائم ولكنني توقفت عندما رأيت وجه برونوين، وأنهيت جملتي قائلاً: «أولئك الشباب المهنيين العصريين». بدورها قالت والدتي: «إنه المكان الذي تعيش أنت فيه». كما لو أن ذلك يوضح المسألة، بالإضافة إلى أنها لا تمانع وجودهم على الأغلب، حتى أنها تمارس اليوغا مع بعض الذين يعملون معها في المكتب، وقد أفادها ذلك جدًا، إنها تبدو بصحة جيدة جدًا أكثر مما كانت عليه خلال السنوات الكثيرة الماضية.

«أجل، ولكنني...». كنت على وشك قول ولكنني شخص ناضج الآن، ولدي شقتي الخاصة وحياتي تسير كما يفترض لها، ولكن وبالطبع لا أستطيع قول أي شيء من هذا، لأن ذلك سيبدو وكأنني أقول ولكنني لم أعد أحتاج إليك الآن، وذلك ليس صحيحًا على الرغم من أنني فاشر تماماً في التعبير عن مشاعري نحوها، قلت: «لا بد أنك تفتقدين أصدقاءك القدامى».

قالت أمي: «لا أكفر عن التحدث إليهم، لم نقطع علاقتنا مطلقاً».

أفّكر هل أنتم كذلك حقًا؟

تحتفي العادات القديمة المعتادة بصعوبة بالغة، وأنا أشك حقًا أن والدي أصبحا المهنيين يقومان بعمل جيد لدرجة غريبة، لا تستحق أمي شكوكى هذه حقًا... فها هي ذا تعيش هنا منذ سنة ونصف السنة، تعمل وتلتزم بأخذ أدويتها، وتذهب إلى اليوغا، وقد أعدت لنا للتو الوافل، المصنوع بالكامل من الدقيق لأنها تعرف أن برونوين تحبه هكذا، لم تعد الشخص نفسه الذي كانت عليه منذ عشر سنوات، ولا حتى منذ سنة واحدة، لذلك ربما أستطيع أخيرًا أن أتوقف عن القلق والتفكير في اللحظة التي ستهار فيها مجددًا، أغير تركيزي حالياً وأنظر إليها: «هل تطنين أن أبي سيُطرد بسبب قصة المفاتيح؟».

لا يزال القلق ينتابني بشأنه.

قالت أمي: «كلا، لم يكن حريصاً، ولكن لولاه - بالإضافة إليكما - ما كان سيعثر على جثة ريجي المسكين إلا بعد فترة طويلة، فحتى لو لم يسر عمله بشكل جيد، لن يكون ذلك أسوأ شيء في العالم...». ثم توقفت وتفرست وجهي، إنها تبحث عن علامة أو إشارة ما، سألتني: «هل تحدثت إلى والدك مؤخراً؟».

قلت وأنا أقصم آخر قصمة من الوافل: «البارحة».

سألتنى: «هل تحدثتما عن شيء محدد؟».

هذا الحوار يرفع عالياً منبه الخطر لدى، فقلت وأنا أبعد صحي: «ما الذي سيقوم به؟».

نهدت والدى: «أوه نيت. لن يقوم بأى شيء».

«حسناً، لماذا...».

رنٌ هاتف برونوين، فقالت بصوت مرتفع: «لقد وصل كوبير». ثم نظرت إلى والدى وسألتها: «هل نساعدك فى تنظيف الطاولة قبل أن نغادر؟».

«كلا، اذهبا واستمتعوا بالشاطئ والبحر». وأردفت بشيء من الحزن:
«قدوا ببطء أيها الشبان».

خرجنا قبل أن أدرك أنني لم أستطع أن أنهي سؤالي.

كان يفترض بالرحلة إلى الشاطئ أن تستغرق خمس عشرة دقيقة، ولكن بما أن كوبر هو الذي كان يقود، فقد استغرقنا ضعف هذا الوقت.

أخيراً، عندما وصلنا إلى مكان فارغ في المرأب قلت: «هذه السيارة خسارة فيك». لقد أقنعني لويس بشراء سيارة سوبارو دبليو أر إكس - وهي سيارة رياضية صغيرة ورخيصة نسبياً، ومن السهولة أن تصل إلى سرعات أعلى بكثير من ثلاثين ميلاً في الساعة، ولكننا لن نعرف ذلك، بسبب هوس كوبر بالالتزام الشديد بحدود السرعة.

قال كوبر وهو يعّدل نظارته الشمسية ويمسك بقبعة البيسبول: «هذه المرة الأولى التي أمتلك فيها سيارة جديدة».

فسألته برونوين: «ما كان يجدر بك أن تأخذنا إلى الشاطئ؟ لأن الرمال ستكون قد غطت ثيابنا في طريق العودة».

قال كوبر بجدية: «لا بأس، لدى مكنسة كهربائية». نهض كرييس من مقعده بجانب كوبر، وتوّجه إلى صندوق السيارة الخلفي، فتحه وبدأ بسحب الشرشف بحذر، ثم الكراسي ثم المظلة من المساحة الصغيرة المخصصة لها، يبدو جدًا كأب، لدرجة أن برونوين التي تكون عادة أكثر شخص منظم في الرحلة لم تستطع منع نفسها من الضحك.

قالت ساخرة منه: «لا تنس أن تحضر صندوق التبريد المليء بالعصائر».

قال كرييس: «في الحقيقة، إنه مليء بعبوات الماء، ولكن حسناً». ثم ناولني كل شيء عدا المظلة التي ناولها لكوبر، وقال: «نیت هل باستطاعتك أخذها؟».

أخذتها ولم أقل شيئاً، لأنني أعرف أن تلك قد تكون آخر رحلتنا معاً إلى الشاطئ لفترة طويلة، ففي أواخر شهر تموز، ستغادر أدي ومايف إلى بيرو، وسيبدأ كوبر بطولة الصيف في أوائل آب، وبعدها سيزور وكرييس عائلته في ألمانيا، وقبل ذلك بكثير ستعود برونوين إلى جامعة بيل. لذلك، وبغض النظر عن أنه وقت غريب في بایفیو، إلا أننا قررنا التصرف وكأننا مجموعة طبيعية من الأصدقاء يتسلكون يوم السبت.

أخذنا بعين الاعتبار، أننا إذا انتظرنا ربما تنزاح هذه الغمامه عن سماء بایفیو، فلن يغادر أحد منا المنزل طوال حياته.

أخبرتني برونوين وهي تتفقد هاتفها: «تقول مايف إنهم جلسوا إلى يسار برج الإنقاذ». إنه يوم صيفي بامتياز، حار ومشمس، السماء زرقاء لامعة لا تعبّرها أي غمامه صيف، والهواء مفعم برائحة الملح والسوائل الواقية من أشعة الشمس، ورائحة السكر القادمة من آلة صنع غزل البنات من كشك الوجبات الخفيفة الذي يقع جهة اليمين، أضافت برونوين: «تطلب منا أن نبحث عن قبعتها حتى نتمكن من العثور عليهم».

قلت: «حسناً». ونظرت إلى برونوين وهي تنزع قميصها وتضعه في حقيبة البحر، لقد بدت وهي ترتدي ملابس البحر آية في الجمال.

سأل كوبر: «نبحث عن قبعتها؟! هناك مئات الناس هنا، كيف يفترض بنا أن... أوه». توقف بهدوء، ونظرت إلى حيث ينظر حتى أستطيع أن أرصد قبعة مخططة تكاد تكون بحجم كوكب صغير، قلت: «تستطيع دائمًا أن تجد طريقة ومستوى جديد لتعطية نفسها، أليس كذلك؟».

قالت برونونين: «تعرف حساسية مايف الشديدة تجاه فكرة التعرض لأشعة الشمس».

بالآخرى حساسيتها تجاه الشاطئ بشكل عام، عندما وصلنا إليها، وجدنا مايف جالسة على كرسي وضع وسط الشرشف وقد وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى. كانت ترتدي بلوزة طويلة الكمرين، وبنطلاً أبيض فضفاضاً، ووضعت نظارة غطت نصف وجهها تقرباً. أSENTت حاسوبها محمول على ركبتيها، ووضعت عبوة كبيرة من السائل الواقي من أشعة الشمس على الكرسي المحاذى لها. صاحت عندما اقتربنا: «أوه جيد.. أخيراً ها هي المظلة».

قلت وأنا أضع صندوق التبريد على حافة الشرشف: «أوه أجل حمداً لله.. يبدو وكأن معصمك قد تعرض لبعض الحرائق الشمسية».

سألتني مايف وهي تمسك بعبوة الواقي الشمسي: «حَفَّ؟ أي معصم؟».

قالت برونونين وهي تتمدد على الشرشف خلف كرسي مايف: «أين الجميع؟». تمددت إلى جانبها وجدتها نحو، ودغدغت المساحة بين رقبتها وكتفها، فقهقحت عندما وصلت إلى منطقة حساسة.

أجابت مايف: «ذهب نوكس وأدي لشراء الآيس كريم، أما لويس وفيبي فيسبحان». بدت مستاءة وهي تنظر إلى البحر وقالت: «لقد حاولت إخبارهم عن مدى سوء التيارات البحريةاليوم، ولكن لا يبدو أن أحداً منهم يهتم».

بعد أن ثبتت المظلة وفتحت كرسيها سأله كريستن: «وكيف كنت أنت تشغلين نفسك في هذا اليوم الرائع يا مايف؟».

قالت مايف: «أجريت بعض الأبحاث». عدلت شاشة حاسوبها لتمعن تأثير أشعة الشمس المتوجحة، وقالت: «كثيرة هي الشبهات في ما يتعلق بموت ألكسندر ألتون، لقد وجدوا سيارته مركونة عند الشاطئ على بعد عشرة أميال من هنا، وكأنه قاد بشكل عشوائي وقرر فجأة أن يسباح من دون أن يخبر أحداً، ومن سوء حظه جرفت الأمواج جثته بعيداً، ولم يُعثر عليها إلا بعد شهر، وقتها لم يكن قد بقي منه الكثير ليفحص». ثم عبست وأردفت: «لقد ترك هاتفه محمول في مكتبه، أعني... من يُقدم على أمر كهذا؟ ربما أغفلوا تتبع هذه النقطة، وربما كان هناك شخص ما يتبع آثارهم».

سألتها: «ماذا قالت عائلته؟».

قالت مايف: «وقتها لم يقولوا شيئاً، أو بالأحرى لم أجد شيئاً، لم يجرروا أي مقابلات». ثم ضغطت على بعض الأحرف في لوحة المفاتيح، وقالت: «ولذلك بحثت عنهم مباشرةً، كان العثور على تشايس ألتون سهلاً، فهو شخصية مبتذلة؛ مثل صاعد يبحث عن فرصة عمل في لوس أنجلوس، ويأمل أن يحظى بفرصة ليظهر مواهبه في التمثيل، هذا ما قاله لتمامي لي».

استندت برونونين على أحد مرفقيها وعبست قائلة: «ظننت أنك تركت العمل بصفتك تامي لي؟».

«لقد تقاعدت تامي لي من تطبيق (TOQQ)». توقفت لبرهة عندما شرع كريس بتوزيع قناني المياه، وأكملت: «أمّا الآن فقد انتقلت إلى محادثات تشايس على تطبيق إنستغرام، وأخبرته كم أحببت الحملة الإعلانية التي نفذها وقتها».

سألها كوبر: «هل أنت واثقة من أن هذه فكرة جيدة؟». ثم فتح غطاء قنيته وشرب منها، وأردف: «إذا كانت له علاقة بما يحصل الآن، فقد يستشعر الخطر، ويعرف أنه ملاحق».

هزّت مايف كتفيها: «لم يكن لدى خيار، فهو لم يؤدّي دور تمثيلي، و كنت أحتاج إلى طريقة لبدء الحوار معه. في البدء، كان لطيفاً وطليق اللسان، ولكن بمحرر أن بدأت أسأله عن خططه لنهاية الأسبوع أصبح أكثر تحفظاً وصمتاً، لم أجد تفسيراً لذلك سوى أن تامي لي تقترب منه بقوة كبيرة، أو أن هناك معلومات لا يرغب بمشاركتها، والخبر الآخر...». ثم حركت أصابعها وكأنها تقرع طبلاء لإثارة حماستنا: «لقد وجدت نعي والدتهم أيضاً. توفيت العام الماضي بسبب القيادة تحت تأثير الكحول».

قالت برونونين: «أوه، كلا.. هل كانت..؟».

قالت مايف: «أجل، كانت هي من يقود، ترون النمط الذي تجري وفقه الأمور، أليس كذلك؟».

تبادلوا وبرونونين نظرة، ثم قلت: «ليس تماماً».

«عاد نمط جيراد جاكسون مرة ثانية إلى الساحة، عندما ذهب أخو جيراد إلى السجن تداعت أسرته بأكملها - حيث تدهورت صحة والده، وتناولت والدته جرعة زائدة، لذلك أصبح جيراد مهووساً بالسعي وراء إلى، مع أن لا علاقة لعلي في حقيقة أن أخ جيراد مجرم، ولكن هذا ما قاد ليقابل جيراد إيماناً التي ركزت بدورها على براندون الذي قتل والدها عن طريق الخطأ، إننا

نتحدث عن عائلة أخرى دُمرت في بايفيو، وما الأمر الذي يتقنه أهالي بايفيو جيداً؟ الانتقام». عَدَّلت مايف قبعتها وهي تنظر إلى البحر حيث لوح لنا لويس وفيبي اللذان ظهرا مثل نقطتين صغيرتين في المياه الشاسعة، وقالت: «لا أعتقد أن كل تلك الإشارات التي قادتنا إلى عائلة أخرى مدمرة مجرد صدفة، تُعتبر وفاة الوالدين خلال سنوات أمراً صادماً، خاصة إذا لم يكن موت الأول فيهما مجرد حادث».

سألها كوبر: «ما رأيك؟ هل يُقلّد تشايس هذا جاريد؟».

أجابت مايف: «ربما، إذا عرفنا ما الذي حصل لآلكس وقتها سيفيدنا كثيراً، أتساءل إن كانت المرأة التي يُتهم بخيانته زوجته معها تملك أي معلومات عن الأمر». ثم نظرت إلى وأسندت ذقنها إلى يدها: «يا ليت أحدهنا يستطيع الدخول بشكل دائم إلى المكان الذي تقصده السيدة ربوردان لشرب وتنسى أوجاعها فيه».

قلت بعد أن فهمت ما ترمي إليه: «ماذا؟ كلا، أنا بالكاد أعرفها، لن أستطيع أن أقترب منها فجأة، وأسألها عن خيانتها لزوجها - هذا إن كانت خانته - والتي مضت عليها سنوات».

عاودت مايف المحاولة: «بالله عليك يا نيت، أنت تعمل في الحانة، وإذا لم تستطع حتى الآن العثور على طريقة تستدرج فيها السكارى ليفصحوا عن مكنونات نفوسهم فأنت تؤدي عملك بشكل غير صحيح».

خلع كوبر قميصه وقال: «بالإضافة إلى أنك ما زلت في بدايتك في هذه المصلحة، أعني أنظر كيف استطعت أن تجعل فانيسا تأتي إلينا».

قلت بتلقائية: «لم أقم بأي شيء حينها». ولكن.. ربما فعلت شيئاً؟ على الرغم من أن قدوم فانيسا إلى الحفلة لم يجرِ كما كان مخططاً له، ولكنه انتهى بشكل أفضل بكثير مما بدأ عليه.

انحنى كريس وقال: «فانيسا.. حسناً لدّي فكرة جيدة».

حملق كوبر إليه: «أي فكرة؟».

«إنها تعرف والدة جيك أليس كذلك؟ وتملك فانيسا نوعاً من.. لا أريد أن أقول نوعاً من الجاذبية، ولكن دعنا نقل إن مواهبها الاجتماعية مثيرة للإعجاب وربما نستطيع الاستفادة منها». ثم أمسك بالسائل الواقي من أشعة الشمس الخاص بمايف، وسكب القليل منه في راحة يده وتابع: «إنها تريد أن تغوص عن

الأعمال السيئة التي قامت بها في الثانوية، أليس كذلك؟». أضاف وهو يدهن السائل الواقي على كتفي كوبر: «ربما تستطيع البدء بتعويضنا من خلال مساعدتنا».

سألت: «لماذا ستخبر السيدة ريورдан فانيسا بشيء خاص بهذه الدرجة؟».

هزّ كريس كتفيه: «ستكون هذه مشكلة فانيسا، وعليها إيجاد حل لها».

سأل كوبر: «ماذا عن الأخ والأخت الأصغر؟ إنهم توأم أليس كذلك؟ ما قصتهما؟».

قالت مايف مبasherة: «كريستوفر وتشيلسي ألتون، أعتقد أنها واحدة من العائلات التي تختار نمط تسمية معين وتلتزم فيه لكل الأولاد، تدرس تشيلسي التاريخ في جامعة أوكسفورد، ولديها ظهور اجتماعي واضح ومثير للإعجاب». ثم دفعت بحاسوبها المحمول صوب برونوين، التي لمعت عيناهما مبasherة بمجرد سماع كلمة أوكسفورد. تحلم برونوين بالدراسة هناك، وهذا هو الشيء الذي قد يجعلني أخيراً أذهب وأستخرج جواز سفر.

تمتمت برونوين: «يا إلهي، إنها تجلس في مكتبة بودليان القديمة». انحنىت فوق كتف برونوين وهي تنظر إلى صفحة آنسنغرام لفتاة بنية الشعر تجلس في ساحة بناء قوطي، وقالت: «لقد أردت دائمًا أن أذهب إلى هناك».

قالت مايف: «أما كريستوفر فهو على نقيضها لا يملك أي حساب على وسائل التواصل الاجتماعي، وليس هناك أي كلام عنه بعد أن أخذ إشعار التخرج من الثانوية العامة».

تمتم كريس: «حسناً، هذا أمر مثير للشبهات».

أتى لويس راكصا إلى الشرشف، وقد أصبح رطباً تماماً، أبعد شعره عن عينيه، بدورها اقتربت فيبي، فقال لويس بأنفاس متقطعة: «لقد أصبحت شبكة الكرة الطائرة فارغة حالياً، إن أدي ونوكس يحجزانها كي لا يأتي أحد آخر، هيّا دعونا نلعب».

قال كوبر: «أجل». وقفز مبasherة على قدميه مع أن نوكس لا يزال يُدلك كتفيه، وأضاف: «كما في الأيام الخوالي».

قالت برونوين وهي تربط شعرها على شكل كعكة: «بالنسبة إلى بعضاً فقط».

قال كريس وهو يضرب كف برونين عالياً: «أنا في فريق برونين، أنا معجب كبير بك عندما تنتقلين إلى حالك الهجومية».

لست من محبي الكرة الطائرة، ولكنني قلت مباشرة: «وأنا أيضاً».

قالت مايف بشك: «لا تبدو فكرة جيدة تماماً».

قال كوير: «بالله عليك مايف هيّا، توقفي عن هوسك بالحواسيب والأبحاث، والعبي بعض الكرة اللعينة معنا».

احتضن بذراعه كتفي لويس الذي كان شاباً ذراعيه أمام صدره، ابتسمت فيبي وهي تنظر إلى مايف نظرة مفادها من دونك لن يكتمل العدد.

تنهّدت مايف بصوت عالٍ وقالت: «حسناً، أمهلوني خمس دقائق، في البدء، يجب أن أدهن طبقة جديدة من السائل الواقي من أشعة الشمس».

قال لويس: «كنت أتوقع هذا».

قالت مايف: «ويجب أن أغلق حاسوبي المحمول و...». خلعت نظارتها الشمسية، وحّدّقت إلى شاشة الحاسوب: «لقد تلّقت تامي لي لتوها رسالة من تشيس ألتون».

عبس لويس: «من من؟».

وذكر كوير ذراعه: «إنه الفتى الذي كان في ذلك الإعلان، تابعي».

«آخر شيء قلته له إذا شعرت بالملل خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه عليك أن تأتي إلي سان دييفو». جحظت عيناهما وهي تقول: «وقد قال لي ربما أمر عليك فأنا أصلاً في سان دييفو».

الفصل السابع والعشرون

أدي

السبت، 18 تموز

لم يعد الأشخاص أنفسهم بالسيارات التي أتوا بها إلى الشاطئ، فقد أخذ كل من مايف وبرونوين حبيتهما فيبي إلى منزل آل روخاس ليتناولن العشاء معاً، وقالت فيبي أنها ستعود معهما إلى منزلها. لقد قالت إن سبب ذلك هو إكمال حديثها مع مايف وإخبارها بما وجدته فيبي في شركة كونراد وأولسن، ولكنني أعتقد أن ذلك لأنها فجأة لم تعد قادرة على الوجود بالقرب من نوكس حتى لو لم تتجاوز المسافة خمس أقدام.

سألت ونحن نجلس في المقعد الخلفي لسيارة كوبر: «ما الذي يجري بينك وبين فيبي؟». ثم شممت رائحة السيارة الجديدة، وشعرت بالأسف على كوبر وهو يتخلص من الرمل في أرضية سيارته، وتابعت: «بالكاد تبادلتما الحديث».

تمتم نوكس: «لا شيء». لقد أسمّر قليلاً هذا الصيف، ولمع شعره الذهبي تحت الشمس، لو أنه ينتمي لنوع آخر من الشباب كان سيصبح أكثر إعجاباً بنفسه بعد هذا التألق، ولكن بما أنها تتحدث عن نوكس فأنا متأكدة من أنه لم يلحظ ذلك، وأضاف قائلاً: «كل ما في الأمر أنها مجموعة كبيرة، ولا يمكنك التحدث إلى الجميع». ثم تحرك في المقعد بينما أرجع كوبر السيارة بحذر نحو الخلف، وقال: «انظري لقد كنت أتساءل هل يجب أن تُخبر إلي عن موضوع التمرين يصنع الأفضل وكل هذه الأشياء؟».

حسناً، بدا جلياً أنه يحاول تبديل الموضوع، فلم أمانع - خاصة وأنني أحتاج إلى إلغاء تلك الفكرة، فلو أن أختي تملك أدنى فكرة عمّا مررت به في الفترة الأخيرة كانت ستصاب بأزمة قلبية، وبالتأكيد لا أستطيع السماح بحدوث ذلك وهي حامل: «كلا، لماذا نفعل ذلك؟ لا يوجد شيء واضح لنخبره به».

قال نوكس: «ربما هناك صلة بين عائلة جيك وما حدث لفيببي وريجي».

قلت: «هذه أكثر صلة ضعيفة رأيتها في حياتي، هل تستطيع تخيل المحادثة التي قد نجريها مع شرطة بایفيو؟ أوه، مرجحاً نظنّ أنّ الكتابة التي على ذراعي فيبي وريجي لها صلة بحملة إعلانية ظهرت منذ ست سنوات عملت عليها والدة جيك، وشخص ميت نعتقد أنها كانت تخون زوجها معه، أوه وأيضاً نحاول أن نجد ابن ذلك الميت».

حلّ نوكس ذقنه: «حسناً، لن نقول ذلك تماماً، كما أني سألتكم هل يجب أن نخبر إلى وليس للشرطة، سيكون ذلك اختباراً تجريبياً أفضل بكثير لنعرف كيف سيتم تقبّل الأحداث».

قال كوبر من المقعد الأمامي وهو يعبر بغاية الهدوء طريقاً يؤدي إلى الطريق الرئيسي: «صدقني لا ت يريد أن تفعل ذلك، لقد قال إنه سيفصلك من العمل إذا تورط أي شخص منا مجدداً بهذه الأمور».

قال نوكس، على الرغم من أنه لا يبدو مقتنعاً بشكل كامل: «كان يمنّح».

قال كرييس: «أظنّ أنها بحاجة إلى المعلومات الأكثر أهمية من فانيسا أوّلاً، وإلا سنكون قد أيقظنا شائعة نائمة وأذينا شخصاً ما».

قال كوبر: «أنت متأكد من أن فانيسا تستطيع الحصول على المعلومات الأكثر أهمية، ولكن نيت لم يبدُ واثقاً من ذلك».

هزّ كرييس كتفيه: «لا يعرف نيت مطلقاً القوة التي تكمن في الثرثرة والنميمة».

في الوقت الذي كانوا يتحدثون فيه كانت الأفكار تعصف في رأسي، لقد بدأت بمواعدة جيك في الشهر الأول من السنة الأولى، ولكنني لم أقابل عائلته حتى عيد الشكر، لقد كنت متحمسة جداً وأترقب تلك الدعوة للعشاء مع آل ريورдан، خاصة أن والدتي كانت متزوجة من زوجها الثاني - المدعو تروي - وتحطّط لدفعي إلى منزل أهل جيك. خلال تلك الفترة بدا منزل آل ريورдан

مثل واحة، منزل مثالي التصميم، والطعام، وكانت الهالة التي تحيط بـ جيك باهرة، لدرجة أنني شعرت وكأنني في مشهد من أحد أفلام العطل، بالنسبة إلى كانت تلك ليلة ساحرة، وبعدها قضيت أطول وقت أستطيع قضاءه في منزل جيك، لا أستطيع أن أتذكر تماماً الفترة التي تركت فيها السيدة ريورдан عملها، ولكنني أتذكر أنني فكرت كم ستشعر والدتي بالغيرة من السيدة ريورдан، لأن لديها كل ما تحلم به، ليس فقط منزل وزوج وابن مثالي، بل لديها جدول أعمال فارغ تماماً.

يا ليت الزمن يعود بي إلى الوراء بضع سنوات، الآن بعد أن عرفت مقدار العلاقات السامة التي تختبئ تحت مظهر مثالي، بحيث أنظر إلى آل ريورдан بعيدين حكيمتين واعظتين.

لقد مضى أكثر من أسبوع على لقائي الأخير مع جيك في منزله في رامونا. في البدء، شعرت بالراحة لأنني لم أتلقي أي مكالمات منه أو من محامييه، لأنه كان محظياً - فعندما ذهبت إلى منزله انتهكت حكم تقيد الحركة الذي طلبه ببني، كان يستطيع التبليغ عنني وتغيير بعض التفاصيل الصغيرة لحقيقة ما حدث ويتخلص بسهولة من الحكم، ولكنه لم يفعل، وبعد عدة أيام بدأ الشك والخوف ينهاشاني، ولم أستطع التفكير إلا في ما قاله جيك مباشرةً قبل أن يدخل إلى المنزل اعتادي على عيش حياة تراقبين فيها كل شيء حولك، لأنه يوماً ما سأكون موجوداً هناك.

لم يخبر الشرطة بشيء، ولكن لماذا يخبرها؟ فقد أعطيته تلك الليلة ما يريد تماماً: أكدت له أنني أخاف منه، والآن لا يسعه سوى أن ينتظر حتى يطلق النظام القضائي المثير للسخرية سراحه بشكل كامل.

قال كريس معيضاً إباهي إلى الواقع مجدداً: «انعطف يساراً لكي تصل إلى شارع منزل أدي».

قال كوبر: «أعرف ذلك». ثم أبطأ وهو يقترب من منزلي، ثم توقف تماماً ونحن على بعد مسافة مبني كامل عن منزلي.

سأله كريス مغيطاً إباه: «وهل تعلم أيضاً أن هذا ليس منزل أدي؟».

قال كوبر: «أعرف ذلك، ولكنني أعرف تلك السيارة أيضاً».

نظرت إلى حيث أشار، وأخذت نفساً عميقاً غير مكتمل، تلك السيارة القديمة الحمراء المكسوقة ذات السطح البني المحممر غير المتناسق مع لونها سبق لنا أن رأيناها أمام مكتب إلى، ثم بعدها أمام منزل نيت، تلك التي نفي

جاره فيل ملكيته لها بشكل قاطع، إدًّا هذه هي المرة الثالثة، وهذه المرة أمام منزلي.

لأنه يوماً ما سأكون موجوداً هناك.

شعرت بالمغص في الوقت الذي اقترب فيه كوبر بهدوء من السيارة، قائلًا: «دعونا نقترب منها قليلاً ونحاول إلقاء نظرة على السائق».

قلت محاولة السيطرة على صوتي حتى لا أبدو منهارة: «أيًّا يكن السائق فزجاج السيارة من النوع العاتم، لقد كان نيت على بعد أقدام منها، ولكنه لم يستطع رؤية من يقودها».

انحنى نوكس: «ربما هو تشايس ألتون، ربما لم يمزح عندما قال لمايف إنه هنا بالفعل، وهناك احتمال أنه كان هنا طوال الفترة الماضية».

فگُرت وربما هو جيك، ولكنني لم أتجرا على قول ذلك، عندما أصبح كوبر بالقرب من السيارة، تحرّكت بسرعة نحو أسفل الشارع بعيداً عن منزلي، فقال نوكس بسرعة: «اتبعها».

داس كوبر على الكابح وقال: «ماذا؟ هل تعتقد أنه يجب علينا ذلك؟ نحن لا نعرف حتى...».

قاطعه نوكس قائلًا: «اتبعها».

تبعها كوبر بشيء من التردد، ولكن بمجرد أن انطلقت السيارة الحمراء بسرعة بعد أن غادرت شارع منزلي وتوجهت في شارع أكثر ازدحاماً، أسرع كوبر خلفها متقدلاً بين السيارات حتى أصبح على بعد بضع سيارات عنها، فتمتم في الوقت الذي انتقلت فيه السيارة الحمراء من مسرب إلى آخر: «كيف يمكن لأي شخص أن يقود بلوحة ترخيص غير مقرؤة أبداً ومغطاة بالطين بالكامل من دون أن توقفه شرطة المرور؟».

قال نوكس: «أوه ألا تدرى.. لا يمكن لأفراد شرطة بایفيو أن يهدروا وقتهم على أمور كهذه، فلديهم العشرات من قضايا القتل ليحققوا بها».

«بغض النظر عن حقيقة من هو، ولكنه يسير بسرعة بالنسبة إلى حي سكني، هل تظنّ أنه لاحظ أننا نلاحقه؟».

«أعتقد أنه لاحظ تصرفاتك الغريبة عند منزل أدي عندما توقفت بعيداً، ثم اقتربت بهدوء، ولذلك يحاول الهرب، ولكننا قلصنا المسافة بيننا جيداً الآن».

اقتربنا من إشارة ضوئية تغيرت فجأة من الأخضر إلى الأصفر فأبطأت الشاحنة التي أمامنا فجأة، أمّا السيارة الحمراء فاستطاعت عبور التقاطع عندما كانت الإشارة صفراء.

صرخ نوكس وهو يضرب ظهر مقعد كوبر: «تجاوز الإشارة!».

احتج كوبر وهو يبكي: «هناك سيارة أمامي!».

تحول ضوء الإشارة إلى الأحمر، فتنهد نوكس منزعجاً.

تمتم: «حسناً لم يعد ينفع الآن لقد أضعناه». لمحنا الأضواء الخلفية للسيارة الحمراء أمامنا لثوانٍ قبل أن تخفي تماماً عند المنعطف.

قال كوبر: «لا تكن متأكداً تماماً من ذلك، هذه إشارة ضوئية قصيرة المدة، وكما يحب لويس أن يذكرني دائمًا فهذه السيارة تبلغ سرعة ستين ميلاً في غضون 5.3 ثانية».

سأل كرييس في الوقت الذي عاد لون الإشارة إلى الأخضر: «ما الذي تستطيع السيارة فعله؟». ترك كوبر تلك الشاحنة تسير أمامنا قليلاً قبل أن يتجاوزها بحركة سريعةوها هو الآن على الجهة السريعة من الطريق المفتوح أمامه تماماً.

قال كرييس وبدا متفاجئاً ومبهراً: «حسناً هذا رائع.. ها نحن ذا».

لقد اختلف كوبر الذي قاد من الشاطئ إلى منزلي وهو يلتزم بسرعات متوسطة ومعتدلة، وحلّ مكانه شخص يعرف مكان دوامة البنزين وما الهدف منها، خلال ثوانٍ لمحت الضوء الخلفي للسيارة الحمراء، عندها أبطأ كوبر مجدداً، وترك عدة سيارات بيننا حتى نقترب من تقاطع طرق آخر وعندها اقترب أكثر وضيق الفجوة بين السيارات بحيث نتمكن كلانا من العبور بينما الضوء لا يزال أصفر، قال نوكس: «أبطئ قليلاً لا تجعله يراك».

سألت وأنا أشعر بتسارع نبضات قلبي: «إذا ما الخطة الآن؟». لقد كان كوبر محقاً للمرة الأولى في حياته. رأينا تلك السيارة مرکونة أمام مكتب إلي، وما كان جيك يرغب بأن يمسك به في تلك المرحلة، إلا إذا كانت الفكرة من القيادة إلى هناك هي ألا يلاحظه أي شخص. هل نحن نلاحق جيك حقاً؟ لا أقوى على فعل ذلك مرتين في الشهر نفسه، أو على الأقل لا يمكن أن أجعله يمسك

بي مرتين، سالت: «لن نحاول أن نواجه ذلك الشخص، أليس كذلك؟ تبدو هذه فكرة سيئة».

قال كوبر: «دعينا نر إلى أين يتجه على الأقل».

وصلنا إلى تقاطع آخر، وفجأة عبرت السيارة الحمراء مسرعين إلى اليمين وانعطفت بسرعة إلى شارع جانبي، صدحت أصوات أبواب السيارات عالياً في الوقت الذي قال فيه كوبر: «اللعنة». ولف المقدود بسرعة وعصبية ليلحق بالسيارة الحمراء.

قال كرييس وقد اندفع من جهة إلى أخرى في السيارة بسبب انعطاف كوبر الحاد: «إنه يكشف نفسه كثيراً بالنسبة إلى شخص يحاول التخفي». ثم أضاف: «اسمع كوبر.. عليّ أن أعترف... تحولك إلى سائق سيارات سريع يجعلك مثيراً جدّاً، ولكن من الواضح أن الشخص الذي يقود تلك السيارة لا يريد أن يراه أحد».

قال كوبر مباشراً: «ولهذا السبب نحن نريد أن نراه».

نحن نسير الآن في شارع جانبي، وتجاوز المنازل على جانبي الطريق بينما يحاول كوبر البقاء على مسافة قريبة من السيارة الحمراء، ولكن سائق السيارة الحمراء ينطعطف مجدداً. تمكن كوبر بسهولة من البقاء خلفه، وتعامل سيارته الجديدة مع هذا الوضع بطريقة مذهلة.

قال كوبر عندما اجتازت السيارة الحمراء تقاطعاً فارغاً رباعي الاتجاهات: «تلك الإشارة تعني أن عليك التوقف أيها الأحمق». ثم عبر الطريق وتابع السيارة الحمراء.

قال كرييس: «كوبر أبطئ قليلاً، نحن في منطقة سكنية، بالإضافة إلى أننا لا نملك أي فكرة عن ذلك الشخص، ربما يحمل سلاحاً، أو...». توقف عندما لاح مبني أمامنا، أما السيارة الحمراء فاندفعت إلى موقف السيارات الخاص بذلك المبني.

أنهى نوكس جملة كرييس قائلاً: «وربما يقود باتجاه مركز شرطة بايفيو».

قال كوبر وهو يبطئ ويركز جانباً في مكان فارغ: «ماذا؟ اللعنة.. من فضلكما أخبراني أنني لم أتجاوز إشارة مرور وأنا ألاحق شرطياً، كيف يفترض أن أشرح ذلك لمدرب؟».

لم يتکبّد سائق السيارة الحمراء عناء ركن السيارة، بل أوقفها بشكل عرضي وترك محركها قيد العمل، فتح باب السائق، فتنفّست بعمق لأجهز نفسي لرؤيه شخص، أيّاً يكن هذا الشخص الذي سأراه، قد يكون جيك صحيح؟ ربما يكون تشايس ألتون، أو شرطيًا سيعتقل كوبر لقيادته المتهورة، أو...

قال نوكس مستغربًا: «من ذلك الشخص؟».

لّوح لنا رجل قصير من السيارة، إنه قصير في الثلاثينات من العمر داكن الشعر، لم يغلق الباب بل توجه مباشرة نحو سيارة كوبر، فتح كوبر الباب ولف جذعه ليخرج من السيارة، ولكن الرجل أغلق باب سيارة كوبر من الخارج مباشرة وبحركة سريعة وقوية، وكأنه يحاول إبقاء كوبر في السيارة بدون أن يضطر للمسه.

صرخ: «لا تقترب مني وإلا سأبلغ عنك!».

خرج كوبر من السيارة، وصعد على الرصيف بغض النظر عما قاله: «ولماذا تبلغ عنني؟».

صرخ الرجل: «للمضايقة! هل تظن أنك أول شخص يحاول اللحاق بي في الشوارع؟ لست الأول.. و..». ثم توقف عن الكلام تدريجيًا وبدأ أن حجمه قد تقلص قليلاً، وأدخل يده في جيب بنطاله الذي بالكاد بدا مناسباً له، وقال: «انتظر لحظة.. أنت.. أنت لاعب البيسبول، أليس كذلك؟».

«أنا لاعب بيسبول، وهل لك أن تشرح لي كيف أضايقك في حين أنك الشخص الذي يتبع أصدقائي؟».

لا أعلم من هو ذلك الرجل الشبيه بالأرنبي ولكنه لا يبدو خطراً. فككت حزام الأمان وترجلت من السيارة ووقفت بجانب كوبر، تجمد الرجل عندما رأني، وححطت عيناه وهو يقول: «أووه!». ثم نظر إلى مركز الشرطة، ثم إلى سيارته التي لا تزال تعمل وقال: «حسناً... لقد كان هذا مجرد خطأ». ثم نظر إلى كوبر وقال: «لديك سيارة جديدة».

سأله كوبر بحده: «كيف لك أن تعلم ذلك؟». لم يرد الرجل، وحده إلى لفترة طويلة لدرجة أنني شعرت ببشرتي تتجمّد من الرعب، فسألته كوبر: «ولماذا تنظر إليها هكذا؟ من أنت؟».

نظر الرجل بعيداً، ثم قال وهو يتحرك بشكل منحرف صوب موقف السيارات: «أنا..». خرج بعض الأشخاص ممن يلبسون ملابس مدنية من مركز

الشرطة، وخرج كريس ونوكس من السيارة مباشرةً ووقفاً إلى جانبي أنا وكوبر بذراعين متصالبين وكأنهما زوج من الحرس الخاص، إنها المرة الأولى التي أرى فيها نوكس يبدو مخيفاً ولو قليلاً.

سألته: «من أنت؟».

ازدرد الرجل لعابه بصعوبة شديدة لدرجة أن أي شخص من على بعد ست أقدام يمكنه رؤية تفاحة آدم تتحرك: «أنا مارشال ويفيلد».

استغرقني الأمر ثواني لأتذكر من هو هذا الرجل – أوه يا إلهي إنه عضو هيئة المحلفين ذاك – كان كوبر قد توجّه إليه بغضب قائلاً: «أنت يا ابن اللعينة!». فأمسك كل من نوكس وكريس بذراعيه، وبدلًا جهداً لإيقائه بعيداً عنه. لم يسبق لي أن رأيت كوبر غاضباً إلى هذا الحدّ، فيغضن النظر عن أنه شخص قوي لقد كان دائمًا ألطف وأرقى شخص رأيته في حياتي، ولكنه الآن يبدو جاهزاً للتحول إلى شخصية أخرى، قال كوبر: «أنت السبب في أن جيك ربوردان يسير طليقاً في الشوارع، ولديك الجرأة اللعينة لتظهر أمام منزل أدي وترعبها؟ هل أنت مخبوء؟».

احتاج مارشال: «لقد فهمتم الموضوع بشكل خاطئ». ثم تراجع وبدأ غير واثق من قدرة نوكس وكريس على إبقاء كوبر بين ذراعيهما، ولكنني أثق بهما. من خلال صوت أنفاسه العميق لاحظت أن كوبر بدا يهداً قليلاً، فتابع مارشال: «سواء أردت تصديق أم لا، ولكنني أريد مساعدتكم، الأمر هو... انظروا.. لقد فقدت عملي، وحبيبي، وشقيقي بعد ما حصل...».

قال كريس: «هذا جيد».

تابع: «وما عاد أحد يتحدث إلى سوى ابن عمي، لذلك انتهي الأمر بي مستلقياً على أريكة في منزله من دون عمل، ففكرة بما أنني السبب في خروج جيك من السجن، ربما أستطيع مراقبة بعض الناس الذين يحقد عليهم، والتأكد من أنه لن يحاول فعل أي شيء...».

قاطعته في الوقت الذي تدفق فيه الدم بقوة عبر أوردي: «هل أنت جاد في ما تقوله؟». لا أستطيع تصديق أن ذلك الرجل الذي يقف أمامي – الوحيد الذي صوت ليحصل جيك على محاكمة جديدة – يخبرني الآن أنه يحاول أن يساعدني. قلت: «وماذا ستفعل إن حاول جيك أن يؤذني أحداً؟».

قال مارشال: «أنا.. حسناً... سأوقفه».

قال نوكس بحدة وهو يفلت ذراع كوير: «كلام فارغ! لم تستطع حتى التعامل مع قليل من المطاردة لعدة أميال، أخبرنا الآن عن السبب الحقيقي لكونك هنا؟».

قال مارشال: «أخبرتك لأنني أرحب بالمساعدة». ثم احمررت بشرته الشاحبة قليلاً وهو يضيف: «إذا فعلت ذلك فحينها ربما أستطيع أن أطلب منكم خدمة».

نظر إليه نوكس بعينين غائرتين: «ماذا.. تريدين خدمة؟».

رفع مارشال يده نحو بطيقة توسل وطلب: «انظري.. أدرك أنني خربت حياتك، ولكنني أيضاً سببت الفوضى لحياتي أيضاً، بالكاد تحدثت عائلتي إليّ، ولا يرغب أحد بتوظيفي، وقد لاحقني الناس عدة مرات عندما تعرفوا إليّ، بالإضافة إلى أنني أتلقي تهديدات قتل معظم الوقت، لذلك فكرت في أنني إذا ساعدتك ربما قد تفكرين في مساعدتي».

ردّت: «مساعدتك.. كيف أستطيع مساعدتك؟».

قال بشيء من التوسل: «صرّحي على أحد حسابات على موقع التواصل الاجتماعي، واطلبي من الناس أن يهدأوا قليلاً، ويكفوا أذاهم عنّي، فهم سيصغون إليك».

تنفس كوير بعمق، وعرفت أنه يريد أن يرد عليه بدلاً مني، ولكنه ضبط نفسه، أما نوكس فضحك ساخراً وغير مصدق، واعتصم كريس بحبل الصمت.

في تلك اللحظة، كان لديّ كثير من الأشياء التي أستطيع قولها لمارشال ويفيلد، بالإضافة إلى كثير من الأشياء التي تمنيت أن أقولها منذ أشهر، ولكنّ أياً منها لن يحدث فرقاً لذا اكتفيت بقول كلمة واحدة: «كلا».

سألني: «ألا يمكنك أن تفكري في ذلك على الأقل؟ أعرف أنني لم أفعل شيئاً لمساعدتك في موضوع جيك بعد، ولكن ربما أستطيع مساعدتك في أمور أخرى». ثم تغيرت تعابير وجهه وهو يقول: «كثيرة هي الأشياء التي تحدث ضمن مجموعة أصدقائك، أليس كذلك؟ لقد رأيت وسمعت بعض الأشياء».

يا لها من عبارة غريبة للتعبير عن الوضع رأيت وسمعت بعض الأشياء، قلت مشددة على كل حرف: «مارشال اسمعني، إذا اقتربت خطوة واحدة مني أو من أحد أصدقائي مجدداً، سأقوم بالتأكيد بنشر بعض الأشياء على

حسابات التواصل الاجتماعي، ولكن كن متأكداً من أنني سأخبر الجميع بأنك تتعقبني».

جحظت عيناً مارشال: «ماذا؟ لا يمكنك فعل ذلك!».

قلت: «ولماذا لا أفعل؟ صدقني. وربما أذهب وأخبر الشرطة».

في تلك الأثناء فتح باب مركز الشرطة، وخرج شرطي بزيه الرسمي، لم يتربّد مارشال ويتفيلد للحظة بل توجه نحو سيارته مباشرةً وجلس خلف المقود وأغلق الباب خلفه بسرعة، تجاهله الشرطي واقترب منا، تعرفت إليه إنه ميندوزا، الذي سبق له أن استجوبنا جمِيعاً مرة واحدة على الأقل، لذلك ما من شك في أنه تعرف علينا، ولكنه صبّ كامل نظراته وتركيزه علىّ – تماماً مثل مارشال – واكتفى بنظرية فاحصة عابرة على البقية.

قال: «أدي، سمعت أنك».

سألته في الوقت الذي انسحب فيه مارشال من موقف السيارات: «ما الذي سمعته؟».

توقف قليلاً، ونظر إلىّ وهو يرفع حاجبه: «أوه أنا.. إذا لم تكوني على تواصل مع محامي مؤخراً؟».

محامي؟ تسارعت نبضات قلبي وأنا أسأله: «أتواصل معه بخصوص ماذا؟».

درس المحقق ميندوزا وجهي بتعابير غير مألوفة ففي العادة يتحدث إلىّ بوجه جامد خالٍ من المشاعر، أما هذه المرة فبدا قلقاً، قال: «حسناً لم أتصوّر أن نجري المُحادثة بهذه الطريقة، ولكن... اسمعي... دعينا نتحدث في الداخل؟». ثم تفرس كلاً من كوير وكريس ونوكس قائلاً: «نرحب في التحدث إلى كل شخص منكم، لأن جيك ريورдан اختفى».

الفصل الثامن والعشرون

فيبي

السبت، 18 تموز

لقد اختفى جيك ريورдан.

سأل لويس: «ماذا يعني اختفى.. هل هرب، أم اختفى مثل... ريجي؟».

جلسنا مجذّداً على سطح كافيه كونتيجو، فقد أغلقه والدا لويس نظراً لوجود اجتماع طارئ لنادي جريمة القتل، هذه المرة لم يجلس إلى جانب نوكس، ومع أنني كنت بعيدة استطعت الشعور باختفاء خوفه من المرتفعات بسبب الأخبار الأخيرة، لا يبدو خائفاً، على عكس أدي التي تبدو مرعوبة.

قلت بقوه: «يبدو الأمر مشابهاً للأحداث السابقة.. لقد وجدوا جهاز التعقب الذي يطّوّق كاحله مرميًّا في فناء منزله وقد قطعه بطريقة ما».

تمتمت مايف: «استخدم موقع الشبكة السوداء، لقد كنتِ محقّة».

قالت برونوبين: «ولكن الأمر غير منطقي، لقد كان جيك يملك فرصة كبيرة في عكس إدانته في الاتجاه الآخر، ونزع جهاز التعقب يُعتبر جنائية، أليس كذلك؟». رفعت حاجبيها ونظرت إلى نيت، الذي هزّ كتفيه قائلاً: «أخبرينا أنتِ، فأنتِ الخيرة القانونية هنا».

قالت برونوين: «أجل، أعتقد أنها جنایة».

نظرت إلى أدي وأضافت: «وإن لم تكن جنایة، سيبدو التصريح بذلك أمام هيئة المحلفين سيّئًا جدًا، ما الذي قاله المحقق ميندوزا؟».

قالت أدي: «لم يكن الهدف من حديثه معنا أن يشاركونا نظرياته كما تعلمين، لقد كان يسألنا إذا اتصل جيك بنا وأخبرنا بالبقاء حذرين ومتيقظين». ثم قالت بشيء من السخرية والخوف: «شكراً على النصيحة أيها الصابط».

سألها نيت: «هل أخبرته عمّا حصل في منزل رامونا؟».

أجابت على الفور: «بالطبع لا.. لم أرغب في أن أصبح مشتبهًا بها». ثم أخفضت صوتها حتى أصبح بالكاد مسموعاً: «يا أصدقاء هل تستوعبون الفكرة، جيك طليق يلهم في كل مكان الآن، في كل مكان».

بدت خائفة جدًا لدرجة أنني لم أستطع إلا أن أقول: «ربما هذا غير صحيح، ربما أخذه شخص ما وهو يكتب على ذراع جيك الكلمة (الأفضل) الآن». ثم فركت ذراعي مكان الكتابة، وحاولت تخيل شخص مخيف البنية مثل جيك ربوردان يعامل بالطريقة السيئة نفسها التي عوملت بها.

احتضنت ذراعها كتفي أدي وهي تقول: «ربما فكرنا بشكل خاطئ حول كل ما يتعلق بذلك، وكنا نسير في طريق مغلق، لأننا كنا بالتأكيد مخطئين حيال شيء واحد على الأقل».

كالعادة كانت تكتب بسرعة على حاسوبها المحمول وهي تخطبنا، قالت: «لا علاقة لتشايس ألتون بأي شيء على الإطلاق».

فركت ذراعي بقوه أكبر وتمنيت لو أنني أستطيع إخفاء تلك الحروف القابعة في مخيلتي، أحياناً أشعر وكأنها ستبقى هناك حتى الموت، سألتها: «كيف لك أن تعرفي ذلك؟».

«إنه ليس في لوس أنجلوس، بل في نيويورك، يبدو أنه هادئ تماماً، ولم يتحدث مطلقاً عن حقيقة أنه على وشك التمثيل في مسرحية جديدة، ولكنه بدأ ينشر عنها للتو، يمكن القول إنها بعيدة جدًا جدًا عن طريق الشهرة، ولكنها حصلت على القليل من الآراء، لم ينشر تشايس أبداً منها، لأن النقاد لم يكونوا لطيفين في ما قالوه عنه». ثم قالت:

«الممثل الجديد على الساحة تشايس ألتون كان متصلّياً وحالياً من المشاعر، قد يخطئ أي شخص من الجمهور بينه وبين الأعمدة الموجودة على

المسرح».

قالت برونوين: «أوه، هذا مؤلم».

قال نيت: «ظننت أنه قال لك إنه الآن في سان دييغو».

جحظت عيناً مايف وكأنها تحاول تصنّع أنها متفاجئة: «أعرف ذلك، هل لك أن تخيل أن الشاب الذي كنت أحاول الوصول إليه كذب علىّ؟ أشعر بالغضب، ولكنني أعتقد أنه لم يكن يكذب، لقد قال ربما، ربما أراد أن يبيث الحماسة في نفس تامي لي، و يجعلها تفكّر بأنه قريب منها ومتاح». قالت وهي تكتب على حاسوبها المحمول: «تلك الفتاة لديها أسوأ ذوق في العالم عندما يتعلّق الأمر بالرجال».

سألت أدي: «هل هذا يقودنا إلى أي معلومات؟». ولكنها أجبت نفسها قبل أن يتسرّى لأحد أن يقول شيئاً: «لا نملك أي معلومات، لقد كان كل شيء هدراً للطاقة من دون جدوى». ثم ارتمت في مقعدها منهكة كما لم أرها من قبل.

قالت مايف: «لا يزال هناك الشخص المدعو كريستفورد ألتون، وهو الأصغر سناً بينهم وتوأم تشييلسي، لقد كانت تعيش هي وتشايس حياة وثقت بشكل جيد، ولكن بالنسبة إلى كريستوفير؟ لم أستطع تعقبه». ثم نظرت عبر السطح مرة ثانية، وقالت: «هل يستطيع أي شخص تذكر فتى غامض في بداية العشرينيات من عمره بدأ يظهر كثيراً في بيفيو مؤخراً؟».

قال كوبر وهو يتحرك في مقعده: «سيكون ذلك ملائماً للحادثة أليس كذلك؟ ولكن ماذا عن السيدة ريدران؟ هل حدث أي شيء جديد بخصوصها؟».

قال نيت: «حسناً، لقد فعلت ما طلبتمنوه مني، وسلطت فانيسا عليها، من يعلم ربما ستستطيع أن تزودنا ببعض المعلومات الجديدة».

قالت أدي بصبر نافد: «كلّمها الآن، كل ما وصلنا إليها حتى اللحظة عديم الجدوى».

قال نوكس: «لا يوجد شيء عديم جدوى، لقد تعلّمنا ذلك بالطريقة الصعبة عندما تعاملنا مع جيرارد». ثم وقف وقال: «سأذهب إلى الحمام، هل تحتاجون إلى شيء من الطابق السفلي؟»، فقال الجميع على التوالي «لا». يظهر أنهم فقدوا الشهية.

توجّه نوكس صوب الباب ومنه إلى الدرج، وبمجرد أن احتفى شعرت بصخرة كبيرة من الوحدة التي تصغط على صدري، مع أنني محاطة بالأصدقاء وجميعنا يعترينا القلق حيال الشيء ذاته، إلا أنني ما زلت أشعر وكأن هناك جداراً غير مرئي يفصلني عن جميع الموجودين هنا.

قلت بعفوية: «يجب أن أذهب، لقد تركت إيماء وحدها».

سأل كوبر: «هل ترغب في المجيء إلى هنا؟».

لا أستطيع أن أضع عيني في عينيه، لقد تعامل معي بلطف شديد، ولكن ما فعلته في المقابل كان التوقف عن زيارة جدته لأنني خفت من أن أقول شيئاً يجب ألا أقوله أجبته: «كلا، إنها متعبة من رحلتها».

هذه كذبة؛ لقد دعوتها، ولكنها أصرّت على البقاء في المنزل مع أن أمي كانت تنظم حفل زفاف، وأوين كان نائماً في منزل أحد أصدقائه. قالت: «سأشعر أنني لست في المكان الصحيح». لقد أتيت من دونها لأدعم أبي، ولكنني أعرف أن أبي لن تفتقدي فهي محاطة بالناس الذين يحبونها، أمّا إيماء فهي وحدها تماماً.

قالت مايف: «بلغيها حياتنا».

قلت: «سأفعل، أبقوني على إطلاع آخر المستجدات».

عندما وصلت إلى الطابق السفلي أشارت إيفي إلى من حيث تقف خلف صندوق المحاسبة: «هاري.. طلبت السيدة سانتوس أن نرسل ناتشوز إلى السطح، لقد وصلت للتو من المطبخ» ثم أضافت وأنا أدنو منها أكثر. وجهها محمر تماماً وهناك خصل قد خرجت من شعرها المعقوض على شكل كعكة: «هل تستطيعين أن تأخذيها معك عندما تصعدين مجدداً؟ فأنا وأحمد منهمكان جدّاً وبدأ الناس يفقدون صبرهم».

قلت: «أنا عائدة إلى المنزل». ثم نظرت إلى الساعة المعلقة خلفها على الحائط، إن عقلي في مكان آخر بعيد جدّاً عن كافيه كونتيجو.

عبست إيفي وقالت بعصبية وهي تضرب درج آلة المحاسبة - أجل إنه يحتاج إلى بعض العنف ليفتح أحياناً - «أوه حسناً.. على ما أعتقد ليس عليك أن تقلقي أبداً حيال القيام بأي معروف لي، فأنا لم أقدم لك معرفةً».

نظرت مندهشة إلى الانهيار المفاجئ الحاصل لها مقارنة مع هدوئها المعتاد: «أنا.. ماذا؟».

توقفت إيفي عن الضرب على الآلة، ووضعت يديها على خصرها، وهي تجول بعينيها في أرجاء الصالة الممتلئة بالكامل خلفنا، الآن بعد أن ذكرت ذلك.. أجل، ذلك صحيح، فأناس كثُر يحاولون لفت انتباها، قالت: «أقوم بالعمل بالنيابة عنك في أغلب الأوقات، ما كان سينقصك إذا أوصلت طبق من الناتشوز إلى السطح؟».

شعرت بالخجل، إنها محقّة.. بالطبع محقّة، لقد كنت أعتمد عليها طوال فترة الصيف أيضًا، فقد كانت المشاكل تغمرني لدرجة أنني لم أشكّرها بشكل جيد، قلت: «أنا آسفة، لقد كنت مشتّة كثيّراً، بالطبع أستطيع مساعدتك».

أتى أحمد من المطبخ حاملاً طبقاً كبيراً من الناتشوز بإحدى يديه، ثم صاح لإيفي: «إلى السطح».

تنهدت بهدوء من دون أن تنطر إلى: «أحمد قادم للإنقاذ.. مرة أخرى».

احمرّ وجهي بالكامل، المشكّلة الحقيقية عندما تكون دائمًا واقعًا في المشاكل هي أنك تنسى حقيقة أن غيرك من الناس ربما يعانون من أوقات صعبة هم أيضًا، فأدّي على سبيل المثال عانت من صيف أسوأ بكثير من صيفي، ولكنها استطاعت السيطرة على نفسها ولم تتشتت في العمل. لقد تقاسمت الإكراميات مع كل من إيفي وأحمد طيلة أشهر، مع أنني بالتأكيد لم أكن أستحقها. قلت في الوقت الذي عادت فيه إيفي العمل على صندوق المحاسبة: «أنا آسفة يا إيفي، أدين لك بواحدة، بل بالكثير، أعدك أنني سأصبح أفضل».

أخيرًا، فتح درج صندوق المحاسبة، وأخذت إيفي بعض الفكة قبل أن تغلّقه بعنف مجدّدًا، وقالت: «لا بأس فيّ، فقط استغلي بعض الوقت لتفكيري بمن حولك، حسناً؟». ثم ابتسّمت ابتسامتها الرائعة مجدّدًا، ولوّحت لطاولة خلفنا. يا ليتني كنت أستطيع الدفاع عن نفسي، ولكنني شعرت مؤخّراً أنني لم أفعل شيئاً سوى التفكير بمن حولي من الناس، ولكن الحقيقة أنني لم أفكّر في إيفي، وعلى الأرجح ربما كنت أفكّر في كيفية الاستمرار بالكذب عليهم.

في تلك الأثناء خرج نوكس من بهو الحمامات، فحاولت السيطرة على رغبتي بالسفر، لم تتحدث مجدّدًا منذ تلك الليلة في غرفته، وهذا ما أشعرني باليأس، وعلى الأغلب لست الوحيدة التي تشعر بهذه الطريقة.

استغلي بعض الوقت لتفكيري بمن حولك.

ناديتها: «مرحباً».

قال نوكس بحذر: «أهلاً».

والآن ماذا؟ هناك الكثير من الأشياء التي أودّ اطلاعه عليها، ولكن كثيرة هي الأمور التي تشغّل بالي، لذلك لم أقل له سوى: «أنا... أردت أن أقول لك وداعاً».

آه.. ذلك أفضل من الخروج كالحمقاء وكأنه لم يرني. ولكن ذلك ما زال غير كافٍ.

سألني نوكس: «هل ستغادران؟».

«أجل، سأمضي بعض الوقت مع إيماء».

قال نوكس: «أوه، أجل بالطبع». ثم عمّ الصمت، وكأننا ثنائي جرى ترتيب لقاء لنا من دون أن يكون لدينا قواسم مشتركة.

قلت بعفوية: «أنا أكره هذا».

وقال نوكس: «وأنا أيضًا». أتساءل إذا كنّا نتحدث عن الشيء نفسه الذي نكرهه، فكثيرة هي الأشياء المكرروحة التي يمكننا الاختيار منها.

قبل أن أسأله رنّ هاتفي في جيبي، إنها نغمة الرسائل المميزة لإيماء. قبل أن تعود إلى بيفيو كان يستحيل أن يتمكّن الشخص من الاتصال بها، لذلك لم أرغب بأن أفوّت أي رسالة منها.

سيكون صعباً عدم الانتباه إلى تلك الرسالة حتى من دون ذلك الصوت المرتفع.

كتبت لي: عودي إلى المنزل فوراً!

بالكاد وضعت المفتاح في القفل حتى فتحت إيماء الباب وسحبّتني إلى الداخل قائلة: «لماذا تأخرت؟». قلت وأنا أتعثر بالعقبة: «ما مشكلتك؟».

قالت إيماء بصوت واهن وهي تغلق الباب خلفنا: «لقد استغرقت وقتاً طويلاً».

«لقد استغرقت عشر دقائق، وهذا هو الوقت الذي يستغرقه الوصول. أنا أعرف ذلك جيداً، لأن أي تأخير وإن كان قليلاً سيعني أنني سأتلقى مكالمة غاضبة من والدتنا». وضعت مفاتيحي وحقيبتي في زاوية المطبخ، ووضعت

يدي على خصري وأنا أنظر إلى اختي باحثة عن أي تفسير في تعابيرها، قلت: «لماذا كل هذا الاستعجال؟ هل أنت غاضبة مني لسبب ما؟».

قالت إيماء: «منك؟ لا».

تسارعت نبضات قلبي: «إدأ من من؟».

عضرت إيماء شفتها قائلة: «حسنا أنا.. كنت وحدي الليلة، وفُكرت في أن هذه فرصة مناسبة لأفتش أغراض أوين، من باب الاطمئنان عليه، والتأكد من أنه لم يكن يتحدث مع أناس لا يفترض به أن يتحدث إليهم، لذلك حاولت البحث في حاسوبه، ولكن لم يكن هناك أي سجل بحث على متصفحه...».

رفعت يدي مقاطعة: «لو سألتني كنت سأخبرك وأوفر عليك عناء البحث، بالطبع هذه من حركات التطفل الطبيعية القلقة التي قد تقوم بها الأخت الكبرى، ولكن أوين يمسح سجل البحث باستمرار».

توقعـت منها أن تصبح دفاعـية، ولكن بدلاً من ذلك قالت: «أعرف ذلك، أنا آسفة».

أوه، كلا هذا أمر يدعـو إلى القلق فظهور إيماء النادمة التي تعترـف بأخطـائـها لا يمكن أن يدلـ على شيء جـيد، سـأـلـتها: «وـ؟».

«بعـدهـاـ تـفـحـصـتـ غـرـفـةـ أوـينـ،ـ لمـ يـأـخـذـ مـعـهـ حـقـيـقـةـ ظـهـرـهـ اللـيـلـةـ...ـ».

قاطـعـتهاـ مـتـفـاجـئـةـ:ـ «ـحـقـ؟ـ»ـ.ـ لأنـهـ يـمـكـنـ القـوـلـ إنـ ذـلـكـ الشـيـءـ مـخـيـطـ علىـ ظـهـرـهـ طـوـالـ الـوقـتـ.

«ـأـجـلـ،ـ لـقـدـ ظـهـرـتـ وـالـدـةـ بـيـنـ فـيـ وـقـتـ مـاـ كـانـ مـتـوـقـعـاـ،ـ لـذـلـكـ سـارـ كـلـ شـيـءـ بـسـرـعـةـ وـبـطـرـيـقـةـ غـيرـ مـنـظـمـةـ،ـ أـيـاـ يـكـنـ..ـ»ـ.ـ ثـمـ ذـهـبـتـ إـيمـاءـ إـلـىـ خـلـفـ الطـاـوـلـةـ وـانـحـنـتـ رـافـعـةـ حـقـيـقـيـتـهـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ قـائـلـةـ:ـ «ـلـقـدـ بـحـثـتـ فـيـهاـ قـطـعـةـ تـلـوـ الـأـخـرـىـ،ـ وـعـنـدـمـاـ كـنـتـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ أـتـهـيـ وـأـنـ أـشـعـرـ أـنـنـيـ أـسـوـأـ أـخـتـ فـيـ الـعـالـمـ لـأـنـنـيـ لـمـ أـجـدـ شـيـئـاـ غـيرـ طـبـيـعـيـ..ـ وـجـدـتـ هـذـهـ،ـ مـحـشـوـرـةـ فـيـ الـأـسـفـلـ فـيـ أـحـدـ الـجـيـوـبـ»ـ.

لا أـرـيدـ أـنـ أـعـرـفـ،ـ أـنـ مـتـأـكـدـةـ مـئـةـ بـالـمـئـةـ مـنـ أـنـنـيـ لـأـرـغـبـ فـيـ مـعـرـفـةـ الشـيـءـ الـذـيـ وـجـدـتـهـ أـخـتـيـ فـيـ حـقـيـقـيـتـهـ أوـينـ،ـ وـلـكـنـهـ تـسـحـبـهـ وـتـرـفـعـهـ نـحـوـ الـأـعـلـىـ:ـ «ـفـيـبـيـ..ـ أـلـيـسـتـ هـذـهـ..ـ أـعـنـيـ..ـ هـلـ هـذـهـ قـلـادـةـ رـيـجـيـ كـرـاـولـيـ؟ـ»ـ.

شعرت بنبضات قلبي تتسرع وتشتد، وشعرت بها في أعلى رقبتي وأنا
أنظر إلى تلك القلادة المألوفة في يدها، نفس الجلد ونفس الخرزات الفضية
الثلاث التي لمعت خلال آخر مرة تحدثت إليه في غرفته، قلت وأنا أقلبها في
يدي: «أجل، إنها قلادته».

الفصل التاسع والعشرون

نٰيٰت

الأحد، 19 تموز

سألت سانا: «لنصّوت، هل الجميع موافقون؟».

بالكاد رفعت أنا وزملائي في السكن أيدينا، بدوننا كمجموعة تعبه وبائسة، حتى ستان الذي يتسع في نهاية الطاولة وحده لم يتحرك. قالت سانا: «حسناً، ليس هناك من معارض، سنؤجل حالياً فكرة تأجير غرفة ريجي حتى نهاية شهر أيلول». وضعت يديها على الطاولة وهي تقول: «تذكروا جميعاً، عليكم دفع مئة وخمسين دولاراً إضافياً عن شهر آب».

قال جيهاو: «نعرف ذلك». لم يكن أحد مسؤولاً بذلك، ولكن الخيار البديل هو الكثير من الناس الذين يدخلون ويخرجن طوال النهار من المنزل من دون أي نية لاستئجار الغرفة حقاً، وهذا أسوأ بعشرين المرات.

لا يزال جيك ريوارдан مفقوداً، لقد أصبح حديث كل من يعيش في بايفيو، أين هو الآن؟ وهل لاختفائه علاقة بما حصل لريجي؟ لقد انقسمت آراء الناس: قسم يقول إن جيك ريوارдан هرب، في حين حين يقول قسم آخر إن خطيباً ما حدث له، ولكن في الحالتين هناك نوع من المطاردة الحاصلة. رغم ذلك وحتى هذه اللحظة ليس هناك أي إشارة منه، وقد ظهر السيد ريوارдан البارحة على جميع المحطات والأخبار المحلية يخبر الصحفيين أن جيك كان متوفياً جدّاً بشأن محاكمته الجديدة، ومن المستحيل أن يهرب.

قالت سانا بصوت في الوقت الذي وقفت فيه: «هناك أمر آخر.. سياتي والدا ريجي لأخذ أغراضه غداً، لذلك كونوا جاهزين، ربما يستغرق ذلك وقتاً طويلاً».

سألتها: «هل هناك أي أخبار عن قلادته؟». ثم مددت يدي حتى يستطيع ستان الزحف على ذراعي، اتجه نحوه، ولكنه توقف واستسلم بعد عدة خطوات، كلما كبر في العمر أصبح تحركه أصعب إلا إذا رشّوته ببعض الطعام.

هزّت سانا رأسها نافية، ثم جمعت تنورتها الفضفاضة خلال توجهها إلى الممر وقالت: «ليس بعد، ولكن لا بدّ أن تظهر في النهاية».

غادر الجميع - سانا وكريستال وجيهاو وديكين - ولم يعد في المطبخ أحد سواي لي رد على جرس الباب، جهزت نفسي لاحتمال أن يكون والدا ريجي قررا المجيء أبكر من الوقت المتفق عليه، ولكن عندما فتحت الباب، رأيت والدي.

قلت وأنا أخطو إلى الخلف لأفسح له المجال ليدخل: «أهلاً، لم أعلم أنك ستأتي».

قال والدي: «أجل أنا آسف، كنت سأتصل بك ولكن...». توقف والدي تدريجياً عن الكلام وهو يجول بعينيه في الغرفة الفارغة، وسألني: «هل أنت بمفردك في المنزل؟».

قلت وأنا ألّوح بيدي: «كلا، الجميع هنا.. إنهم فقط في أماكن متفرقة».

سألني والدي: «هل هناك مكان أستطيع فيه التحدث فيه إليك على انفراد؟ ربما نستطيع التحدث في غرفتك؟».

أوه يا إلهي.. ها هي ذا.. لا أريد أن أعرف ما الشيء الخاطئ الذي حدث مجدداً، ولكنني أستطيع أن أعرف أن هذا هو هدوء ما قبل العاصفة، قلت: «بالطبع دعني أحضر ستان فقط». ثم فكرت سيكرون كل شيء بخير، أحمل ستان وأصعد إلى الطابق العلوي ويتبعني والدي، أيّاً يكن ما حدث، فلن أكون على حال أسوأ مما كنت عليه قبل عامين.

لكن ماذا لو حصل ذلك؟ عاود والدي ارتداء ملابس بالكاد تلائمه مجدداً لأنها كل ما يملكه، فقد خسر كثيراً من الوزن، هل هو مريض؟ لقد أرتهن مايف صورة لها عندما كانت طفلة مصابة باللوكيميا، وبالكاد استطاعت التعرف إليها، ليس لأنها فقدت شعرها، بل لأنها كانت نحيفة وهشة جدّاً وبدا وكأن القليل من

الرياح كفيلة بقسمها إلى قسمين. سؤلمني إن كان والدي يعاني من مشكلة صحية بعد أن تمكن أخيراً من التغلب على مشاكله.

قال والدي وهو يتلفت حوله: «هذه هي غرفتك». أعتقد أنني كنت أستطيع أن أخذه بجولة في غرفتي فيما مضى، ولكن لم يخطر على بالي أبداً أنه يرغب برؤيتها، فهي صغيرة المساحة ومظلمة وملئية بالأثاث المستعمل وملصقات أفلام الرعب، البقعة الوحيدة المضيئة في الغرفة هي الأشياء التي أعطتني إياها برونونين مثل مصباح المكتب الأنتيكا مع زجاجة تعطي ظلاً أخضر انتقته لي عندما زارت المنزل للمرة الأولى في الصيف، قال والدي: «تبعد جيدة».

قلت وأنا أضع سтан في مكانه: «لا بأس بها». ثم أجلس على طرف سريري حتى يتمكن والدي من الجلوس على كرسي المكتب: «ماذا الأمر؟».

جلس بحذر كما يخشى أن يُحطم الكرسي: «حسناً، لا أعرف ماذا أقول...».

قاطعته قائلاً: «قل ما لديك».

لم أرغب في أن أبدو أحمق وسيأً على هذا النحو، ولكن الكلام خرج من فمي بهذه الطريقة. لقد جعلتني السنوات العشر الأخيرة من الإحباط والخذلان أقول ذلك من دون تفكير، وربما كنت لأقول فقط أخبرني ما الذي فعلته هذه المرة؟

نكس والدي رأسه واحمر وجهه وتمتم: «أنت دائمًا تتوقع أسوأ الأفعال مني».

كنت على وشك قول هل تستطيع لومي على ذلك؟ ولكنني أمسك نفسي في الوقت المناسب، لا أستطيع أن أهجم على شخص يوشك على قول أخبار سيئة، فقلت بدلًا من ذلك: «أنا آسف».

قال: «لا داعي للأسف.. أنا آسف، ما كان يجدر بي بـدء الحديث بهذه الطريقة». ثم ازدرد لعابه، وتمنيت لو أستطيع تسريع الأحداث لأعرف ما الذي يوشك على قوله، فالانتظار والتوقع هما الأسوأ، أخيراً قال: «الأمر هو.. هل تتذكر عُمّي بيت؟ الذي يعيش في تاكوما؟».

حدّقت إليه: «ماذا؟». من بين كل الأمور التي فكرت بها بالتأكيد تلك لم تكن افتتاحية الحديث التي توقّعتها، قلت: «ليس تماماً». جدّاي ميتان، وتوقف

سائر أفراد عائلته عن التحدث إليه منذ زمن طويل مضى.

أكمل والدي وهو يحرك الرباط الذي يطوق معصمه: «حسناً لقد تواصل معي عندما خرجت من مركز إعادة التأهيل، تعلم.. سبق لبيت أن عانى هو الآخر مشاكل كثيرة مع الإدمان، لذلك كان عوّنا كبيراً لي خلال الأشهر الماضية».

على عكسي غالباً، قلت: «ذلك جيد.. سعيد لأن هناك شخصاً يدعمك».

«حسناً.. لن يدعمني بعد الآن، لقد توفي بيت منذ أسابيع».

حذّقت إليه: «يا إلهي، أبي!». أعرف أننا لا نتحدث كثيراً وأنني لم أقابل عمه.. ولكنني قلت: «لماذا لم تخبرني؟».

«أردت إخبارك.. ولكن الأمر معقد، فقد تبين أن بيت ترك لي أرضاً، كانت والدتك تساعدني في الإجراءات والمعاملات القانونية، ولكن مختصر القصة هو أن بعض المستثمرين يريدون شراء الأرض وسكنوّن قادرین على بيعها». ثم ترك الرباط الذي يطوق معصمه وقال: «عندما ينتهي كل شيء سنحصل على مئتي ألف دولار».

أنظر إليه عاجزاً عن استيعاب ما قاله: «اللعنة..». لم يحصل وأن امتلكت عائلتنا أي مبلغ قريب من هذا، ومنذ فترة قريبة كنت عاجزاً على دفع فاتورة تسعمنة دولار لسيارة الإسعاف، سأله: «هل أنت جاد؟».

ضحك أبي: «صدقني، لقد كنت مصعوقاً مثلك عندما سمعت الخبر للمرة الأولى، لم أكن أعرف أن بيت يمتلك أي عقارات، فلم يخبرني بذلك. انتظرت فترة حتى أخبرك، وأردت أن أتأكد من أن كل شيء كان حقيقياً، وقد اتضح أنه كذلك حقاً، ونيت...». وضع يده على لحيته الرمادية قائلاً: «بمجرد أن ينتهي كل شيء سأعطيك نصف المبلغ».

«أنت... ت يريد أن تعطيني مئة ألف دولار؟». سمعت تلك العبارة التي بدت مجرد خيالات وأوهام تخرج من فمي، فامتلاك ألف دولار الآن يعتبر شيئاً أكثر من جيد، ولكن مئة ألف.. هذا أمر غير حقيقي، إنه مجرد حلم وسأشعر بالإحباط عندما أستيقظ منه وأجد نفسي مضطراً للعمل لأحصل على مئة وخمسين دولاراً إضافياً لتعطية حصتي من بدل إيجار ريجي للشهر القادم. أقرص ذراعي لأتأكد من أنني لا أحلم، ولكنها هو أبي يجلس مقابلني على كرسي المكتب وأرى وجهه يُشرق بابتسامة خفيفة.

قال والدي: «حسناً لن أعطيك المئة ألف دفعة واحدة. فلا يزال علينا إنهاء معاملات الضرائب وغيرها من الإجراءات. أملك أذكى مني بكثير عندما يتعلق الأمر بهذه الأشياء، ولكننا نحاول اكتشاف ما علينا فعله، كل ما في الأمر يا نيت... أنك لم تحظ بطفولة جيدة أبداً بسبينا أنا وأمك، ولم نساعدك في تأمين المستقبل الذي تعيشه الآن. لقد فعلت كل هذا بنفسك». وأشار إلى غرفتي السيئة وكأنه يعتبرها نوعاً من الإنجاز، وتتابع: «لوحدك تماماً، لذلك إذا حصلت هذه العائلة على بعض الحظ فجأة، فيجب أن تحصل أنت عليه». حكَ ذقنه مجدداً قبل أن يتتابع: «لقد أردت أن أعطيك كل شيء، ولكن والدتك أقنعتني أنك ستحاول إعادة المال لي، وهي على الأغلب محققة بذلك، أنت قلق جداً علينا، لذلك سأهتم بنفسي، ربما سأحصل على بعض التدريب للعمل، أو سأدفع للمنزل، أما أنت فاستمتع بحصتك من المال، أريدك أن تستمتع حقاً به حسناً؟ أعرف جيداً أنك ستتعامل بذكاء مع هذا المال، ولكنني أريدك أن تحظى ببعض المرح أيضاً».

رددت بغير وعي: «بعض المرح». هذه ليست الكلمات المناسبة تماماً في وضع كهذا، ولكنني لا أستطيع التفكير في أي شيء آخر، لا أستطيع أن أستوعب ما قاله والدي.

قال والدي مبتسمًا: «سيستغرق الأمر عدة شهور قبل أن يتم كل شيء، لذلك لا تصرف أي شيء الآن، ولكنني أعدك أن المبلغ قادم على الطريق، تستطيع أن تعتمد على في هذا، حسناً؟ حتى أنتي أعددت وصية في حال حدث أي شيء لي في لحظة ما». حدقَت إليه من دون أن أجد أي كلام مناسب لأقوله، خبت ابتسامته قليلاً: «أنت لا تصدقني أليس كذلك؟».

«أنا.. يا الهي ماكولي.. قل شيئاً.. أي شيء..

قال والدي وهو يقف: «عليك أن تمنح نفسك بعض الوقت لتفكير في كل ما قلته لك، أعرف أن ما قلته صدمك.. أعرف ذلك جيداً.. لذلك خذ وقتك...».

لم يستطع متابعة كلامه، لأنني اندفعت إليه واحتضنته بقوة لدرجة أنه لم يعد قادرًا على التنفس، خلال السنوات العشر الأخيرة يمكن القول إنني بالكاد لمست والدي ما لم أكن أحاول سحبه عن الأريكة لسبب ما، أنا لا أحضنه بسبب المال، مع أن الأمر يبدو كذلك، ولكن السبب الحقيقي هو أنه إذا كان يفعل ذلك - أي يخطط ليس فقط لمستقبلِي بل لمستقبله أيضًا - فهذا يعني أنه حقاً يحقق تقدماً ملحوظاً.

في النهاية يبدو أن بعض الأشياء تتغير حقّاً، لقد كنت قادرًا على التغيير وكذلك والدتي، فلماذا لا يقدر هو؟

أخيرًا، ربت والدي ظهري حتى أتركه فقلت بصوت مختنق قليلاً، مفعم بالمشاعر: «شكراً». أعلم أن تلك الكلمة غير كافية ولكنها كل ما أستطيع قوله حالياً.

قال: «على الرحب، سأذهب الآن، ولكن.. ربما بإمكاننا أن نحضر مباراة كرة معاً؟ ليلة ما؟ أعلم أنك لست معجباً كبيراً بفريق بادريز ولكن ربما..».

قاطعته: «صحيح، ولكننا نستطيع مشاهدة المباراة، يبدو ذلك جيداً». ربما في النهاية سيسنن لي أن أشاهد بعضًا منها أيضًا.

بطريقة ما استطعت أن أبقي الحديث مستمراً بينما أتبعه إلى الأسفل، رغم أن أفكاري أصبحت أبعد بأميال عن هذه اللحظة، حينها يقول: «أراك قريباً». ثم أغلق الباب خلفه وعدت وحدي.

إذاً هذا.. هذا هو الخطاب، فهو لم يكن ينهر مجدداً أو يعاني من مرض مميت، بل لديه كدسة كبيرة من الأموال ما يعني أنه لا يحتاج إلى عيش حياته على الحافة، ولا أنا أيضًا.

يمكنني... أن أنهى سنوات الكلية الأربع، والانتقال إلى شقة أفضل، وسأتمكن من زيارة برونوين في الوقت الذي تدرس فيه في بيل، وأشتري منزلًا قديماً ما وأجدده بحسب ذوقى، الفضل كل الفضل لما تعلمته من السيد مايرز، أو ربما لا أفعل أيّاً من ذلك - باستثناء زيارة برونوين طبعاً - ولكن الآن أفكّر بذلك بما أنتي أستطيع حقاً فعله.

صدحت نغمة هاتفي، وأكاد لا أمانع مقدار السعادة والفرح الذي تضج به تلك الأغنية، إنها تناسب مزاجي الحالي تماماً، تمنيت أن تكون برونوين هي المتصل، لأنها لن تصدق ما حصل لليتو.

ولكنها لم تكن هي، ظهر اسم فانيسا على الشاشة، وقبل أن أتمكن من قول أي شيء شرعت تقول: «من الأفضل أن تكون في منزلك الآن، لأنني على وشك الوصول».

قلت وأنا أفرك صدغي: «أنا.. أجل في المنزل، ما الذي حدث؟».

قالت: «لقد جئت لليتو من منزل آل ريووردان».

قالت فانيسا وهي تجلس براحة على إحدى الأرائك: «أنت تدين لي واحدة يا ماكولي». لا تبدو تلك الأريكة ملائمة أبداً بلونها البني الباهت لفانيسا التي تجلس عليها بفستانها الأبيض اللامع وصندلها الفضي، قالت: «تدرين لي بشدة». ثم نظرت باستغراب إلى ستان الذي يجلس إلى جانبها: «أوه ما هذا؟».

قلت وأنا أجلس إلى جانبها: «يصعب الشرح». ما زلت أشعر بأعصابي غير مستقرة بعد تحدي إلى والدي، مئة ألف دولار، أستطيع أنأشتري أريكة جديدة بدلاً من قطعة الخردة هذه التي حصلنا عليها بالمجان من كريغزليست، كم ستكلف الأريكة؟ كلا انس الأمر، لا أستطيع أن أهدر أموالي على هذا المنزل، أشعر بحاجة داخلية ملحة لأخبر فانيسا عما حصل مؤخراً، أريد أن أخبر أحداً ولكن من المحال أن أخبرها قبل برونوين. أقول لنفسي ركز الآن يا نيت، سألهما: «ما الذي أدين لك به؟».

قالت فانيسا: «حسناً.. لقد مررت إلى بيت آل ريوordan منذ بضع ساعات وأخذت معي غاليت منزلي الصنع...».

قاطعتها: «ما هو الغاليت؟». اسمه أشبه بأسماء الأسلحة.

«إنه نوع من المعجنات الفرنسية، تشكل التورته بالطريقة التي ترغبهَا، لقد صنعتها باستخدام فاكهة من فناء منزلنا». قالت عندما لاحظت الاستغراب بادياً على وجهي: «ماذا؟ إبني لا أستطيع أن أطبخ؟ في أي حال في البدء، لم يجب أحد عندما رنت الجرس مراياً وتكراراً، لذلك صحت أنني فانيسا وأنني أحضرت بعض الطعام وأتمنى أن يكون الجميع بخير... عندها فتحت السيدة Riorordan، فأعطيتها الغاليت وسألتها عن أحوالها هي والسيد Riorordan. قالت إنهم كانوا يتذمرون هنا وهناك، وأن السيد Riorordan في العمل الآن، لذلك سألتها ولكن هل يذهب إلى العمل يوم الأحد؟ فأخبرتني حينها أنه دائمًا يعمل في أيام العطل».

قلت: «أجل إله يفعل ذلك» وأنا أعرف ذلك لأنني سمعت هذه العبارة آلاف المرات من لسان السيدة Riorordan في النادي.

«ما قصدته حقاً بهذا السؤال هو لماذا يعمل زوجك بحق السماء في حين أن ابنكما ضائع؟ ولكن أجبت عن ذلك، لقد قالت إنهم يحاولان بذل جهدهما في الالتزام بروتينهما اليومي، وقد قلت لها حقاً لا بد أنه من الصعب عليك أن تبقي هنا لوحدك منتظرةً الأخبار، وحينها دعنتي لأدخل».

حسناً هذا رائع.. لقد تمكنت فانيسا ميريمان من شق طريقها للفوز،
أعترف: «أنا معجب بمهاراتك حقاً».

قالت فانيسا: «لقد كانت ضعيفة جداً، وكانت قد احتست كثيراً من الكحول، لذلك.. يمكن القول إنني حفّرت حدوث ذلك فقط، تعلم كيف يحدث الأمر. سكبت لي ولها كأسين من النبيذ، ولكنني لم أشرب كأساً، تحدثنا عن جيك، وأنا متأكدة مئة بالمئة من أن السيدة ريورдан ليس لديها أي فكرة عن مكانه أو عما حدث له، إنها منهارة. لقد تحدثت مراً ومتكرراً عن كيف خذلت جيك، وكيف لم تكن هي والسيد ريورдан قدوة جيدة له، ثم وبعد أن شربت ثلاث كؤوس من النبيذ أخبرتني أخيراً».

توقفت فانيسا قليلاً، أستطيع أن أرى بوضوح أنها تستمتع حقاً بهذا السرد الدرامي للأحداث، ولكنها تستحق ذلك، لذلك جاريتها: «أخبرتك بماذا؟».

«أنها خانت زوجها مع ألكسندر ألتون». ثم تابعت وهي ترفع سوارها إلى الأعلى: «إن القصة أعمق مما نتصور، لقد التقته للمرة الأولى بعد أن تخرجت من الكلية، عندما كان منفصلاً عن زوجته، لقد كان أكبر منها بحوالى عشر سنوات، وقد تبّعها به تماماً، استمرت علاقتها قرابة السنة، ولكنه فطر قلبها عندما قرر أن يعطي زوجته فرصة ثانية، كان أولاده صغاراً، لذلك شعر بأن عليه فعل ذلك من أجلهم». نظرت فانيسا بلا مبالاة: «لا أعرف حقاً ربما كان يستطيع التفكير بزوجته التي أنجبت أولئك الأطفال أيضاً، ولكن أياً يكن الرجال فهم خنازير».

سألتها: «ولكن هناك صلة حديثة أليس كذلك؟».

أجابت: «دعنا نأمل ذلك، على الأقل من أجل برونوين، ولكن يبدو وبكل صراحة أن علاقتها بالسيد ريورдан كانت مجرد ردة فعل مباشر على ما حدث، لأنها تزوجته بسرعة رهيبة بعدها ولم تتحدث أو ترى ألكسندر ألتون طيلة سنوات، إلى أن التقته عندما عملت معه في شركة كونراد وأولسن وقد كان جيك حينها في المدرسة الإعدادية، تستطيع أن تتوقع ما الذي حدث حينها أليس كذلك؟». ها هي ذا وقفه سينمائية درامية أخرى ثم تتبع بطريقة الأفلام: «لقد وقع كلّ منهما مجدداً في حب الآخر، وهذه المرة قالت السيدة ريوردان إن ألكسندر كان جدياً بشأن إنتهاء زواجه وكانت هي الأخرى مستعدة لإنها زواجهما، ولكن بعدها وبينما كانت في المكسيك لأجل بعض الأعمال علمت أنه مات غرقاً».

قالت: «بشكل غامض».

قالت فانيسا وهي تبتعد عدة سنتيمترات لليسار محاولةً الابتعاد عن ستان الذي زحف على الأريكة على الرغم من أنه لا جدوى من ذلك فسينتهي بها الأمر بتبدل الأريكة التي تجلس عليها: «أجل لقد عانت من انهيار عصبي بعدها، وشعرت بالأسف عليها، أعني بالطبع فكرة خيانتها لزوجها ليست مشرفة، ولكن بدا كما لو أنها انتظرت ذلك الرجل بشغف لسنوات، حتى بعد أن مات لا تزال تقول وتكرر لقد أحببته كثيراً، كُلّا سبني حياة جميلة معاً، كان يفترض به أن يكون حبل نجاتي».

سألتها: «نحاتها مِمّ؟ من بایفيو؟».

قالت فانيسا: «لقد طرحت عليها السؤال نفسه، وأجابت من زواجي».

الفصل الثالثون

أدي

الاثنين، 20 تموز

لا يمكنني التوقف عن مشاهدة الأخبار.

«الآن هناك مراهق مقتول وأخر مختفي؛ وهو سيء الذكر جيك ريوردان الذي ساعد سايمون كيليهير على تلفيق التهمة للطلاب الأربع في باييفيو...». ها هي ذا مقدمة الأخبار ليز روزن من القناة السابعة تقدم الأخبار بأنفاس متقطعة وكأن عدم توافر أي معلومات جديدة في آخر أربع وعشرين ساعة يعتبر خبراً حقيقياً. أضافت: «اليوم تجلس البلدة بأكملها على حافة الهاوية.. متسائلة ما التالي، و...».

اختفت ليز عن شاشة التلفاز التي تحول لونها إلى الأسود، فقلت وأنا أدير رأسني باتجاه أمي التي تمسك بيدها جهاز التحكم: «أمي.. لقد كنت أشاهد التلفاز».

قالت والدتي: «وأنا أعتراض على مشاهدتك... هذا غير جيد لصحتك يا أدي، إذا حدث شيء مهم سنسمع به من إلي».

تذمرت قائلة: «لن يخبرنا إلي بهذه السرعة». على الرغم من أن سماعي أخبار جيك من المحقق ميندوزا ليس غلطة زوج أختي، وصلتني عدة

رسائل صوتية من إلى المذعور عندما كنت في المحطة مع الشرطي، لذلك يمكن القول إنه لم يتاخر كثيراً.

قالت والدتي: «أريدك أن تعيديني». ثم انحنت بحذر شديد في كرسيها لتواجهني، فستانها الأخضر الليموني الضيق الملائم لجسدها تماماً بيده رائعاً ولكنه لم يصنع لغرض الجلوس، وأضافت: «لا تذهبي وتركضي في أرجاء المدينة كما فعلت بعد أن مات سايمون، وتصعين نفسك بمواجهة جيك، دعي الشرطة تؤدي عملها».

«حَفَّاً أَمِي؟ وَمَتَى أَدْتَ شَرْطَةً بَايْفِيُوْ عَمَلَهَا؟».«

تجاهلت والدتي وضوح ما قلت: «ستغادرین إلى بيرو الجمعة القادمة يا أدي، إذا بقيت في المنزل حتى ذلك الحين...».

قاطعتها: «لن أحجز نفسي في المنزل طيلة أحد عشر يوماً». مع أنني فكرت بهذا الاحتمال، ولكن لسبب ما لا يهمني الشيء الذي تقرره والدتي فأنا أحد نفسي دائمًا أرغم بمعارضة اقتراحها والقيام بعكسه.

قالت والدتي: « علينا أن نحتاط من ذلك المتوجّش ». أوحّت نظرتي بشيء من التهكم لأنّها زمّت شفتيها وسألتني: « ماذا الآن ؟ لماذا تنظرّين بهذه الطريقة ؟ ».

تممت: «لا شيء». ولكنني فجأة شعرت بالتعب لأنني لا أبوج بمكوناتي. لذا قلت: «أعني.. بالتأكيد إنه وحش الآن، ولكن لم يكن كذلك دائمًا، أليس كذلك؟». احمررت وجنتا والدتي وأنا أتابع كلامي: «نحن نحكم على الشخصيات بطريقة سيئة جدًا أليس كذلك؟ لقد سبق لنا أن طلبنا أنه أعظم شاب، وشعرنا بالسعادة لأنني كنت محظوظة بما فيه الكفاية ليختارني، وعلى دائمًا أن أرافق خطواتي وأفعالي حتى لا يكتشف أبدًا أنني لست جيدة بما يكفي له، كانت أشتون هي الوحيدة التي رأت حقيقة معدنه، ولكننا لم نصغ إليها». لم أجد القدرة على قول باقي ما أردت قوله: وعندما أقول نحن، أنا أعني أنت يا أمي، لأنه كيف يفترض بي أن أعرف ذلك؟ لقد كنت مجرد طفلة.

توقعت أن تتمتم بعد الكلمات غير الواضحة قبل أن تمضي في طريقها وتجلب أقرب زجاجة نبيذ، لأن هذا ما تفعله في العادة عندما لا تعجبها المحادثة، ولكن بدلاً من ذلك ملست خطأً مجمعًا في فستانها وقالت: «أعرف أني خذلتكم يا أدي». لم أتوقع ما قالته، لدرجة أني بحلقت إليها بوضوح وهي تتبع: «الأمر هو.. إنني لم أكن جيدة أبدًا في البقاء لوحدي، ولم أذق طعم السعادة خلال طفولتك، ظننت أن سبب ذلك هو فشل الأمور بيني وبين

والدك، ثم يبني وبين توري، ظنت أنك إذا تمكنتما أنت وأشتون من تجنب أخطائي – أي إيجاد الشخص المناسب وبناء حياة رائعة معه – حينها ستعيشان حياة جيدة أفضل بكثير من التي عشتها، ولكن الأمور لم تسر بهذه الطريقة، أليس كذلك؟».

قلت: «ذلك أقل ما يقال على ما أظن».

قالت والدتي: «لقد اكتشفت أشتون كل شيء أولاً، لم أصدق الأمر عندما تركت تشارلي، ظنت أنها استسلمت وأنها تريدك أن تفعلي مثلها، ولكن تبيّن أنها كانت ذكية جدًا، أليس كذلك؟ وشديدة القوة أيضًا، وكذلك أنت يا أدي».

قلت: «أوه». متفاجئة بذلك الخطاب الفصيح الذي أسمعه للمرة الأولى منها على ما أظن.

«لقد كرهت جيك لأنك جعلك تعاني، ولكنني كرهت أكثر لأنه بدل مشاعرك تجاهي، وأنا اعتذر كثيّرًا لأنني تركت ذلك يحدث». تنتهي من تمليس التجاعيد الموجودة على فستانها لذلك تبدأ بتصحيح تجاعيد الوسادة التي بجانبها قائلة: «أعرف أنني لم أكن خير أم بالنسبة إليك، أليس كذلك؟».

قلت: «على الأقل كنت هنا». ثم أتابع عندما أجد أمي تمسك صحفكتها غير المصدقة: «أنا أتحدث بجدية، لم يكن والدي هنا، لقد نسينا تماماً عندما التقى بكورتي، ولا يستطيع أي شخص أن يقول إنك لم تكوني هنا على الأقل». أذكر والدتي عندما كانت تمثّل لي شعري قبل مسابقة الملكة، تفصل حُصله بحذر شديد، ثم تصففها بشكل أمواج ناعمة، أذكر وجهها عندما كانت تنظر وتعبس بتركيز في المرأة، وأحبيت حينها أن كل ذلك التركيز كان عليّ أنا.

ربما لم أحصل على الاهتمام الصحيح منها دائمًا، ولكنها كانت بجانبي وقتها، وما زالت الآن، مع أنني كنت أعاملها بطريقة جافة وبعيدة كشريك سكن مزعج منذ اللحظة التي انتقلت فيها مجددًا إلى هنا.

قالت أمي: «حسناً، كنت لتصبحي أسوأ مما أنت عليه على ما أظن، لأنك نضجت وتحولت الآن إلى شابة رائعة لا مثيل لها، أتمنى أن تعرفي ذلك جيدًا يا أدي».

ربما هذه هي اللحظة التي علينا فيها أن نتعانق، ولكن نساء عائلتي لا يجدن العناق، حتى عندما نحاول أنا وأشتون العناق فإن كل ما نفعله هو

الاصطدام ببعضنا بطريقة غير مريحة. ولكن قبل أن أتمكن من تجربة عناقها، وضعت أمري خصلة من شعرى خلف أذني وقالت: «ولكنني أتمنى لو تعيدين شعرك إلى لونه القديم، لقد كان شعرك دائمًا أجمل ما يميزك».

مع أن مثل هذا التعليق كان يزعجني في العادة، ولكنني شعرت بالراحة عندما سمعته الآن، فكّرت أن والدتي لم تتغير كثيراً بكل تلك السرعة، لذلك بدلاً من الانتفاض في وجهها وقول إنني أحب شعرى كما هو، قلت: «ستكونين جدة رائعة».

بطريقة ما تمكنت من الجمع بين تعابير السعادة والتکشير في اللحظة نفسها، سألتني: «كيف بحق السماء وصلت إلى مرحلة الجدة بالفعل؟».

قلت: «جدة إنستغرام حديثة».

«بالطبع، كلا».

«غراندريا؟». حاولت جعل اسم توّدّد الجدة مطابقاً لاسمها – أندريا – ولكنني أرى من تعابير وجهها أنها لم تحبه، لذلك حاولت مع اسم آخر: «الأم الأكبر؟».

«توقف».

«ماذا عن جي ما – اختصارات لكلمة جدة في الإنكليزية –؟».

«جييما؟». من طريقة نطقها أستطيع أن أعلم أنها تخيلها مكتوبة بطريقة أخرى تماماً. تقول: «تعلمين، يبدو ذلك اللقب جميلاً حقاً».

قلت مبتسمة: «حسناً إذا سنستقرّ على جي ما». سنعمل على طريقة كتابتها في وقت لاحق.

أسأل مايف: «مئة ألف مازا؟».

تمتمت وهي تزّمّ شفتيها: «ما كان يفترض بي أن أُخبرك، لذلك تصرفني وكأنك تفاجأت عندما يخبرك نيت حسناً؟». فتحت حاسوبها المحمول وهي تتمدد على السرير بجانبي، وتمسّك بوسادة إضافية لتصفعها خلف رأسها قائلة: «لقد زلّ لساني، ولكنني كنت متحمسة جداً لأجله، هل تخيلين كم ستتغير حياته؟».

«أجل، إنه أمر لا يُصدق، في حين أنتي وأمي أخيراً وبعد كذلك الانقطاع تمكنا من فتح قلبينا، ولكن كل ما حصلت عليه هو بعض الطبيبة على الظهر». قلتها بسخرية لتعرف مايف أنتي أمنج، بالطبع كنت أحب الحصول على مبلغ مثل هذا، ولكنني أشعر بالسعادة البالغة من أجل نيت. في بعض الأحيان أقلق عليه، كيف يشعر لأنه سيقى محاصراً في بايفيو في الوقت الذي سيغادر فيه الجميع - حتى أنا، وما زلت أجد ذلك غريباً قليلاً - بعيداً عن المنطقة، أمّا الآن فقد أصبح يملك خيارات أخرى.

قالت مايف: «ولكن على الرغم من ذلك من الجميل أن والدتك أصبحت داعمة لك، حتى لو أن ذلك تطلب كارثة أخرى من جيك».

قلت: «أجل، إن هذا جميل حقاً». أضفت وأنا أسد رأسى إلى كتفها وهي تتنقل بين الواقع على حاسوبها: «حسناً، ما آخر الأخبار؟ هل كانت الأخبار التي حصلت عليها فانيسا من السيدة ريورдан مفيدة؟».

قالت مايف: «أظن ذلك، أعني بالطبع لقد شُكّنا أنها خانت زوجها مع ألكسندر ألتون، ولكننا أصبحنا متأكدين من ذلك الآن، السؤال الآن هو - هل غرق ألكسندر ألتون حقاً أم لا؟ وإذا كان الجواب لا، فمن المسؤول؟». ثم صمتت لثوانٍ قبل أن تتابع: «تعرفين ما أقوله دائمًا، صحيح؟».

أسألها: «لا تثقين بالصدف؟».

«ليس هذه العبارة».

«الجميع يفضحون أمرهم على موقع التواصل الاجتماعي في النهاية؟».

قالت مايف ممتنة: «واو، أنت حقاً تنتبهين لما أقوله، ولكن لا ليست هذه». ثم قالت بصوت عريض ومنخفض: «إنه الزوج دائمًا».

رفعت يدي وحّدّقت إليها: «لم يسبق لك أن قلت ذلك».

تنهدت مايف تعبيراً عن سخطها: «حسناً، كما تريدين ولكن ليس على قول ذلك، لأنه وحرفيًا كل إذاعات الجرائم قد قالت هذه العبارة بالنيابة عنّي».

«أنت تعتقدين أن السيد ريوردان قد..». توقفت وأنا أحاول تذكر آخر مرة رأيت فيها سكوت ريوردان، لقد كان ذلك خلال محاكمة جيك بالتأكيد، وكان يجلس في أقرب نقطة من جيك، ولم ينظر إلىّ، حتى عندما كنت أدلي بإفادتي.

أنتهت مايف جملتي: «... قتل ألكسندر ألتون؟ إن هذا احتمال وارد، أليس كذلك؟ لديه الدافع، وإذا كان يشبه جيك قليلاً...».

قاطعتها: «إنه يشبهه، في كثير من النواحي ولكن.. هل كانت السيدة ريورдан لتستمر في العيش معه بعد أن يفعل شيئاً كهذا؟».

قالت مايف: «ربما، لم تشك، وربما خافت أن تؤذي جيك إن غادرت، أو يؤذيها».

قلت: «حسناً، إذا افترضنا صحة ما تقولين.. ما هي الصلة التي تجمع بينه وبين ما يحدث الآن؟».

«حسناً دعينا نفترض أن جيك لم يختفي وحده، كما قالت فيبي ربما يكون الشخص الآخر في سلسلة التمرير يصنع الأفضل، التي تعتبر آخر حملة إعلانية قام بها ألكسندر ألتون».

«ولكن لماذا قد تفعل عائلته شيئاً لفيبي أو لريجي؟».

اعترفت مايف: «لا أعرف، إن موت ألكسندر هو الشيء الوحيد الذي نملكه، لذلك بحثت مطولاً عن عائلته، ولكن زوجته متوفية، وتشايس وتشيلسي لديهما تفسير منطقي لاستبعادهما، واحزري ماذ؟ لقد وجدت كريستوفر». ثم فتحت صفحة تظهر مجموعة من الناس الذين يقفون بشكل نصف دائري حول فتى يحمل لوحة ما، وقالت: «دعيني أعرفك إلى الموظف المثالي للشهر في شركة التأمين بينر».

سألتها وأنا أحدق إلى الشاشة: «هل أنت متأكدة من أنه هو؟» ولكن حالما تقرّب مايف الصورة أكثر أرى التشابه الشديد بينه وبين تشايس، سألتها: «أين هو مقر شركة التأمين بينر هذه؟».

أجابت مايف: «في أوهايو».

قلت: «ربما كان غائباً أو أخذ إجازة أو شيئاً من هذا القبيل».

قالت مايف: «وفقاً لهذا المقال فقد حدث التكريم لأفضل موظف في الشهر في اليوم نفسه الذي توفي فيه ريجي».

قلت وأنا أشعر بالارتياب والإحباط: «أوه».

«أجل..».

«حسناً، ماذا سنفعل الآن؟».

تنهدت مايف: «الأمر في غاية التعقيد، ليس لديّ نظريات بديلة، كنت سأطلب من فيبي أن ترّتب موعداً مزيفاً آخر في شركة كونراد وأولسن، لنرى إن كانت تستطيع الحصول على أي معلومات جديدة عن ألكسندر ألتون، من يدري ربما كان على علاقة سيئة مع أحد زملائه وكان لذلك الزميل يد في غرقه فمجال الإعلانات يعتبر مجالاً مثيراً للمشاكل، أليس كذلك؟». هزّت مايف كتفيها عندما رأت نظرتي المتشكّكة وقالت: «أعرف.. أعرف أنني أتعلق بقشة حالياً، ولكن لا يهم ذلك في أي حال لأن فيبي مختفية عنا تماماً».

سألتها وأنا أشعر بالخطر: «حقاً؟ منذ متى؟».

قالت مايف فوراً: «ليست مختفية بالمعنى الدقيق للكلمة، إنها تعمل مع لويس في كافيه كونتيجو حالياً، ولكنها تتجنبني في كل مرة أحاول أن أتحدث إليها عن الخطط التي ستتبعها، وتقول إنها تقضي الوقت مع إيمان بعد عودتها من السفر».

قلت: «أراهن على ذلك». يمكنني قول الكثير في هذا الأمر لأنّ فيبي كانت تتصرف بغرابة طوال الصيف، ولكنني لا أريد أن أقول أشياء خارج السياق المقبول: «ربما يكون للأمر علاقة بزميل ساخط، ولكن.. هذه الأشياء ليست شخصية بما فيه الكفاية لأسلوب الانتقام الخاص ببافيبيو، لقد قلت ذلك بنفسك أليس كذلك؟ عاد نمط جيراد جاكسون ليظهر مجدداً، إنّ الأمر يتعلق بعائلة أخرى من بافيبيو دُمرت، لقد غرق ألكسندر ألتون، ودُمرت زوجته تماماً لدرجة أنها توقّيت في حادث بسبب الكحول». لم أكن جالسة على الشرشف على الشاطئ عندما قالت مايف ذلك الكلام، ولكنها أعادت قول تلك العبارة أكثر من مرة منذ ذلك اليوم.

حدّقت مايف إليّ: «لقد قلت ذلك فعلًا، يا لك من مستمعة جيدة يا أدي».

قلت: «أستمع وأتعلم، لقد تمكنت من تعقب الأوقات الحقيقة للأحداث، الليلة الافتتاحية لمسرحية تشايس، ويوم تكريم موظف الشهر بالنسبة إلى كريستوفر، ولكن ماذا عن تشيلسي؟ أعرف أنها بعيدة جدًا في إنكلترا ولكن الآن استراحة الصيف، ماذا لو أنها تنشر صوراً قديمة؟».

قالت مايف وهي تفتح صفحتها: «لقد فكّرت في ذلك، ولكنها تنشر صوراً شخصية من الندوات الدراسية التي تحدث الآن».

ظهرت صفحة تشيلسي ألتون الشخصية على الإنستغرام على شاشة حاسوب مايف، فضغطت على الصورة الأولى: «هل ترين هذه، إنها في محاضرة قدمت منذ أيام عن اقتصادات البنوك الدولية، و...».

توقفت مايف فجأة وشهقت، ولكنني لا أعرف لماذا، لا يوجد أي شيء مثير للشبهات بشأن تلك الفتاة المبتسمة أمام رجل يضع نظارة طبية يقف خلف المنصة، فسألتها: «ما الأمر؟».

قالت مايف وهي تضع أصابعها على لوحة المفاتيح بسرعة: «أوه أنت أيتها السارقة».

قلت بإصرار: «ما الأمر؟».

«انتظرني لحظة، علىّ أن أخذ لقطة شاشة لهذا قبل أن يختفي، لأنه سيختفي قريباً جدّاً على ما أعتقد، انظري إلى أول تعليق على الصورة». ثم أعطتني حاسوبها المحمول.

إنه تعليق كتبته فتاة اسم المستخدم الخاص بها هو sophiehh13@ والصورة الرمزية لها.. تبدو كثيّراً كتشيلسي ألتون، التعليق يقول: توقفي عن سرقة صوري أيتها المريضة!!

سألتها: «ماذا؟ انتظري من هذه؟».

ضغطت مايف على اسم المستخدم بجانب ذلك التعليق فظهرت صفحة إنستغرام جديدة لفتاة ما اسمها صوفي هيكرز هارتويل، كتب ضمن معلوماتها الشخصية: مدننة شاي، طالبة في أوكسفورد، نائمة في معظم الأوقات.

كل الصور التي أررنا إياها مايف سابقاً على أساس أنها تشيلسي ألتون موجودة على صفحة صوفي أيضاً، بالإضافة إلى صور أكثر لها تتسع مع أصدقائها في الحفلات والمطاعم ومكان يبدو كأنه غرفة سكن جامعية.

قالت مايف بصوت يحمل نبرة إعجاب: «اللعنة! لقد خدعت بأقدم الحيل، لقد استخدمت الحيلة ذاتها للإيقاع بأخيها الكبير تشاييس ألتون، ولم يخطر بيالي أبداً أنها ربما تحاول فعل الشيء نفسه لأي شخص يحاول التعرف إليها، حتى أن صوفي هيكرز هارتويل هذه تشبه تشاييس ألتون، أليس كذلك؟ المشكلة هي أن تشيلسي سمحت للكثيرين بمتابعتها مما جعل الحساب يبدو

حقيقياً، حتى أنها سمحت لبعض الناس الذين يعرفون الفتاة الحقيقة التي تستخدم صورها، وهذا على الأرجح سبب ما حدث الآن».

عادت مايف إلى حساب تشيلسي، فتبين أن تعليق صوفي قد حذف بالفعل: «لا بد أن تشيلسي تنبهت مباشرة لذلك الإشعار، ولكنها متأخرة جدًا فنحن نعلم الآن أنها تكذب، وكل ما علينا فعله الآن هو...». قاطعتها وأنا أحدق إلى الشاشة: «أين هي الآن؟».

سايمون

قبل ست سنوات

يمكن توقع أفعال جيك ريورдан بكل سهولة، لقد كان ينسحب بعيداً، ويحاول تجنب سايمون كل الصيف، ولكن الآن عندما يحتاج إلى شخص ليقوم بأمور مشبوهة، بمن سيتصل؟

كان هو الشخص الصحيح بالطبع، ولكنها حركة متوقعة جدًا.

قال سايمون وهو يلوح بهاتفه المحمول في وجه جيك: «الكسندر ألتون.. إنه مدير الحملات الإعلانية في عملها، إنها قصة تقليدية جدًا إذا كانا معاً حقًا».

حدق جيك إلى الهاتف، ثم قال: «كلا هذا محال، لا يمكن أن تكون مع هذا الرجل، إنه ليس وسيمًا».

قال سايمون رافعًا كتفيه: «حسناً، إن كان هذا رأيك».

رمى جيك الهاتف على الأرضية، وشباك ذراعيه أمام صدره قائلاً: «قل لي مجددًا ما الذي سمعتها تقوله في منزل رامونا؟».

لم يستطع سايمون تذكر كلمات السيدة ريوردان الحرفية، ولكن قال ما يبدو قريباً جدًا لها: «قالت إنها تحزم حقبيتها، وأنها غير قادرة على الانتظار».

قال جيك عابسًا: «هذا لا يعقل.. أعني أبي رجل مثالى!».

استطاع سايمون أن يضبط نفسه، وألا يضحك بسخرية وقال: «كثيرة هي الأسباب التي تجعل الأزواج يخونون بعضهم بعضاً». ثم نظر إلى غرفة المعيشة ذات الشكل الكهفي، إنها براقة ومملوءة بأشعة شمس شهر آب في وقت الظهيرة من يوم السبت هذا، حيث قال السيد ريوردان إنه ذاuber للعب الغولف عندما ظهر سايمون، بينما لم تكن السيدة ريوردان في المنزل على ما يبدو. سأله سايمون: «أين أمك العزيزة؟».

قال جيك: «لديها غداء مع صديق».

«آه، بالطبع». تمنى أن يفهم جيك ما رمى إليه.

لكنه لم يفهم، كُور إحدى قبضتيه وبدأ يضرب بها راحة يده الأخرى قائلاً: «الأمر مثير للجنون، ستدمّر كل شيء بفعلها هذا».

قال سايمون: «لدي فكرة». كل ما أراده جيك هو أن يعطيه اسمًا، ولكن بالطبع سايمون سيفعل المزيد، فبالنسبة إليه امتلاك المعلومات هو قوة حقيقة «دعنا نقد دراجتنا إلى منزل ذلك الرجل ونرى إذا كانت سيارة والدتك هناك».

بحلق جيك إليه واحتاج قائلاً: «إننا في منتصف النهار! يستحيل أن تفعل ذلك».

«لا أقصد الإهانة يا جيك، ولكنني لا أعتقد أنك تفكّر بشكل صحيح بشأن ما قد تفعله والدتك في حالات كهذه، خصوصاً هذه المرة».

بعد خمس دقائق كانا يتجهان إلى منزل ألكسندر ألتون على دراجتين.

لم يتوقع سايمون حَقّاً أن تكون السيدة ريلوردان هناك، فبحسب ما قام به من أبحاث، الرجل متزوج ولديه ثلاثة أبناء، لذلك لا يعتبر المنزل خياراً جيداً للخيانة في فترة بعد الظهر، ولكن سايمون كان يستمتع برؤيه القلق في عيني جيك، وحتى أنه كان يستمتع أكثر بالتفكير في الفوضى التي ستحدث إذا التقى بأحد أفراد عائلة ألتون في الشارع أمام منزلهم.

ماذا لو صدف وكانت سيارة والدة جيك حَقّاً في ممر السيارات الخاص بذلك المنزل؟ ضحك سايمون بحبور وهو يتجه نحو ذلك المنزل، الآن سيفضّح سرها، والفضل له في ذلك، لم يكن يطيق الانتظار ليعرف ما سيحدث لاحقاً.

عندما لم يشاهد أي سيارة بي أم دبليو حمراء في ممر سيارات منزل آل ألتون حاول أن يذكر نفسه بأنه أساساً لم يتوقع وجودها، لذا لا داعي للإحباط.

قال جيك براحة بعد أن توقف أمام المنزل: «إنها ليست هنا، لقد قلت ذلك».

قال سايمون وهو يتفحص ممر السيارات الفارغ تماماً وذلك المنزل المؤلف من طابق واحد أمامهما، لقد كان منزلاً منفرداً في نهاية طريق طويل، وحجمه بالكاد يساوي حجم غرفة جيك: «لقد ظننت أن ذلك الرجل يشغل منصباً جيداً؟ لماذا يبدو منزله عبارة عن كومة من القمامات؟».

قال جيك: «وكالات الإعلانات لا تدفع كثيراً مثل شركات المحاماة». ثم أكمل بصوت بائس: «أمي لا تفهم ذلك، ولكن لو لا أبي كنّا لتعيش حياة مشابهة لهذه أيضًا».

قال سايمون: «من يعرف؟ ربما ستعيش هذه الحياة». ثم ترك دراجته على الأرض وأكمل: «دعنا نتفقد بقية أرجاء المنزل».

احتّج جيك: «ماذا؟ كلا! ربما، هناك أشخاص في المنزل».

سأله سايمون وهو يتمشى على طرف الشارع: «وما المشكلة في ذلك؟ نحن مجرد ولدين يمّزان عبر فناء أحد المنازل، يحدث هذا معظم الأوقات».

كان جيك خائفاً من أن يتبعه، لذلك وقف على جانب الرصيف في الوقت الذي بدأ فيه سايمون يشق طريقه نحو ممر السيارات الخاص بعائلة ألتون، وكلما اقترب من المنزل بطلائه الأزرق الفرنسي وزخرفته البيضاء المشرقة وجد أن المنزل ليس سليماً بالدرجة التي ظنّها هو وجيك.

يضم المنزل نافذة تطل على الفناء، ومرأبًا للسيارات من الجانب الآخر، وله شرفة أرضية صغيرة مليئة بالأزهار المزروعة على جانبي الباب الأمامي، لا يمكنك رؤية أي منازل قريبة من فناء آل ألتون، وهذا ما اعتبره سايمون ملكاً حقيقياً للعقارات، حتى جيرانه لم يكونوا قريبين منه بما يكفي.

توجه سايمون إلى الخلف، وهو يتساءل هل سيعثر على نافذة قريبة ومنخفضة بما فيه الكفاية ليتلاصص من خلالها إلى الداخل، ولكن قبل أن يسرح بأفكاره بعيداً أكثر سمع صوتاً ينادي: «أمم من أنت بحق السماء؟».

التفت ليرى الفتاة تبدو أكبر قليلاً منه، مستلقية على أرجوحة شبكة معلقة بين شجريتين، كان عليه أن ينتبه لوجودها ولكن آياً يكن، هذا هو السبب الأساسي الذي جاء من أجله: إلقاء نظرة قريبة على أفراد عائلة ألتون.

قال سايمون: «سايمون كيليهير، أعيش أسفل هذا الشارع». بالطبع خرجت الكذبة من فمه بكل سلاسة، وأكمل: «آسف على التعدي على الملكية، ظننت أن بإمكانني العبور إلى منزلي من هنا ولكن لا يبدو هذا ممكناً».

قالت الفتاة وهي تنزل قدميها عن حافة الأرجوحة: «لا يمكن لأي شخص أن يصل إلى منزله من هنا». ثم وقفت ومشت صوب العشب الطويل حتى أصبحت على بعد عدة أقدام من حيث يقف، لا بد أن هذه ابنة ألكسندر

ذات الستة عشر عاماً المدعوة تشيلسي، إلا إذا كان من عادات آل ألتون السماح لأولاد الغرباء بالتسكع واللعب على أرجوحتهم. ولكن عندما أمسكت به تشيلسي بدا لها مذنباً، قالت: «لم يسبق لي أن رأيتكم في المنطقة».

قال سايمون في سرّه ولا أنا، ولكن ذلك لم يكن مفاجئاً على الرغم من أن سنوات قليلة تفصل بينهما، لأنه وبحسب أبحاثه يعرف أن زوجة ألكسندر ألتون معلمة في مدرسة دارتمور الإعدادية، وهي مدرسة خاصة في مدينة إستلاند، وجميع الأولاد يدرسون هناك، على الأغلب بالمجان من دون دفع أي تكاليف دراسية، على الرغم من أنها واحدة من أرخص المدارس الخاصة في هذه المنطقة، تسائل سايمون هل يستطيعون اعتبارها مدرسة إعدادية على الرغم من أن تصنيفها بالكاد يدخل حدود درجة (القبول)؟

كذب سايمون مرة أخرى: «أنا جديد في هذه المنطقة». لقد عاش في هذه المدينة الملعونة طوال حياته.

لم يكن سايمون مستعداً تماماً للذهاب فقال: «تعرفين صديقي على الأغلب».

سألته تشيلسي: «من هو؟». أثارت اهتمامه نظرة عينيها، شعر أنها النظرة نفسها التي يراها أحياً في انعكاسه على المرأة، وعرف أنها ستكون منافسًا رائعاً له.

أو ربما ستكون حليفة له، من يعلم إلى أين ستأخذهما الأحداث إذا انتشر خبر خيانة السيدة ربورдан مع السيد ألتون بالطريقة التي كان يتمنى فيها سايمون انتشاره.

قال سايمون وهو يراقب ملامحها بانتباه وحذر: «جيء ريوран».«

لم تبدل ملامح وجهها ولو قليلاً بل قالت من دون أن تكترث: «لم أسمع به مطلقاً».

فالسايمون: «لا تقلقي، ستسمعين به قريباً».

الفصل الحادي والثلاثون

فيبي

الثلاثاء، 21 تموز

بمجرد أن سمعنا صوت المفتاح في الباب قفزت وإنما وكأننا سمعنا صوت إطلاق نار للتو.

لقد كثلا قلقين جدًا منذ اللحظة التي وجدت فيها إنما قلادة ريجي في حقيقة أوين ليلة السبت.

قلت: «أيًّا يكن ما سيحدث، لا نستطيع أن نغطي عليه هذه المرة أيضًا». مع أنني أصلي وأأمل أن يكون لدى أوين تفسير منطقي لوجود هذه القلادة بحوزته، ربما وجدها في مكان ما؟ أو اشتري واحدة مماثلة لها تماماً؟ لأنه ليس هناك من تفسير منطقي آخر: لن يستهدف ريجي كراولي بغض النظر عن مقدار كرهه له، وبالتالي لن يستهدفني أنا.

لن يعترف، أليس كذلك؟ حتى لو وضعنا جانباً التفكير اللوجستي الذي يملكه هذا الفتى الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، لن يفعل أوين ذلك أبداً.

وافقتني إنما قائلة: «لن نغطي عليه، ولكن لا يمكننا القفز إلى استنتاجاتنا الخاصة أيضًا، علينا أن نتحدث إلى أوين قبل أن نفعل أي شيء».

لم ننم ليلة السبت أو حتى الليلة التالية بعد أن أخبرتنا والدتي أن أوبين سيبقى لفترة أطول في منزل صديقه بين حتى يحين موعد ذهاب بين في رحلة عائلية، ولكن البارحة أرسلت مايف رسالة مفادها: كل الأشياء الحالية تشير إلى تشيلسي ألتون، التي اتضح أنها لم تكن في جامعة أوكسفورد، أنا أحاول الحصول على صورة لها.

هذا ما جعل أفكاري مختلطة، كان من المريح أن أذكر نفسي أن أوبين لا يستطيع أن يفعل كل ذلك وحده من دون شخص مثل جيرارد جاكسون يختبئ في خلفية الأحداث ويقرّر ما سيحدث. ولكن الآن...

سألت إيماء وأريها رسالة مايف: «هل تظنين أن تشيلسي ألتون تشبه بطريقة ما جيرارد؟».

«اللاعب بقيم الناس، و...».

قالت: «دعينا لا نقفز مباشرةً إلى استنتاجاتنا الخاصة».

كان هذا آخر شيء تقوله قبل أن نزحف تحت أغطيةتنا مجدداً لنواجه ليلة أخرى من الأرق، عندما قدمت والدتي اليوم من العمل كنت وأيماء جالستين في المطبخ نشأب ونحن نحتسي القهوة من كوبين كبيرين.

سألت والدتي: «لماذا استيقظتما مبكراً؟».

كذبت قائلة: «لديّ ورديّ عمل باكرة في كافيه كونتيجو». أنا مستيقظة على الرغم من أنني لا أنهض من السرير قبل الساعة العاشرة عادة إلا إذا كان لديّ عمل.

قالت إيماء: «لم أستطع النوم». ثم أضافت عندما لاحظت القلق على تعابير أمي: «لم تكف فيبي عن الشخير طوال الليل، ولست معتادة على مشاركة الغرفة مع أحد».

قالت والدتي وقد بدت عليها علامات الراحة: «حسناً، ربما من الجيد أنكما مستيقظتان. سيعود أوبين قريباً لذلك احرصا على التأكد من أن يأكل شيئاً ما حسناً؟ عائلة صديقه بين نباتية، وأنتما تعرفان كم يمكن أن يكون أوبين متطلباً».

قالت إيماء: «أجل، نعرف».

الآن ها نحن ذا جالستان على كرسيين معدنيين خلف طاولة المطبخ، نشاهد القفل وهو يدور ببطء من الداخل.

تمتمت إيماء: «أوه يا إلهي، نبدو وكأننا جزء من فيلم رعب أليس كذلك؟».

قلت: «هذا ما كان عليه الحال خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من حياتي». فُتح الباب ودخل أوين. لقد تدللت حقيقته الزرقاء من إحدى كتفيه، وشعره الأشقر يكاد يغطي عينيه، وعلى الأغلب إنه يرتدي هذا القميص المليء بالتجاعيد منذ يوم السبت.

قال وهو يعيد مفاتيحه إلى جيبيه ويتوجه إلى غرفة نومه: «مرحباً». قالت إيماء بلهجة آمرة: «ليس بهذه السرعة».

جعلتني هذه النبرة أقف في مكانني بكل انتباه عندما كنت في عمر أصغر، ولكن لا يبدو على أوين أي تأثر عندما قال: «أنا متعب ويجب أن أنام». تتابعت وهو يفتح باب غرفته. أغلق الباب خلفه وأشعرني صوت الإغلاق بأنه صفعني على وجهي خاصه بعد كل شيء قدمناه له، حتى لو لم يكن يدرك شخصياً حجم كل ما قدمناه له.

قلت: «يا له من ولد». وأنا أقفز على قدمي وأحمل حقيبة ظهره عن الأرض، وأتوجه إلى غرفته وإيماء تتبعني، طرقت الباب بقوة وفتحته قبل أن يتمكن أوين من الرد.

سألني: «ماذا تفعلين؟». إنه جالس على حافة سريره وقد خلع فردة حذائه بالفعل، حدق إلي وهو يخلع الأخرى: «أخرجني، لقد قلت إنني أريد أن أنام».

قلت وأنا أُلقي بالحقيبة على السجادة وأنحنى بجانبها: «ليس قبل أن تشرح لنا ما هذا؟». ولم أكف عن مراقبة عينيه. جلست إيماء إلى جانبي ولم توح تعابير وجهها بشيء.

عبس أوين قائلاً: «ما الذي تفعلينه بأغراضي؟». وركض نحوها محاولاً استعادتها، ولكنني أبعدتها، فأخذتها إيماء ومدت يدها باحثة في الجيب الأمامي، تذمر أوين قائلاً: «أنتما في غاية السوء». وحاول الوصول إلى ذراعي: «أعيديها لي». لقد أصبح على الأرض الآن وتشبت بحقيقته بكلتا يديه، ثم انقلب على ظهره عندما أفلتت إيماء الحقيقة.

سأله وهي تحمل قلادة ريجي عالياً، تلك القلادة الجلدية ذات الخرزات الفضية: «لماذا هذه معك؟». نظرت فوراً إلى أوين لأتبين رد فعله.

سألني وهو يجلس وينظر.. بحيرة: «ما هذه؟».

قالت إيماء: «أنت من يفترض به أن يخبرنا».

سألنا أوين: «ما الذي تريدان أن أخبركم ب شأنه؟ لماذا وضعتها في حقيبتي؟».

قلت: «لم نضعها بل وجدناها».

عبس أوين مجدداً وهو يقول: «لا يمكنكم تفتيش أغراضي!».

قلت وأنا آخذ القلادة من إيماء: «أوه، لقد تأخرت جداً على قول هذا، عليك أن تخبرنا كيف حصلت عليها يا أوين».

كرر: «لم أحصل عليها، إنها ليست لي».

تبادلنا وإيماء النظرات، لقد كنت أجهز نفسي لمختلف ردود فعل أوين، ولكنني لم أتوقع مثل رد الفعل هذا، لا يبدو خائفاً أو مذنباً، بل يبدو مثيراً للإزعاج فقط، سأله إيماء: «حسناً، أنت تقول إنك لا تعرف شيئاً عنها؟».

«أجل، هذا ما قلته».

سأله: «حسناً، ولكن لماذا هي في حقيبتك؟».

هزّ أوين كتفيه: «كيف لي أن أعرف؟ ربما كانت موجودة عندما جلبتها أساساً ولكنني لم ألاحظ ذلك».

قلت وأنا أضم القلادة بحذر داخل راحة يدي: «أوين.. هذه القلادة لريجي كراولي، لقد ضاعت عندما اختفى، وكان والداه يبحثان عنها».

بدا غير مصدق: «ريجي؟ ولكن.. لا أستطيع فهم هذا». بدا أنه لم يعد منزعجاً منا، جحظت عيناه ونظر إلينا بالتناوب: «لم يقترب ريجي مطلقاً من حقيبتي، كيف وضع قلادته فيها؟».

قالت إيماء: «ظننا أنك أنت من وضعها». فتح أوين فمه ليحتاج، ولكن قبل أن يستطيع تنفسه إيماء بعمق وقالت: «لقد ظننا أن لك صلة - بطريقة ما -

بالأحداث الحاصلة في بايفيو مؤخراً، تلك المنشورات التي تتحدث عن لعب لعنة، وربما حتى...».

قاطعها أوبين: «أنا؟ هل أنتِ حادة في ما تقولينه؟». نظر إلينا بالتناوب وقد أصبحت نغمة صوته حادة جدًا قائلًا: «لماذا تطنان ذلك؟».

نظرت إلى عينيه الصغيرتين البنيتين تتشهان عينيّ وعيني والدنا وشعرت بتسارع نبضات قلبي. قلت: «لأننا نعرف أنك كنت متورطًا بلعبة جرأة أو صراحة، ونعلم أنك تقدمت وأكملت اللعبة عندما انسحبت إيماء، وأبقيت اللعبة مستمرة بالاشتراك مع جيرارد، عندما قرأنا الرسائل مع محامي إيماء، كان هناك رسالة تحتوي كلمة (بازار) وقد هجنت بالطريقة الخاطئة التي هجأتها عندما كنّا نتدرّب على مسابقة التهجئة معاً». لم يتفوه أوبين بكلمة، ولكنه أشاح بعيداً واحمرّ وجهه، تابعت: «لقد حميتك أنا وإيماء. تظاهرنا بأننا لا نعرف من ذلك الشخص، وتركنا إيماء تتحمّل الذنب وحدها، و...».

لكن قبل أن أستطيع قول كلمة أخرى أطلق أوبين سلسلة من التنهيدات التي جعلت جسده بالكامل يرتجف، وطوى ركبتيه على صدره ولف ذراعيه حولهما، وبكى وكأنه طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، بكى أكثر مما بكى في جنازة والدنا. صدمت وإيماء للحظات لدرجة أنها لم تعد قادرتين على التحرك أو الكلام، ولكننا توجهنا مباشرة إليه كل واحدة من جانب وحاولنا تهدئته.

قال بصوت مختنق: «أنا آ.. آسف، لم أكن أ.. أقصد.. لم أرد أبداً لـ بر.. بر..».

كانت تنهداته وشهقاته قوية فصعب عليه التحدث، ولكنني فهمت ما أراد قوله، لم أرد أبداً لبراندون الموت، ذلك أساساً ما صدقناه أنا وإيماء في داخلنا كل تلك المدة، وهذا هو السبب الذي جعلنا نكذب لكي نحميه. أعتقد أن إيماء فهمت جيداً ما كنّا نفعله والسرّ الذي كنّا ندفنه وفعلت ذلك بإصرار، كتكفير عن دورها في موت براوندون، أمّا أنا فقد كنت ساذجة واعتقدت أنه بمجرد أن يزول الخطر عن أوبين سأعود إلى حياتي الطبيعية، من دون أن أدرك أن السرّ سيصبح أشبه بصخرة كبيرة قابعة فوق صدري، ولم أستطع أن أفهم - حتى عندما حاول نوكس أن يخبرني - ما العواقب التي ستطرأ على أوبين إذا بقينا صامتين.

تمتمت إيماء: «اهداً، لا بأس».

شهق أوبن: «ذلك ليس صحيحاً.. ذلك خطئي، كل شيء خطأي، موت براندون وتلك القنبلة، وإصابة نيت، واضطرارك للابتعاد...».

قاطعته قائلة: «إنه خطأ جيرارد، لقد استغلّك كما سبق له أن استغل إيماء».

تنهد أوبن مجدداً وهو يحاول متابعة حديثه: «و... ولكن لقد تركته يفعل ذلك.. لقد أ.. أ.. أردت منه أن يفعل ذلك».

قالت إيماء: «لم تكن تعرف ما تريده، ولا أنا».

استغرق الأمر وقتاً طويلاً ليهداً أوبن ويتنفس بشكل صحيح مجدداً، وعندما استطاع ذلك لم يستطع النظر إلى أي واحدة منا، سألني: «أعتقد أنكما ستبلغان عنى، أليس كذلك؟».

قالت إيماء: «أظن أنه يجب علينا التفكير في ذلك، سأخبر أمي أولاً وهي ستعرف ما عليها فعله تالياً». ثم حذقت إلى عينيه فطأطاً رأسه: «كان علينا أن نفعل ذلك بمجرد أن أدركنا أن لك علاقة بالأمر، عليك أن تعرف أننا لم نقدم لك أي معروف يا أوبن».

همس: «لا أريد أن أسجن».

قالت إيماء بثقة حتى أنتي كدت أصدقها: «لن تُسجن».

كنت سأصدقها لولا المشكلة الجديدة التي لدينا، قلت: «أوبن علينا أن نعرف ما قصة قلادة ريجي؟ كيف وصلت إلى حقيبة ظهرك؟». أنا واثقة مئة بالمئة أنه لم يضعها هناك - من المستحيل أن يكون قادرًا على تزييف ذلك الوجه المتفاجئ أو ذلك الانهيار عندما اعترف أخيراً بشأن جيرارد، سأله: «من غيرك يستطيع الوصول إلى حقيبتك؟».

أجابني وهو يمسح عينيه: «لا أعرف.. لقد بقى هنا طوال عطلة الأسبوع».

سألته: «قبل العطلة هل تركتها في أي مكان؟».

قال بقطع بعده أن تنفس بعمق: «أحياناً كنت أتركها على مقعدي في المكتبة عندما أذهب إلى الحمام، وهذا ما كان يحصل في كافيه كونتيجو» ثم عبس وأضاف: «وتلك الكراسي لا يمكنك تعليق الحقائب عليها لذلك تقع على

الأرض باستمرار، لقد التقطها أحمد لأجلِي مرة، ومرة أخرى الأسبوع الماضي...». توقف تدريجًا.

حاولت حٰثٰه على المتابعة: «ثم الأسبوع الماضي مازا؟».

قال: «كان هناك فتاة تمسك بها عندما عدت من الحمام، أنت تعرفينها، تلك الفتاة دائم الاعتراض التي تعيش مع نيت؟».

سأله متفاجئة: «سانا؟».

«أجل لقد قالت لي أوه لقد وقعت بضعة أشياء من حقيتك لذلك أعدتها مجدداً ثم أغلقت السحاب حتى النهاية وأعادت لى الحقيقة».

نظرت إلى عيني إيماء، إن وجهها مليء بتعابير عدم الفهم لأنها لا تعرف سانا، وتعابير وجهي مشابهة لتعابيرها، ولكن لأنني أعرف سانا، لم أتخيل للحظة واحدة أن شريكة نيت في السكن قد تكون متورطة في أي من هذا. ولكن الآن، وبعد التفكير فقد كانت شريكة سكن ريجي أيضًا، سأله: «متى حدث ذلك تماماً؟ هل كان قبل وفاة ريجي أو بعدها؟».

حلّ أوين رأسه: «حسناً، لقد كان... في عطلة الأسبوع الماضية على ما أعتقد؟».

سألت إيمان: «هل يعرف نيت تلك الفتاة؟».

قلت: «إنه يعيش معها، وكان ريجي يعيش معها أيضًا». ماذا كانت رسالة مايف الأخيرة؟ كل الأشياء الحالية تشير إلى تشيلسي ألتون، التي أتضحت أنها لم تكن في جامعة أوكسفورد.

سأله إيمان: «ما قصتها؟».

«لا أعرف.. إنها فقط..». لست متأكدة كيف يجب إنتهاء هذه العبارة. لا أعرف الكثير عن سانا، وأتساءل إن كان نيت يعرف الكثير عنها، هل هناك احتمال أن تكون شخصية أخرى غير التي تدعى بها؟ أعرف أنها تعيش في منزل نيت منذ بضعة أشهر فقط، ولم تذكر عائلتها أبداً خلال محادثاتنا المتقطعة، ولا تبدو مشابهة للصور التي رأيتها لتشايس وكريستوفر، ولكنها في العمر نفسه تقريباً. كانت تتجادل مع ريجي في الليلة التي اختفى فيها، خلال ذلك الوقت افترضت أنها توبخه وتعطيه محاضرة حول شيء ما يتعلق بالعشب، ولكن ربما كان هناك شيء آخر.

قلت: «أعتقد أن عليًّ التحدث إلى نيت».

الفصل الثاني والثلاثون

فيبي

الثلاثاء، 21 تموز

للأسف تبيّن أن التحدث إلى نيت ليس بالأمر السهل.

لم يجب عن أيّ من رسائلي، وعندما سألتُ أدي عنه قالت: إنه يعمل، لذا انطلقت إلى مقر مايرز للإنشاءات وشققت طريقي إلى المكتب الرئيس عبر مرأب سيارات يعج بالشاحنات، وخلالات الإسمنت، وعربات صفراء صناعية لا أعرف اسمها.

سألني رجل أشيب يرتدي سترة صفراء قبل وصولي إلى المكتب: «كيف أستطيع مساعدتك يا آنستي؟».

أجبته وأنا أحجب الشمس عن عيني بيدي: «أنا أبحث عن نيت ماكولي، هل هو هنا؟».

قال الرجل: «إنه في الموقع».

سألته: «أين هو الموقع؟ أريد التحدث إليه بخصوص أمر طارئ».

أجابني: «يؤسفني سماع هذا، دعيني أتحقق من مكانه».

وصلتني رسالة أخرى من أدي في الوقت الذي كنت فيه انتظر: هل كل شيء على ما يرام؟ أردت التواصل معك، هل ترغبين في شرب القهوة؟

كنت أرغب في ذلك، ولكن ليس الآن، كتبت لها: نعم، ولكن في وقت لاحق.

سمعت صوّاً قبلاً أرى الرجل الذي يرتدي السترة الصفراء أمامي مجدّداً الذي اعتذر قائلاً «لم يحالبني الحظ يا آنسة، لم أجد نيت حيث دون اسمه في الجدول، لذا أعتقد أنه طلب في آخر لحظة، إذا استطعت العودة في غضون ساعة لا بد أن كيّث مايرز سيكون هنا حينها، إنه مالك المكان ويعرف أماكن الجميع».

لم أتكمّد عناء إخبار الرجل المتعاون بأنني أعرف من هو كيّث مايرز، فأنا دائمًا ما أسلق الشجرة إلى نافذة منزله، فقلت له: «شكراً لك».

عدت إلى سبارتي، ولكنني لم أفتح الباب بل استندت إليه، وفكّرت في خطوتي التالية، هل أنتظر السيد مايرز؟ أو أقبل دعوة أدي لاحتساء القهوة؟ أو أتوجّه إلى منزل نيت وأواجه سانا وأسأّلها عن سبب وضعها قلادة فتى متوفٍ في حقيبة ظهر شقيق؟

لا، إن هذه فكرة مروعة بالتأكيد، ولكن ربما أستطيع التحقيق بشكل غير مباشر، ماذا لو ذهبت إلى كافيه كونتيجو وسألت أحمد وإيفي إن لاحظا شيئاً ما ريثما يعود السيد مايرز؟

بعثت رسالة إلى أحمد وإيفي: هل أنت في العمل؟ لم يجربني أحمد، ولكن إيفي أجابتني في الحال: لا، أنا في المنزل، لدى كثير من الأسئلة، ولكنني لم أستطع إرسالها لهما، لا شك في أن ترك دليل رقمي بخصوص هذا الموضوع تصرف غبي.

تلّقت حولي، وتذكّرت أن إيفي ذكرت في آخر محادثة لنا عن بابيفيو أنها تعيش في شقة ضمن مجمع يدعى غلاستاون، قالت حينها: إنه أشبه بمنطقة صناعية وهذا سبب ثمنها البخس، بحثت عن غلاستاون على تطبيق خرائط غوغل، ولم أجد عنواناً لغلاستاون أقرب من ساكرامينتو، ولكن حين كتبت غلاس ظهر لي في الاحتمال الأول: شقق في غلاسسوركس على بعد 0.2 ميل من هنا.

يا لها من فرصة!

تبعد الاتجاهات على هاتفي حتى وصلت إلى مبني رمادي مؤلف من أربعة طوابق، كسا الزجاج الردهة الأمامية ولكن عدا عن ذلك اعتقدت أن الاسم مجرد إعلان وحسب، ولكنني في المكان الصحيح، هناك ستة عشر زرّاً

على لائحة الهاتف قرب الباب الأمامي ووجدت أسماء أسفل كل منها باستثناء الشقة الثانية عشرة، لم أجد اسم إيفي، أوشك أن أضغط على الزر الذي يحمل الرقم اثنى عشر حين فتح الباب.

قال الرجل الذي أوشك على أن يغادر المبنى وهو يفتح الباب لي: «مرحباً».

قلت له بعد أن مررت أسفل ذراعه: «شكراً لك».

وجدت في الداخل رواحين أحدهما يقود إلى اليمين والآخر إلى اليسار وبينهما مصعد، تجولت بسرعة ورأيت أربع شقق في الطابق الأول لذا خمنت أن إيفي تعيش في الطابق الثالث، دخلت المصعد، وضغطت الزر ثم رن هاتفي أثناء انغلاق الباب.

أخيراً، وردتني رسالة من نيت، ما الأمر؟

أرسلت له: هل يمكنني التحدث إليك بخصوص أمر مهم؟

أنا في العمل، ولكنني دوامي ينتهي عند الساعة الثالثة.

هل يمكنني الذهاب إليك؟

أرسل لي نيت موقعه وكتب لي: بالتأكيد.

شكراً لك!

وضعت هاتفي في جيبي حين فتح الباب، ودخلت الطابق الثالث المظلم خافت الإنارة، مشيت في الرواق الأيمن أولاً ثم عدت حين رأيت الشقتين اللتين تحملان الرقم تسعه وعشرة، وجدت الشقة الثانية عشرة في الرواق الأيسر، ورجوت أن يكون تخميني صائباً قبل أن أطرق الباب، عم الصمت في البداية ثم قال صوت مألوف لي: «مرحباً؟».

قلت: «أنا فيبي».

فتح الباب، ووقفت إيفي عند العتبة، وبدت الحيرة على تعابير وجهها: «مرحباً، ماذا تفعلين هنا؟».

أجبتها: «أريد أن أطرق عليك سؤالاً»، مررت بجانبها كي أدخل الشقة، لم أرد أن أتناقش معها في الرواق.

قالت إيفي: «أنا مشغولة بعض الشيء».

قلت لها وأنا أتلقت حولي: «لنأخذ كثيراً من وقتك، شقتك طريفة!»، حمّنت أن شقة إيفي ستشبهها أي أنها ستكون مشرقة ومرتبة مثلها: طليت جدران غرفة المعيشة بالأزرق المشرق، وزينت الأريكة بالوسائل الملونة والمرقطة ورأيت العديد من القطع الفنية ذات الطابع النباتي، كان هناك مطبخ على يميني وغرفة على يسارِي... «يا إلهي!».

قلت ذلك من دون أن أتبه عندما رأيت ورق الجدران المطبع بأوراق الكرمة الخضراء التي سكنت أحلامي منذ الليلة التي خطفت فيها، رأيت الأغصان النحيلة والأوراق قلبية الشكل التي تلتوي وتنمايل بكل الاتجاهات والأشكال، أقنعت نفسي أن لا وجود لورق الجدران هذا، وأن دماغي المخدر استحضرها من العدم وهذا ما شكل لدى ذكري خاطئة أرسلت أدي ومايف ونيت في رحلة بحث خطيرة إلى رامونا.

ولكن تبيّن أنها موجودة بالفعل، هنا في شقة إيفي وهذا يعني...

قالت إيفي: «ماذا»، ولكنني لم ألحظ نبرة سؤال في صوتها، وحين نظرت إلى وجهها الحالي من التعبير أحسست أنها استطاعت قراءة أفكارِي تماماً فانتظرتني لأدخل في صلب الموضوع.

لم تفعل سانا شيئاً في كافيه كونتيجو سوى الإمساك بحقيقة ظهرت كانت بحوزة شخص وضع قلادة ريجي فيها، وهو شخص وجد في حفل نيت ليلة اختفائي وشارك في محادلات نادي القتل في الأسابيع المنصرمة وحظي بعده فرصة لانتظار ترك أخي لحقيقة واستغل دخوله الحمام في كافيه كونتيجو.

سألتها: «إيفي، هل هذا اسمك الحقيقي؟».

لاحظت أن عينيها ببرودة الثلج حين أغلقت الباب بخفة وقالت: «ما كان يجدر بك المجيء إلى هنا يا فيبي».

الفصل الثالث والثلاثون

٧٦

الثلاثاء، 21 تموز

قالت إيدى وهي تلامس كأسها بكأسى وكأس برونوبن وكأس كوب: «نخبكم!».

إنها مجرد مياه غازية لأنني لم أملك ما يكفي من المال - ولم أبلغ السن القانونية - لفتح زجاجة شامبانيا في الحانة التي أعمل فيها، ولكنني ابتسمت حين شربت، سألتهم: «من كان يظن أن هذا سيتحقق؟». ولكنني أضفت: «ولكن لكل شيء نهاية أليس كذلك؟».

قالت أدي وهي تمدد يدها لتمسك بشربحة ليمون وتعصرها فوق شرابها: «اسمح لنفسك يا نيت بالفرح قليلاً، سيسنن عن والدك الأمر مع الوقت».

نظر كوير إلى الحانة المكتظة تقرّبًا التي تولى غافين أمرها بنفسه حين ظهر أصدقائي، وسألني: «هل ستترك العمل؟».

أجبته: «لا، لماذا؟ إن الأجر جيد ويتولى غافين معظم المهام»، في هذه اللحظة مشى غافين وهو يحمل كؤوساً متسخة.

قال في طريقة: « علينا أن نتحدث يوماً ما عن تقسيم العمل».

أشرت له بيدي ثم وضعتها في جيبي.

«احذروا ما الذي وجدت حين رأيت الخردة في خزانتي...».

قاطعني أدي بصرخة فاجأته لدرجة توقعت أنها رأت جيك خلفي، ولكنها قالت: «اعذرني، هل قلت إنك رتب خزانتك؟»، وضعت يدها على قلها، وحاولت برونوين ألا تصاحك.

ابتسم كوبر وقال: «انظروا إليه، لقد بدأ يهتم بمظهره منذ الآن».

ضحكت مرغماً، كان عليّ توقع ردّ الفعل هذا إذ إنني لم أسمح كثيراً في ترتيب منزلي، ولكنني عاينت غرفتي ليلة البارحة ولاحت أن عليّ التخفيف من مظهرها الكئيب حتى لو انتقلت منها، أي وجب علىّ طلاء الجدران وإضافة بعض الرفوف والخلص من بعض الأمور التي لم أعد أستخدمها أو التبرع بها، قلت لهم: «هل يمكنني المتابعة؟».

قالت أدي: «من أنت؟ نعم، يمكنك أن تتبع».

قلت لهم: «عثرت على آخر هاتف مؤقت لي»، وضعته على المشرب بين أدي وبرونوين «شحنته لأرى إن تركت عليه أي شيء غبي، ولكنه فارغ، لعلني لم أستخدمه، أظن أن عليّ التخلص منه، أليس كذلك؟».

قالت أدي: «كلا، دعني آخذه». أمسكت به وعاينته «يمكننا استخدامه كعنصر مميز في حفل ميلادنا المشترك التالي».

رفعت حاجبي «ظننت أننا سنكاف عن إقامة هذه الحفلات».

أشاح كوبر بوجهه وقال: «إن موعدها يتزامن مع المصائب».

قالت أدي بعد أن وضعت هاتفها في جيب بنطالها القصير: «حسناً، ربما سنقيم حفلاً عادياً أو حفل وداع لي ولمايف».

لمعت عينا برونوين خلف نظارتها التي بذلتها صباح اليوم وقالت: «ستحظيان بوقت رائع في بيرو»، اعتقدت أن نظارتها تشبه نظارتها القديمة، ولكنني بالتأكيد لم أقل لها هذا. «لقد مر علينا صيف قاسي، ولكن بعض الأمور تبشر بالخير على الأقل».

قالت أدي باستنكار: «لا تنحسينا، لا يزال هنالك لغز غامض».

قالت برونوين: «أعرف هذا وفَكَرْت فيه مطْوِلاً»، نظرت إلينا ثم اقتربت وقالت بصوت منخفض: «ربما علينا تسليم كل ما بحوزتنا إلى شرطة بايفيو، دعونا نعلمهم بالإعلان والقلادة وحقيقة أن إحدى ابنتي ألكسندر ألتون تدّعى أنها شخص آخر، يمكنهم التحقيق في هذا الأمر ويمكننا...» قوّمت ظهرها عندما مرت نساء بجانبها «يمكّنا العيش بطبيعة وسعادة والاستمتاع بالوقت الذي تبقى لنا مع بعض».

ضحك كوبر وقال: «بطبيعة؟ لم يسبق لي أن سمعت بهذه الكلمة».

قالت أدي: «أفهم ما تقصدينه يا برونوين، ولكن شرطة بايفيو عديمة الفائدة، أشعر أنهم لن يسمعونا، وبما أن جيك لا يزال مختفيًا...» ارتعشت قليلاً ثم تابعت: «أفضل رؤية ما يمكن لمايف التوصل إليه أولاً».

قالت برونوين: «ليس مايف وحسب، لقد عملت على القضية أيضًا»، أمسكت هاتفها ل天涯 علنيا بعض الرسائل النصية «لم يحالف الحظ مايف في العثور على صور لتشيلسي من تلك المدرسة الخاصة التي ارتادها التوأم في إيستلاند – يبدو أنه ليس لديهم كتاب سنوي – ولكنكم تعرفون أن العائلة انتقلت إلى أوهايو حين توفي ألكسندر أليس كذلك؟». أومأ الجميع برؤوسهم «هناك فتاة في سكني تتحدر من البلدة قرب مسكنهم، ستفعل ما بوسعها لجلب بعض الأخبار».

قلت لها بمزاح: «حسناً، ولكن علينا تسليم كل شيء إلى الشرطة أليس كذلك؟».

قالت برونوين بثقة: «يستحسن أن نقدم لهم كمّا كبيراً من الدلائل».

مشى غافين قرب المشرب وهو يمسك بزجاجتي نبيذ، ولاحظت أن الحانة أصبحت شبه ممتلئة، تأفف وقال: «لا أود مقاطعة حفلتكم ولكنني لن أمانع إذا قدّمت لي المساعدة».

قلت له: «آسف يا صديقي، سأساعدك في الحال».

لقد تصرفت بشكل آلي لمدة نصف ساعة إذ دوّنت الطلبات وقدّمتها، وجمعت الكؤوس الفارغة. أتت ستيفاني باكراً – على غير العادة – ولكن بسبب الازدحام انغمس غافين بالعمل للغاية.

بعد فترة غادر كوبر للقاء كرييس ثم نهضت برونوبين، وقالت: «يجدر بي الذهاب فسأتناول العشاء مع العائلة»، عانقت أدي بشدة ثم قالت: «اتصل بي في وقت لاحق».

قالت أدي بصوت غير واضح: «سأتصل بك إن لم تخنقيني».

قالت برونوبين بعد أن أفلتت أدي: «اعذرني فأنا أشعر بالحنين، استذكرةت كيف كنا نحن الأربعة في السابق وفَكِرْت في ما أصبحنا عليه الآن، هل تصدقون أننا بالكاد عرفنا بعضنا في الصيف الذي سبق سنتنا الأخيرة؟ كنت تعرف كوبر ولكن معرفتكما تعمقت الآن»، بعدها انحنت فوق المشرب وأمسكت بوجهي وقبّلتني مطولاً، لاحظت أن بعض الناس هتفوا وصفقوا لنا، همست لي: «هل تعرف ما هو أفضل شيء في هدية والدك؟ إنها تسهل لك مستقبلك ولكنها لا تصنعه لك، لقد صنعت مستقبلك بنفسك».

تمتمت بعد أن اقتربت منها: «لقد ساعدتني في ذلك».

قالت برونوبين: «أحبك كثيراً».

إنها لحظة مثالية، حاولت حفر جميع تفاصيلها في ذاكرتي لأنني وددت تذكرها إلى الأبد «أنا أحبك أكثر».

قالت: «هذا مستحيل»، قبّلتني مجدداً قبل أن تغادر، لم تفارقها عيناي حتى اختفت، ولكن ألهمتني عنها بطاقة الائتمان التي لوحّت بها في وجهي.

لم تهدا الحانة قبل الساعة السابعة، تنهد غافين قبل أن يملأ كأس أدي التي طلبت سلطة للعشاء، قال وهو ينظر إلى ستيفاني التي كانت تُدرِّدُ ش مع الزبائن: «شعرت أنني في حديقة الحيوان، ولكن ليس بوعي أن أترك العمل بعد الآن، سأذهب إلى الحمام ثم أغادر، هل تستطيع أن تخبر ستيفاني؟».

قلت له: «بالطبع».

راقبته أدي وهو يغادر وسألت: «هل حصل شيء بينه وبين فانيسا؟».

«لا، لم تبِدِ فانيسا اهتماماً»، رفعت حاجبي وقلت لها: «ماذا عنك؟».

قالت أدي: «لست مهتمة به أيضاً».

«تعرفين قصدي، هل عاودت التواصل مع فانيسا أم لا؟».

أبدت أدي شيئاً من الامتعاض، ولكنها ابتسمت غصباً عنها: «يا إلهي يا نبيت كيف أصبحت وسيطاً بين ليلة وضحاها؟ لقد تحدثنا بعض الشيء، وأرادت أن نذهب لزيارة كيلي قبل أن أسافر إلى بيرو، لقد فاجأتني بهذا، ولكن أمري ذكرتني أن لديّ كثيراً لأفعله قبل مغادرة البلاد لشهر ولكن...» رفعت كتفيها وأكملت: «... من أنا لأرفض مثل هذا العرض السخي؟».

قلت وأنا أتحقق من هاتفي: «من أنت بالفعل؟»، وجدت بعض الرسائل من والديّ ورسالة من برونوين، ولا شيء من فيبي التي طلبت رؤيتها منذ عدة ساعات وتجاهلتني، أرسلت لي رسالة حين سألتها إن أرادت المجيء فقلت: عذراً، لقد انشغلت، ثم لم ترسل لي شيئاً، سألتها: «هل سمعت شيئاً عن فيبي؟».

قالت أدي: «لا، لماذا؟». ولكن عينيها جحظتا عندما أخبرتها، وسألتني بتأنيب: «لماذا لم تقل هذا من قبل؟ علينا أن نكون حذرين طوال الوقت يا نبيت!».

«أعرف هذا، لقد تحققت منها».

«هل تحدثت إليها أو راسلتها؟».

قلت: «راسلتها».

عبست أدي وقالت: «هل علىّ تذكيرك أن شخصاً ما استخدم هاتف فيبي وأرسل لأمها رسالة أن فيبي ستمكث عند صديقتها ليلة اختفائها؟». حدقت إليها وقلت: «اللعنة! أعتقد أن عليك تذكيري بهذا».

أمسكت أدي هاتفها وقالت: «لا شك في أنني مرتبطة، ولكن دعني أتحقق من باقي أفراد طاقم بيفيو لنرى إن سمعوا شيئاً عنها»، صمتت لبرهة، وحرّكت أصابعها بسرعة على شاشة هاتفها، ولكنها عبست مجدداً «لم تتوصل مع أحد، طلبت من أشتون أن تتوجه إلى منزلها ولكنها ليست في المنزل، ربما علىّ الذهاب إلى هناك بنفسي إلا أن... يا إلهي!»، وضعت هاتفها على الطاولة وتنهدت «لقد أتيت إلى هنا سيراً على القدمين أي سأستغرق وقتاً طويلاً لأصل إلى منزلها، متى تنتهي وردية عملك؟».

قلت لها: «عند الساعة العاشرة وربما بعد ذلك بقليل».

«دعني أتحقق من برونيين ربما بوسعها أن تقلنني».

قلت لها حين ظهر غافين من الحمام وودعنا: «انتظر قليلاً»، أشرت إلى غافين أن يأتي إلينا وقلت له: «هل تستطيع أن توصل أدي في طريقك؟ ستذهب إلى منزل صديقة لها في بيفيو، ليس بعيداً من هنا».

قال غافين بشكل استعراضي: «حسناً، السيارة تنتظرك سيدتي».

قالت وهي تنزل عن كرسيها المرتفع: «شكراً لك، سأبقيك على اطلاع».

قلت لها وأناأشعر بالقلق يجتاحني: «حسناً»، شعرت أن عدم مجيء فيبي غريب بعض الشيء، ولكنني لم أقلق كثيراً، لأنها ردت على رسالتي، ولكن أدي محققة في الواقع: كان يجدر بي أن أطمئن عليها، لأن جيك لا يزال مختفيأً.

حين فكرت باسمه خيم الصمت على الحانة، وحين نظرت أمامي رأيت السيدة ربوردان تتجه نحو بخطوات حذرة، كانت كالعادة مثالية المظهر، ولكن وجهها افتقد بعض اللمسات الجمالية، قالت وهي تجلس على كرسي مرتفع، وتصنع حقيبتها بالقرب منها: «مرحباً يا نيت، أريد كأس شاردوني من فضلك».

بعد أن رأيتها شربت الكثير من كأسها سألتها: «كيف حالك يا سيدة ربوردان؟».

جمعت أصابع يديها أمامها على المشرب وسألتني: «كيف ترانني؟».

أجبتها: «لست بخير».

قهقهت السيدة ربوردان بشكل هستيري، ثم انحنت ونظرت إلى وسألتني بصوت منخفض: «هل تبحث عنه؟».

سألتها وأنا أملأ كأساً من الماء لأقدمها لها: «من الذي أبحث عنه؟».

زمنت شفتيها وقالت: «لا، لا تظاهر أنك لا تعرف من الذي أتحدث عنه، أعرف ما فعله بك وبأصدقائك، ولكنني أعرف أيضاً أنكم لستم... من هواة الانتقام»، تنفست بعمق وأردفت: «إذا عثرتم عليه أولاً فسيكون بخير».

تابعت التظاهر بأن محادتنا طبيعية وانحنىت مستندةً إلى المشرب وسألتها هامساً: «نعثر عليه قبل من؟».

ترقرقت عينها بالدموع وقالت: «لا أعرف».

«هل أنت متأكدة من هذا؟». لم تجب على فأخفضت صوتي أكثر وقلت لها: «ماذا حل بالكسندر ألون؟».

تجمّدت السيدة ريلوردان وقالت: «كيف عرفت...»، تلتفت حولها مذعورة وكأنها توقعت ظهور الكسندر بنفسه من خلف المشرب، ثم أمسكت حقيبتها وضمتها إلى صدرها، وزمجرت وقالت: «أنت لا تعرف شيئاً عما تتحدث عنه، لقد أخطأت بالقدوم إلى هنا».

قلت لها حين نهضت: «لا تغاري، أنت محققة في الواقع فأنا لست من هواة الانتقام، ولكن هناك شخص يهواه كثيراً. لقد توفي ريجي كرولي بسببه، لذا ما رأيك أن تتوقف عن الكذب وتخبريني كيف مات ذلك الرجل؟».

أجابت السيدة ريلوردان بصوت خانع: «لا... لا أعرف، كنت في المكسيك وهو...».

سألتها: «هو ماذا؟».

انهمرت الدموع من عينيها وارتسمت ملامح الأسى على وجهها، قالت: «طلبت منه أن...» ولكن قاطعها صوت آخر.

«كاثرين! ها أنت ذا، حان وقت المغادرة».

مشى سكوت ريلوردان بخطوات ثابتة باتجاه المشرب وكان يرتدي بدلة توحى بالقوة والسلطة وكان العرق يتفصد من جبهته، لم تخدعني ابتسامته، وشعرت بمقدار غضبه لأنني كنت قريباً من زوجته، همست لها عندما اقترب منا أكثر: «هيا يا سيدتي، هذه فرصتك الأخيرة، من قتل الكسندر؟».

نظرت إلى زوجها وتطايرت بالابتسام، ولكنها تمنت لي: «ثق أن من تشك فيه أشك فيه بدوري»، ثم التفتت واتجهت إلى زوجها.

يبدو أنها تتهمه بالقتل.

وضع السيد ريلوردان ذراعه حول زوجته بتملك وقادها إلى المخرج، وحين غادراً أمسكت بها تفهي للاتصال ببرونوين، ولكن قبل أن يتسعى لي الاتصال بها وردتني رسالة: بالله عليك اتصل بي! ثم وردتني صورة وعندما كبرتها رأيت كتاباً سنوياً مليئاً بصور مراهقين مبتسمين، قرأت اسم تشيلسي

إي. ألتون... يا إلهي! إنها نسخة مصغرة عن إيفي من كافيه كونتيجو؛ لقد كانت ابنة ألكسندر ألتون بيننا طوال الوقت، وقدّمت لنا الطعام، وتنصت إلى اجتماعات نادي القتل.

ولكن هذا ليس أسوأ قسم.

إن أسوأ قسم هو الصورة التي تقع تحتها بعدة صفوف، رأيت فيها ولدًا يرتدي بذلة وربطة عنق وبيتسم بإشراق، لقد أصبح أسمن من قبل، ولكنني استطعت التعرف إليه من دون قراءة اسمه: غافين بي. بارييت، وهو زميلي في العمل شاب مرح وبدا أنه عرف تشيلسي ألتون منذ زمن وتوارد معها في بايفيو طوال الوقت.

وأنا سلّمته أدي بيدي.

الفصل الرابع والثلاثون

أدي

الثلاثاء، 21 تموز

قال غافين وهو يتحسس جيبيه ويفتح باب السيارة: «عذرًا لأنني توقفت
كي أملأ سيارتي بالوقود، لم أعلم أنه بدأ ينفد».

قلت له: «لا عليك»، مدلت يدي قربى وبحثت عن هاتفي، أسقطته حين
أوشكت على أن أتصل ببرونوينوها هو لا يكف عن الرنين الآن «لم يسبق لي
أن أتيت إلى هنا، أين نحن؟».

شُغِلَ غافين محرك السيارة وقال: «لقد ملأت سيارتي بأرخص وقود
في بيفيو، أو بالأحرى على خط بيفيو - إستلاند، نحن على بعد عدة مبان من
مصنع حلوي غابيز القديم، هل تتذكرينه؟».

سألته وأنا أبحث عن هاتفي: «السمكة المصنوعة من الهمام؟».

غنى غافين بنشاز: «أطيب طعم ستذوقه في حياتك، يا لها من إعلانات
فظيعة! لم أستغرب توقفهم عن العمل»، انعطاف بعد محطة الوقود وأضاف:
«هل هاتفك يرن؟».

قلت له واستدرت في مقعدي لأتفحص المقعد الخلفي: «نعم، لقد
أسقطته ولكن لا أعرف أين، وبدأ يرن منذ تلك اللحظة».

«هل تريدينني أن أركن جانباً؟».

قوّمت جلستي، ومسحت راحتني وقلت له: «لا، لا عليك، سأبحث عنه حين نصل».

«هل أنت واثقة؟».

ترددت وقلت: «في الواقع...»، إذا راسلني أحد بشأن فيبي فسنكتب بعض الوقت ولكنني قلت له: «حسناً، شكرأ لك».

تلفت غافين حولنا وقال: «إن هذا طريق هادئ وضيق، دعيني أتعثر على مكان لا نعترض فيه طريق أحد في حال... آه لقد وجدتها»، ابتسم حين مر بسور يشبه السلسلة، «إنه مرأب سيارات غايبز».

قلت له حين ظهر المصنع: «من المفاجئ أنهم لم يفعلوا شيئاً بالمبني».

قال غافين وهو يركن السيارة: «لا بد أنه سيتحول إلى مساكن في نهاية المطاف».

بعد دقائق وقفت قرب السيارة، وعاني غافين في دفع المقعد الأمامي ليمد يده تحته، قال لي: «لم تمزحني حين قلت إنك لا تعرفين أين أسقطته، يمكنني سماعه، ولكنني لم أستطع تحديد موقعه، دعيني أحضر مصباحاً من صندوق السيارة وأحاول من المقعد الخلفي».

قلت وهو يفتح صندوق سيارته: «آسفه».

قال غافين: «أنا آسف لأنني لم لاحظ أن سيارتي عبارة عن مثلث برمودا»، فتح الباب الخلفي وهو يمسك بالمصباح وجلس على المقعد الخلفي.

سمعت صوت محرك خلفنا، التفت لأرى من أراد التسّكّع في مرأب سيارات مهجور ولكنني تفاجأت حين رأيت دراجة نارية مألوفة تتجه نحونا، توقف نيت على بعد عدة أقدام مني، ونزع خوذته وقدمها لي، ارتفع صوت محركه وقال: «خذلي هذه، لا أملك خوذة إضافية لذا عليك اعتمارها».

تفاجأت وقلت: «ماذا... كيف عرفت أننا هنا؟».

قال نايت: «من خلال سنابشات»، تفحص سيارة غافين قبل أن يبعد مسند دراجته ويستعد للانطلاق ويرمي لي الخوذة «يجب أن نغادر الآن، لا

تطرح أي سؤال، حسناً؟».

حدقت إلى نيت الذي لم يسبق لي أن رأيته بهذه الجدية، قلت له وأنا أنظر خلفي: «حسناً، ولكنني أحتاج إلى هاتفي، غافين يبحث عنه فهو عالق في مكان ما بين...».

قال نيت: «أحضره لاحقاً». في هذه اللحظة ظهر غافين من السيارة وهو يحمل هاتفي بفخر.

صرخ وهو يشعر بالنصر: «وجدته!»، بدا متفاجئاً فقال: «نيت؟ ماذا تفعل هنا؟ اعتقدت أنك ستعمل لوقت متأخر».

نظر نيت بالتناوب إلى غافين وقال: «ضرورة عائلية».

تسارعت نبضات قلبي وقلت: «يا إلهي! أحقاً هذا؟»، يا لهذا التوقيت السيئ! فقد بدأت أموره بالتحسن لتوها. «حسناً، دعني أحضر هاتفي لتنطلق».

قال غافين وأنا أتجه إليه: «يا إلهي، آسف لهذا، لقد تلقيت سللاً من الرسائل، هاك...».

توقف عن الكلام حين اقتربت منه ووجده يحدق إلى شاشة هاتفي، سأله: «ماذا؟»، مددت يدي ولكن غافين لم يعطني الهاتف بل حدق إلى نيت.

سأل بنبرة حادة: «ألهذا أنت هنا؟ لقد اكتشفت الأمر».

سأله: «ما الذي اكتشفه؟»، حاولت انتشال هاتفي من يد غافين، ولكنه أبعده عنّي، «ماذا تفعل... غافين! أعطيك هاتفي».

قال نيت وهو يقترب منّا: «اتركيه يا أدي».

قال غافين بشيء من اليأس: «أنت لا تفهم»، وفجأة وقف بيني وبين نيت «أنا أحاول مساعدتكم يا رفاق، تشيلسي... اسمعاني، تشيلسي تمّ بوقت حرج، حسناً؟».

سرت القشعريرة في جسدي وأنا أردد: «تشيلسي؟».

قال نيت: «إيفي من كافيه كونتيجو، اسمها الحقيقي هو تشيلسي ألتون، وقد تخرج صديقنا غافين هذا من المدرسة الثانوية ذاتها التي ارتادتها في أوهايو».

ارتسمت على وجهي ملامح المفاجأة حين قال غافين: «أقسم بالله إنني أحاول المساعدة».

رفع يديه وهو لا يزال يمسك بها تفيفي: «إذا عنى لكم اسم تشيلسي شيئاً ما فلا بد أنكم تعرفون أن والدها توفي حين سكنت في بيفيو، تعرفت إليها عندما انتقلت عائلتها وأغرمت بها على الفور مع أنها بنت حاجزاً حول نفسها»، تنفس بعمق وتتابع: «لقد مررت بالكثير كملاً تعرفان إذ خسرت والديها وخصوصاً والدها فقد كانت مقربة منه، ولم تخطط الأمر في الواقع، لطالما سمح للأمور بأن تسكنها، ولكن الأمر تخطى الحد الطبيعي في هذه الأيام، تسكنها الآن فكرة أن والدها لم يفرق بل قُتل».

ردد نيت خلفه: «تسكنها الآن فكرة؟ كيف لأحد أن تخطر في باله هذه الفكرة؟».

أجاب غافين بأسى: «لا أعرف، لم تقل لي، ولكنها أصررت على الانتقال إلى بيفيو، لذا لحقت بها بالطبع، وكان علي أن أخذ استراحة من دراستي، إن الشخص لا يُقدم على أمر كهذا ما لم يكن مغرماً أليس كذلك؟ أي سيفعل أي شيء من أجل من يحب»، تبدد الغضب من تعابير وجه نيت لأنه سبق له أن شعر بما يشعر به غافين.

فرك غافين رقبته وقال: «ولكن تشيلسي لم تحبذ تضحياتي، وانفصلت عني بمجرد وصولنا إلى هنا، وثم... بدأت الأحداث تتواتي».

رددت كلامه: «الأحداث؟».

«لوحة إعلانات الشركة التي كان يعمل فيها والدها، واختفاء فيبي، وريحي وجيك...»، قال غافين وهو يصرّ أنسانه: «لا أعرف ما يحدث، ولكنني لا أرى أنها صدفة، هل تفهمانني؟».

تفحصه نيت واعتنى وجهه تعابير الشك: «نعم، نفهم هذا تماماً».

«ثم... عثرت على هذا»، متنى غافين إلى صندوق سيارته الذي لا يزال مفتوحاً وانحنى للبحث فيه «في شقة تشيلسي».

قال نيت: «اعتقدت أنك قلت لنا إنكما انفصلتما».

«أجل، ولكنني أملك مفتاحاً، وشعرت بالقلق لذا... تقدماً لتنظراً إلى هذا»، أخرج غافين سترة زرقاء وذهبية «لست خيراً، ولكنني تابعت شأني

شأن الجميع التغطية الإعلامية لما حصل في بيفيو وعلقت في ذهني سترة كرة القدم هذه، أعتقد... أعتقد أنها لجيك».

قال نيت وهو يقترب من صندوق السيارة: «دعني أر».

رمي غافين السترة صوب نيت فرفعها وعبس، قال: «ليست...» ولكن قبل أن يتلفظ بكلمة أخرى انقض غافين عليه بسرعة خاطفة لدرجة أتنى لم أفهم ما جرى إلى أن سمعت صوت سحق مخيف، تهاوى نيت على الأرض ووقف غافين فوقه ممسكاً بمفك براغي.

صرخت بأعلى صوتي، ولكنني سكت حالاً إذ انقض علىي غافين الآن، وطوق يدي بإحدى يديه ثم وضع يده الأخرى على فمي، قال وهو يلهم: «أنا مجبر على هذا، ولكنني عنيت ما قلته، سأفعل أي شيء من أجل تشيلسي وعليها إنهاء ما بدأت به».

ترقرقت عيناي بالدموع حين رأيت بقعة حمراء أسفل رأس نيت، تابع غافين: «إنها تسدي لكم معرفة يا أدي، أنت تعرفي حق المعرفة أن جيك ربوردان يمثل تهديداً للمجتمع، كل ما كان عليك فعله أنت وأصدقاؤك هو إفساح المجال لي ولتشيلسي كي نتال منه، ما كان يجدر بكم اكتشاف الأمور بهذه السرعة، أما الآن... لا أعرف ماذا سأفعل بكم بحق الجحيم»، بدأ يجرني باتجاه صندوق السيارة فقاومته وأنا أحدق إلى جسد نيت الساكن.

لاحظت أن أحد أصابعه قد تحرك، فتهلللت أساريري قليلاً – إنه على قيد الحياة – ولكن سرعان ما تملكتي ذعر شديد لأن الحركة كانت لا تذكر فتجمدت في مكاني.

احتاج نيت للمساعدة الطبية حالاً ولم أستطع مساعدته إلا إذا...

حدقت إلى غافين متسللة، قلت له: «سأساعدك» ولكن صوتي كان أشبه بتمتمة تصدر من وراء يده.

توقف ورفع يده قليلاً عن فمي: «ماذا قلت؟».

قلت له: «سأساعدك في كل ما تريده فعله بجيك».

ضحك غافين باستهزاء وقال: «هل تريدين مساعدتي بعد ما فعلته بنيت؟ لا أعتقد هذا».

«نَيْتُ لِيْسَ صَدِيقِي إِذْ سَمِحَ لِجِيْكَ بِالْإِسَاءَةِ لِي»، تَدَفَّقَتِ الْأَكَادِيْبُ مِنْ فِمِي كَالْسِيْلِ، لَا يَمْكُنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يُصْدِقَ وَلَكِنْ غَافِينَ لَمْ يَكُنْ وَاعِيًّا وَلَمْ أَسْتَطِعْ التَّفَكِيرَ فِي خَطْطَةِ أَفْضَلِ «وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَىِ الْجَمِيعِ، مِنْ الْمُفْتَرَضِ أَنَّا نَادِيَ الْقَتْلِ، وَلَكِنْ أَحَدًا مِنَا يَجْرُؤُ عَلَىِ ارْتِكَابِ جَرِيْمَةِ قَتْلٍ وَلَوْ بِحَقِّ شَخْصٍ يَسْتَحْقُ الْقَتْلَ مِثْلِ جِيْكَ، لَذَا أَرِيدُ الْانْضَمَامَ إِلَيْكَ إِذَا كَانَ هَذَا مَا تَوَدَّ فَعْلَهُ».

نَظَرَ إِلَيِّيْ غَافِينَ وَسَأَلَنِي: «هَلْ تَعْتَقِدِينَ أَنِّي سَأَصْدِقُكَ؟»، شَعَرْتُ بِذَعْرٍ شَدِيدٍ، وَلَكِنِي رَأَيْتُ بِرِيقًا يَتَوَهَّجُ فِي عَيْنِيهِ «وَلَكِنْ يَمْكُنُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ الْاحْتِفَاظِ بِكَ، نَحْتَاجُ إِلَىِ مَنْفَذٍ مِنْ هَذَا أَوْ مَصْدِرِ إِلَهَاءِ إِلَيِّيْ أَنْ نَسْتَطِعَ الْاِخْتِفَاءِ وَرِبِّيَا سَتَكُونِيْنَ أَنْتَ هَذَا الْمَنْفَذُ إِذْ لَدِيْكَ حَقْدُ دَفِينٍ تَجَاهُهِ أَيْضًا»، دَفَعَ بِيْ مَجْدُّدًا إِلَىِ صَنْدُوقِ السِّيَارَةِ الْمُفْتَوِّحِ وَقَالَ: «هَيَا، اصْعُدِي»، وَحِينَ لَمْ أَحْرُكْ سَاكَّاً ضَحْكٌ بِاسْتَهْزَاءِ «لَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ طَنَنْتَ أَنِّي سَأَجْلِسُكَ فِيِ الْمَقْعَدِ الْأَمَامِي؟».

يَا إِلَهِي، لَا يَرَالِ يَمْسِكُ بِهَاْتَفِي... وَلَكِنْ... لَدِيْ... لَدِيْ هَاتَفَ آخَرَ.

لَا يَرَالِ هَاتَفُ نَيْتِ الْمَؤْقَتِ فِيِ جِيْبِيِّ، قَلْتُ لَهُ: «حَسَنًا» ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَىِ الصَّنْدُوقِ قَبْلَ أَنْ يَطْلَبَ غَافِينَ مِنِيِّ إِفْرَاغِ جِيْبِيِّ «إِنِّي أَعْنِي مَا أَقُولُهُ وَسَأَثِبُ لَكَ ذَلِكَ».

أَنْحَنَى فَوْقِي وَقَالَ: «مَدِّي يَدِيْكَ»، ذَعَرْتُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ حِينَ أَمْسِكَ حِبْلًا وَرَبِطَ بِهِ مَعْصِمِيِّ، دَفَعَ بِيِّ إِلَىِ الْأَسْفَلِ فَشَعَرْتُ بِالسِّجَادَةِ الْخَشِنَةِ تَخْدِشُ خَدِيِّ ثُمَّ رَبَطَ قَدْمِيِّ أَيْضًا، بَعْدَ ذَلِكَ أَقْحَمَ قَطْعَةَ قَمَاشٍ فِي فِمِي وَرَبَطَهَا بِحَزَامٍ خَلْفَ رَأْسِيِّ لِدَرْجَةِ أَنِّي هَمَّهَتْ مِنْ شَدَّةِ الْأَلَمِ حِينَ شَدَّ شَعْرِيِّ، وَلَكِنِي لَمْ أَقْأَوْمِهِ، قَالَ غَافِينَ بِهَدْوَهِ: «أَنْتَ تَسْهِلِينَ هَذَا عَلَيِّ وَلَطَالِمَا قَالَتْ لِي تَشِيلِسِي أَلَا أَثْقَ بِهَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ».

نَظَرَتِ إِلَىِ عَيْنِيهِ، وَأَجْبَرْتُ نَفْسِي عَلَىِ حَبْسِ دَمَوْعِيِّ، نَظَرَ إِلَيِّ لِثَوَانٍ، ثُمَّ حلَّ الظَّلَامُ حِينَ أَغْلَقَ صَنْدُوقَ السِّيَارَةِ.

تَنْفَسْتُ بِعَمْقٍ لِأَهْدَدِيِّ مِنْ رَوْعِيِّ، لِيْسَ هَذَا وَضْعًا مَثَالِيَاً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْكُمْ شَدَّ الْحِبْلِ حَوْلَ مَعْصِمِيِّ، فَأَسْتَطَعْتُ تَحْرِيكَ يَدِيِّ قَلِيلًا، كَانَتْ رَكْبَتَيِّ قَرِيبَتِيِّينَ مِنْ صَدْرِيِّ بِالْفَعْلِ أَمَا يَدَايِ فَكَانَتَا قَرْبَ فَخْذِيِّ لَذَا أَدْخَلْتُ أَصَابِعِيِّ فِيِ جِيْبِيِّ، وَشَعَرْتُ بِمَعْدِنِ الْهَاتَفِ الْبَارِدِ.

هَذَا هَاتَفُ نَيْتِ، نَيْتُ الَّذِي كَانَ يَنْزَفُ عَلَىِ الْأَرْضِ.

لَا، لَا تَفْكِرِي فِيِ هَذَا.

رَكَّزَتْ عَلَى انتِشالِ الْهَاتِفِ حِينَ لَاحَظَتْ تَوقُّفَ هَدِيرِ مُحَرَّكِ دراجةِ نِيَّتِي
وَسَمِعَتْ صَفَعَ بَابِ سِيَارَةٍ ثُمَّ صَوْتَ الْمُحَرَّكِ، شَعَرَتْ أَنَّ كُلَّ مَا حَوْلِي
يَهْتَزُ، وَكَادَ الْهَاتِفُ يَنْزَلُقُ مِنْ كَفِيِّ الْمُتَعَرِّقِينَ، لَا، رَكَّزَيْ يَا أَدِيْ وَخَذِيْ وَقْتِكَ،
تَوَقَّفَتْ وَعَدَّلَتْ وَصَعَيْتِي قَلِيلًا حِينَ بَدَأَتِ السِّيَارَةُ بِالْتَّحْرِكِ ثُمَّ أَمْسَكَتِ الْهَاتِفَ
بِحَذْرِ بَيْنِ يَدِيِّ الْمُقِيدِيْنَ وَفَتَحَتِهِ، أَوْشَكَتْ عَلَى الصَّرَاطِ مِنَ الْفَرَحَةِ التِّي
أَنْتَابَتِنِي حِينَ أَنْيَرْتِ الشَّاشَةَ، إِنَّهُ مَشْحُونٌ تَمَامًا كَمَا قَالَ لِي نِيَّتِي.

مَاذَا إِلَّا؟ يَمْكُنُنِي مَحَاوِلَةُ إِزَالَةِ عَصَابَةِ فَمِي لِأَتَصِلُ بِالْطَّوَارِئِ، وَلَكِنِّي
خَشِيتُ هَدَرَ الْوَقْتِ الثَّمِينِ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَضْمُونٍ كُلِّيًّا، فَكَبَسْتُ أَيْقُونَةَ
الرَّسَائِلِ، وَبَدَأَتْ أَضْغَطَ الْأَزْرَارِ بِهَدْوَهُ وَحَذْرِهِ، لَمْ تَكُنْ بِرُونُوْبِينَ تَكَذِّبْ حِينَ قَالَتْ
إِنَّهَا أَصْنَاعَتْ هَاتِفَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي النَّهَرِ قَرْبَ ذَرْوَةِ مَارْشَالِ وَلَمْ تَبَالِغْ حِينَ
أَصْرَّتْ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَحْفَظْ رَقْمَهَا، لَقَدْ ضَغَطْتُ عَلَيْيِّ إِلَى أَنْ تَرْسَخَ فِي
ذَاكِرَتِنِي.

حَالَمَا أَدْخَلْتُ رَقْمَهَا بَدَأَتْ كِتَابَةَ الرِّسَالَةِ، فَقَدْ اسْتَغْرَقْتُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي
الْكِتَابَةِ لِأَنِّي مَقِيدَةِ الْيَدِيْنِ كَمَا أَنَّ الْمُحَرَّكَ كَانَ يَهْدِرُ فِي الْأَسْفَلِ وَالسِّيَارَةِ
تَقْذِفُ بِي هُنَا وَهُنَاكَ حِينَ يَنْعَطِفُ غَافِينَ بِقُوَّةِ وَسُرْعَةِ، وَلَكِنِّي تَابَعَتْ مَهْمَتِي
وَكَتَبَتْ مَا يَكْفِي لِتَفْهُمِ بِرُونُوْبِينَ الْوَضْعِ وَتَعْرِفُ مَا عَلَيْهَا فَعْلَهُ، نِيَّتِي مَصَابِ
مَصْنَعِ غَابِيْزِ مَرَأَبِ السِّيَارَاتِ أَرْسَلَيِّ مَسَاعِدَةً، أَدِيَّ، ثُمَّ ضَغَطْتُ عَلَى زَرِّ
الْإِرْسَالِ وَصَلَيْتُ كَيِّ تَجْبِينِي.

اَخْتَفَتْ رِسَالَتِي، وَجَبَسْتُ أَنْفَاسِي وَأَنَا أَنْظَرَ إِلَى الشَّاشَةِ، عَدَدَتْ فِي
قَلْبِي حَتَّى الرِّقْمِ 6... أَطْفَلَتِ الشَّاشَةَ، وَأَوْشَكَتِ الدَّمْمَعَ الَّتِي جَبَسْتَهَا عَلَى
الْانْهَمَارِ مِنْذَ أَنْ ضَرَبَ غَافِينَ نِيَّتِي. تَنْفَسْتُ بِعَمْقٍ، وَذَكَرْتُ نَفْسِي أَنَّ هَذِهِ
الْخَطْلَةِ الْأُولَى فَقْطَ، مَعَ أَنَّ الْهَاتِفَ لَا يَرْسِلُ رِسَالَةَ قَطْعَةِ الْقَمَاشِ مِنْ فَمِي، أَنْزَلْتُ
يَزَالِ يَعْمَلُ، كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَجِمِعَ قَوَاعِيِّ لِإِزَالَةِ قَطْعَةِ الْقَمَاشِ مِنْ فَمِي، أَنْزَلْتُ
الْهَاتِفَ، وَرَفَعْتُ يَدِيِّ وَوَضَعْتُهُمَا خَلْفَ رَأْسِيِّ، وَحَاوَلْتُ العَثُورَ عَلَى الْعَقْدَةِ،
وَجَدْتُهَا وَلَكِنَّ لَا أَزَالَ فِي وَضْعِيَّةِ غَيْرِ مَنْاسِبَةِ، وَبَدَأَتْ أَشْعَرَ بِالْذَّعْرِ وَهَذَا مَا
شَوَّشَ تَرْكِيْزِيِّ، تَوَقَّفَتْ عَنِ الْحَرْكَةِ وَحَمَلَتْ نَفْسِي عَلَى أَنْ أَهْدَأُ.

ثُمَّ حَدَثَتْ عَدَدٌ أَمْوَارٍ فِي آنِ وَاحِدٍ، رَنَ الْهَاتِفُ فَأَخْافَنِي لِدَرْجَةِ أَنَّ رَأْسِيِّ
اَرْتَطَمَ بِحَافَّةِ السِّيَارَةِ، وَبَعْدَ هَذَا تَوَقَّفَتِ السِّيَارَةُ حَالًا فَحَاوَلْتُ أَنْ أَصْغِيَّ جِيدًا
كَيِّ أَسْتَدِلُّ عَلَى مَكَانِنَا، لَعَلَهُ تَوَقَّفَ عَنْ إِشَارَةِ حَمَرَاءٍ؟ أَوْ عَلَقَ فِي اِرْدَحَامٍ؟

تَبَدَّدَ حِينَهَا الْهَدِيرُ أَسْفَلَ رَأْسِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سَوْيِ الصَّمَتِ، تَوَقَّفَ
الْمُحَرَّكُ تَمَامًا وَلَاحَظَتْ أَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي وَصَلَنَا إِلَيْهِ هَادِئٌ لِلْغَايَةِ.

خشيت أن ألقى نظرة خاطفة على الرسالة الواردة قبل أن أضغط زر إيقاف التشغيل لإيقاف الهاتف، حاولت إعادةه إلى جيبي، ولكن صوت الخطوات كان يقترب مني بسرعة هائلة، لم أستطع فعل شيء سوى رمي الهاتف إلى الزاوية وتمني ألا يكون ظاهراً، انفتح صندوق السيارة وأصدر صريراً مرتفعاً كما أن الصوت أعمى عيني.

قال غافين: «حسناً، لنفعل هذا».

الفصل الخامس والثلاثون

فيبي

الخميس، 21 تموز

استيقظت من رؤية مخيفة، كان رأسي يؤلمني، وحلقي جاف، ورؤتي مشوشة، ولم أعرف أين أنا، ولكن هذه المرة أسوأ بكثير إذ لم أستطع الحركة رغم محاولتي الكثيرة، لقد استغرقني الأمر وقتاً وجهداً قبل أن ألاحظ أنني مقيدة إلى كرسي، مثل ريجي تماماً.

أجبرتني الفكرة على أن أتوقف عن التحرك، تنفست بعمق لأهدئ من روعي وأتمالك نفسي، أنا في غرفة صغيرة وفيها نافذة واحدة مغطاة بشيء يشبه الشبك، في زاوية من الغرفة هناك مكتب عليه عدة صناديق وزينت رفوف الكتب الجدار المقابل لي، إن الهواء مغبر وتفوح منه رائحة عفونة، لم أعتقد أن هذه غرفة إيفي لأن هذه الغرفة لم تبد مهجورة وحسب بل لأن الأرضية والتشكيلات حول النوافذ كانت مختلفة تماماً.

كما أنها ليست إيفي، إنها تشيلسي ألتون، أنا أنسى هذا دائماً.

حركت يدي بحذر إلى الأمام والخلف لأتحقق الحبل الذي يحول دون حركتي، بدأت في استذكار الوقت الذي قضيته في شقة تشيلسي: كيف حاولت المغادرة وكيف استوقفتني، لقد تعاركنا مطولاً قبل أن تتمكن مني، وتضع ذراعها حول عنقي وتخنقني لدرجة أني شعرت أني أوشكت على

الموت، تخيلت وجه أمي وآخر شيء تذكرته هو أنني قلت لنفسي: لقد خسرت الكثير بالفعل.

ولكن تبيّن أنها لم تخسرني بعد.

كان بوسع تشيلسي قتلي بسهولة بدلاً من جلبي إلى هنا، وبما أن هذا الجزء ليس جيداً – إذ إن أول قاعدة في أي درس دفاع عن النفس هي: لا تسمحوا لهم بأخذكم إلى موقع ثانٍ، إلا أنني شعرت بالتفاؤل لأنني لم أخف حين سمعت اقتراب صوت خطوات، تنفست بعمق، وحاولت أن أهداً إلى أن استطعت قول: «مرحباً» بصوت أحش حين فتح الباب وظهرت تشيلسي.

أشاحت بوجهها وكأنها تستمتع بوقتها: «مرحباً بك يا فيبي».

سألتها: «ماذا... ماذا يجري هنا؟ ما الذي تفعلينه؟».

سألتني تشيلسي: «حَقّاً لا تعرفين ما الذي أفعله؟ أنت الذي أتيت لرؤيتي في المطاف الأول».

«ولكنني لم أعرف من أنت إلى أن رأيت ورق الجدران، تذكرته من ليلة... ليلة حفل نيت»، ولسبب غريب لم أرد أن أقول لها من الليلة التي اختطفتني فيها رغم أنني مقيدة إلى كرسي الآن، شعرت أنه لا يجدر بي مواجهتها أو استفزازها فقلت «أتيت لأسألك عن سانا لأن أؤين اعتقاد أنها وضع قلادة ريجي في حقيبة ظهره».

عبسَت تشيلسي وقالت: «هل عثِرتم عليها؟ يا للأسف، كان يفترض بكم أن تعثروا عليها في وقت لاحق».

ردّدت وراءها: «وقت لاحق؟»، ثم تابعت: «هل أوقعت بأوين؟».

قالت: «ليست هذه الخطة الأساسية، يمكننا اعتبارها خطة إضافية».

سألتها: «ولكن لماذا؟ أؤين مجرد فتى!».

صالبت ذراعيها أمام صدرها وقالت: «ألا تتذكرين فعلًا؟»، بدت مستغربة وأنا أنظر إليها إلى أن تنهدت وقالت: «لمعلوماتك، لم تكوني أنت الهدف في حفل نيت بل فانيسا، وضعت مخدراً في شرابها، ولكنك أمسكت به واختفيت، وبحلول الوقت الذي عثِرت عليك فيه كنت قد شربته بأكمله».

فانيسا؟ أردت سؤالها عن السبب - لم أر صلة لفانيسا في كل ما يجري - ولكن هناك أسئلة أهم تدور في ذهني «حسناً... أنت من رأيتها في الفناء الخلفي لمنزل نيت أليس كذلك؟ فأنا لم أكن أتوهم، كنت هناك وقلت لي إنني ارتكبت خطأ فادحاً».

قالت تيشيلسي بغضب: «لقد ارتكبت خطأ فادحاً بالفعل، أفسدت لي علينا، ولكنني أردت مساعدتك واصطحابك إلى المنزل والتعامل مع فانيسا في ليلة أخرى، ولكنك فقدت الوعي فور وصولي فبدأت بصفع وجنتيك ومحاولة إيقاظك كي تستطعي المشي، ولكن حين استعدت وعيك بدأت بالثرثرة عن عدم قدرتك على احتمال الأمر بعد الآن وأخبرتني بما فعله أوين».

يا إلهي! لا أذكر شيئاً، شهقت وقلت: «ما... ما الذي أخبرت به؟».

قالت تيشيلسي: «كل شيء»، تسارعت نبضات قلبي حينها، ولكنها تابعت قائلة: «أصغي إليّ، تفهمت الرغبة بجعل براندون وبيير يدفع ثمن ما فعله إذ إنني أتقبل الانتقام»، سرت القشعريرة في جسدي عندما أضافت: «ولكنني سئمت من الأطفال المضطربين الذين يفعلون ما يحلو لهم من دون أن يُعاقبوا، كل ما فعلته مع أوين هو خلق براندون جديد ولم تستطعي اكتشاف هذا، لذا أصبحت الهدف»، لمعت عيناه حين قالت: «تمريني الخاص».

يا لمثالية هذا الوضع!

لم أستطع قول الكلمات المهمة أو الاستفسار عن والدها، خشيت أن أغضبها وأعرض أصدقائي للخطر إذا شاركتها بما نعرفه، شعرت بالألم في حلقي وأنا أقول: «ولكنك لم... لم تريدي إيدائي أليس كذلك؟»، بذوق وكأنني أتوسل إليها وشعرت بياس شديد حين لم تفارق معالم البرودة وجهها، أضفت قائلة: «أو إيداء ريجي؟ قالت برونوين... إن هذا كان حاداً».

تشنجت تيشيلسي وقالت: «برونوين فتاة ذكية».

«والآن...»، توقفت عن الكلام مع أنني عرفت ما الذي يجب عليّ قوله ولكنني خشيت من التطرق إلى الموضوع، هناك شخص ثالث مفقود وعلى الرغم من أنه بدا هدف تيشيلسي الأول... ولكن ماذا لو كانت تتعاون معه؟ ماذ لو مثينا في طريق خطأ منذ البداية؟ هل سيظهر جيك فجأة في الزاوية ويضحك على تحليلاتنا وتمسكتنا بالتفاصيل والمعلومات الصغيرة دون أن نرى الصورة الأكبر؟

ارتعشت حين فكّرت في الأمر، وعلى الرغم من الحال الذي وجدت
نفسي فيه لم أخف من تشيلسي بالقدر المطلوب، ولكنني كنت سأصاب بذعر
شديد إذا رأيت جيك.

تنفست بعمق، وسألتها: «ماذا سيحدث الآن؟».

فاجأني صوت قادم من مكان ما في المنزل يقول: «تشيلسي!»، إنه صوت شاب، ولكنني لم أعرف لمن يعود هذا الصوت.

أطلت تشيلسي برأسها وقالت: «انتظر يا غافين»، غافين؟ لقد تعرفت إلى الاسم، ولكن عقلي مشوش لدرجة أنني لم أتذكر أين سمعته.

قال الشاب: «لا أستطيع الانتظار، أحتاج إلى رؤيتك في المطبخ الآن، لدينا حالة طارئة».

سألتها لأنني خفت فجأة من البقاء بمفردي: «أين نحن؟»، لم ترق لي فكرة الحالة الطارئة». من صاحب هذا المنزل؟».

قالت تشيلسي: «أنا، لقد ترعرعت هنا، لا تزال عائلتي تملّكه، ولكنه فارغ منذ سنوات»، حدقَت إلى شباك العناكب التي غطت رفوف الكتب وتابعت: «ساعدني غافين في نقلك إلى هنا قبل أن يذهب إلى العمل، ربما كان يجدر بي ترك في الشقة ولكن... اعتقدت أن من الأفضل وضعكما في المكان نفسه».

قلت لها بدهشة: «وَضَعْنَا؟ مَنْ هُنَّا أَبْصَارًا؟».

قال غافر، بالحاج: «تشلسي! هل سمعتني؟».

قالت تشيلسي من دون أن تكف عن النظر إلىّ: «أنا آتية! هل لديك فكرة يا فيبي عن مدى صعوبة التظاهر بأنني فتاة لطيفة في كافيه كونتيجو طوال الصيف؟ ومدى صعوبة الابتسام للأوغاد في بييفيو وأنتم لم تحرکوا ساکنًا؟ أنا مرهقة، لذا أسدّي لنا معروفًا ولا تصغي الأمور أكثر لأن صبري بدأ ينفد»، عندما همت بالسفر أضافت: «كما أن أخي اعتاد التدرب على آلة الإيقاع هنا، إن الغرفة عازلة للصوت لذا ستؤلمك حنجرتك من دون جدوى إذا صرخت».

قلت لها: «انتظري من فضلك!»، بدأ الذعر يدب في عروقي وواجهت صعوبة في التنفس «ماذا ستفعلين الآن؟»، لم تجبني تشيلسي وبدا صوتي

أجسح من شدة اليأس «من أحضرتما إلى هنا أيضًا؟».
قالت: «سترين بنفسك». ثم اتجهت إلى الباب وأغلقته خلفها.

الفصل السادس والثلاثون

أدي

الثلاثاء، 21 تموز

قالت تشيلسي بغضب وهي تنظر إلى عيني: «ما هذا بحق الجحيم؟».

لم أتعثر على شيء لأقوله، تسارعت ضربات قلبي حين انتشلني غافين من السيارة لأنني خفت أن يعثر على الهاتف، ماذًا... سيحصل إن اكتشف وجوده؟ هل كان سيقرأ الرسالة ويلاحظ أنني لم أقل شيئاً يدينه ويعود إلى مرأب السيارات لينهي ما بدأه؟ أي لينهي حياة نيت؟

هذا إن لم يكن نيت قد فارق الحياة أصلًا.

أشعرني الخوف بالغثيان والدوار لدرجة أنني لم أتعرف إلى المنطقة المجاورة حين خرجت من صندوق السيارة، كنا في مرأب سيارات من النوع الصغير والمرتب الذي عادة ما يكون ملحقاً بالمنازل، وجدت الباب الكبير مغلقاً خلفنا كما رأيت باباً أصغر إلى يسارنا، اعتقدت أنه قريب من منازل أخرى لذلك أبقي غافين قطعة القماش على فمي إلى أن حملني إلى داخل المنزل.

دفعني على كرسي. وأخيراً، فك وثاق قدمي وعصمي وفمي ونادي تشيلسي، أما أنا فعانيت في التقطات أنفاسني والتفكير في خطوتي التالية.

قالت له تشيلسي: «ماذا تفعل هذه هنا؟».

«لقد اكتشفوا الأمر يا تشييلسي، عثرت برونوين على كتابنا السنوي،
ل حق نيت بي وأنا في طريقي لإيصال أدي إلى منزل فيبي...».

قاطعته تشييلسي وهي تحدق إلى عيني: «منزل فيبي؟ لماذا؟».

قلت لها: «لقد قلقت عليها، فهي لم ترد على اتصالاتي و...».

قالت تشييلسي: «إنها هنا». وازداد خوفي حين أضافت: «ولكن... يا إلهي»، فركت وجنتيها بكفيها وتابعت: «كل هذا يحدث بسرعة هائلة، أين نيت؟».

قال غافين: «لقد ضربت رأسه بمفك وتركته في مرأب سيارات».

صرخت بأسى وتفاجأت تشييلسي بكلامه إذ قالت: «ماذا فعلت؟ نيت ليس... لم يكن من المفترض أن يصاب بأذى!».

«ماذا كان عليّ أن أفعل يا تشييلسي؟ لقد اكتشفوا كل شيء، وعزموا على مواجهتك، كان قراراً آنياً، هل تعتقدين أنني أردت فعل هذا؟ قلت لك منذ البداية ألا تعيشي بحملة الإعلانات! كنت ستبقين مخفية تماماً، ولكنك أردت لفت الأنظار»، رسم لها غافين بيديه إشارتي تنصيص بانفعال وتتابع: «اتهى أمر نيت الآن ووجب علىي إحضار أدي معي بالإضافة إلى أن برونوين تعرف حققتنا الآن فلن تستغرق الكثير من الوقت قبل أن تستدل إلى مكاننا إذ إن هذا المنزل مدون باسمك».

سألت تشييلسي: «هل فيبي على ما يرام؟».

تجاهلتني وهي تنظر إلى غافين: «هذا صحيح، ولكن لماذا سيفكر أحد بالمجيء إلى هنا؟ لا بد أنهم سيتجهون إلى شقتي ولكن لا يجدر بهم فعل هذا لأن تغيير الاسم ليس جريمة، لا يمكن لبرونوين إثبات أنني فعلت شيئاً آخر فمن سيكرث بكلامها؟ أؤكد لك أن شرطة بايفيو لن تهتم للأمر أبداً».

تمنيت أن لا يكون كلامها صحيحاً.

تابعت تشييلسي: «لقد خرج نيت من اللعبة وفيبي وأدي هنا لذا... الوضع مستتب حتى الآن، لا يزال لدينا بعض الوقت»، شعرت ببصيص من الأمل حين اقترنت اسمي باسم فيبي إذ اعتقدت أنها محتجزة هنا ولكنها على ما يرام، قفز قلبي من الفرح حين قالت لي تشييلسي ببرودة شديدة: «أعتقد أنك تستطيعين الانضمام إلى فيبي في المكتب السفلي الآن».

قال غافين: «قالت أدي إنها ستعاوننا في أي شيء نخطط لفعله بجيك».

ضحك تشييلسي وقالت: «وهل صدقتها؟».

قال غافين وهو يمرر أصابعه عبر شعره: «لا، ولكننا... في مأزق الآن يا تشييلسي فالناس سيلاحقوننا في وقت أقرب مما تخيلين، ولكن إذا نشرنا مقطع فيديو لأدي وهي تقتل جيك واستطعنا أن نظهر الأمر وكأنها تعاونت مع فيبي...».

اقشعر بدني حين وضعت تشييلسي يدها على جبها وقالت: «يا إلهي يا غافين! كف عن التفكير من فضلك».

قال بغضب: «كيف نبذت هذه الفكرة لصالح أفكارك؟».

نظرت إليهما وأنا أفكّر، هنا لك بعض الإشكالات بينهما وعلىّ استغلالها، أصابت تشييلسي حين قالت إن برونونين لا تملك كثيراً من الأدلة، ولكنها لا تعرف بشأن الهاتف المؤقت، إذا وصلت رسالتها إلى برونونين فلا بد أنها ستدرك أن نيت قد أصيّب كما أنها ستعرف مكانه، اعتقدت أننا ستحظى بفرصة لا تفوّت إذا استطاعت مساعدته في الوقت المناسب.

قلت لها: «هل يمكنني أن أطرح سؤالاً؟».

نظرت تشييلسي إليّ وقالت: «تفضلي».

«ماذا حصل لوالدك في الحقيقة؟ إن هذا الأمر برمته يتمحور حوله أليس كذلك؟».

أومأت برأسها، ورمقت صديقها الحميم: «قال لي غافين مراراً وتكراراً ألا أفعل شيئاً يخص عمل أبي، وأعترف أن حركة لوحة الإعلانات كانت ردّ اعتبار ولكن... لفت الأنظار لا يعد خطأ»، أظهرت حقدها الآن لأنها أضافت: «لقد نسي جميع سكان هذه البلدة أمر والدي وكأنه لم يكن موجوداً... وكان قصة حياته ومماته لم تهم أحداً سوياً وشقيقّي».

قلت لها: «أنا آسفة»، كنت صادقة في كلامي رغم كل شيء فعلته.

تنفّست تشييلسي بعمق وانتظرت أن تستمر باللوم ولكنها لم تفعل ذلك، هدأت من روعها، ونظرت إليّ بما يوحى بالتعاطف: «إن جزءاً مني أراد أن تكتشفوا الأمر يا أصدقاء، لقد علقت أنت وأصدقاؤك في خضم مشاكل

بایفیو لمدة سنوات وأنا أحاول نیش الماضي، ولكنني ظننت أنكم ستسنغرقون وقتاً لاكتشاف الأمر لذا... أحسنتم».

لم يتبادر إلى ذهني أي رد على كلامها - وشعرت أن شكرًا لك ليست مناسبة - أضافت تشیلسي بعد قليل: «أظنكم تعرفون القصة الرسمية عن وفاة والدي أليس كذلك؟».

قلت لها: «ذكر في الأخبار أنه غرق».

قالت وملامح الغضب تعتمي وجهها: «لم أصدق يوماً أن موته حادث إذ كان والذي سباقاً ماهراً، ولكن لم يظهر أي دليل يثبت عكس هذا، بقي والذي في الماء لفترة طويلة لدرجة أنهم لم يستطيعوا تشخيص أي شيء بشكل دقيق، أغلقت القضية وأبعدت وحاولت أن أتابع حياتي مع أن والذي كان الوحيد الذي يفهمني في هذا العالم».

قلت لها مجدداً: «أنا آسفة».

صررت أنسانها وقالت: «لدينا جميماً أمور مزعجة وعلينا التعامل معها أليس كذلك؟ فقدت والذي صوابها فلم أستطع أن أفعل مثلها أنا الأخرى، وجب على فرد منا تولي زمام الأمور، إن تشیس عديمة الفائدة، ولطالما عاش كریس في عالمه الصغير الخاص، توفيت والذي بعد هذا وسافر تشیس إلى لوس أنجلوس فبقيت وكریس بمفردها نسیر على غير هدى، قلت لنفسي: أعتقد أن هذه هي حياتي الآن إلى حين مجيء ذلك اليوم...».

شردت تشیلسي قليلاً فحثتها على الكلام وقلت: «حين ماذا؟».

ارتسمت على وجهها ابتسامة صغيرة لم أثق بها على الإطلاق، قالت: «هل تعرفين شيئاً، دعينا ندع جيك يقول لك هذا».

«ماذا؟» سرت موجة من الذعر في جسدي فلم أستطع أن أتنفس: «لا، لا، لا أستطيع...»، بدأت في التراجع إلى الخلف ولكن غافين أمسك ذراعي بشدة، دفعني خارج المطبخ باتجاه درج، وحين اقتربت أكثر وأكثر على الرغم من أنني قاومت بكل قواي قلت: «لا أريد أن أراه، أنا...».

قالت تشیلسي بهدوء: «لا تقلقي، لن يستطيع إيداءك».

لم أرتج لكلامها، ولكن هذا لا يهم، كلما قاومت أكثر بدأت بالاقتناع بأن غافين سيرغمني على صعود الدرج سواء أردت هذا أم لا، كان بوسعي مقاومته إلى أن يغضب وربما يقيدني مجدداً كما كان بوسعي أن احتفظ

بطاقتني، استسلمت وسمحت لغافين بدفعي على الدرج الذي يؤدي إلى رواق مظلم رأيت على جانبيه أبواباً مفتوحة - كلها تقود إلى غرف مظلمة وهادئة وفارغة - ثم وصلنا إلى باب مغلق.

فتح غافين الباب، ودفعني إلى الداخل، ثم أغلقه خلف تشيلسي التي تحركت بسرعة وحينها رأيت... رأيت جيك.

كان مقيداً إلى كرسي وقد ألصق فمه بشريط، لاحظت أنه يرتدي الثياب التي وصفها والداه في المؤتمر الصحفي حين أعلنا عن فقدانه، كان يرتدي سترة بــاييفيو المتسخة وبنطال جينز ملطحاً، ربطت ذراعاه خلفه ولكنني استطعت قراءة الأحرف الأولى من الكلمة الأفضل التي كتبت على إحدى ذراعيه بحروف كبيرة وداكنة.

قال غافين وهو يقف خلف جيك ويزيل الشريط اللاصق بسرعة لدرجة أنني رجفت قليلاً: «تعرف التعليمات، إذا رفعت صوتك سأعيد الشريط».

لبرهة تبادلت وجيك النظارات، شعرت بدوامة من المشاعر تدب في عروقي كما أن الدهشة تفوقت على خوفي... يا إلهي! هل شعرت بالشقة؟ هل دفنت في أعماقي وخرجت الآن لأنه إنسان في نهاية المطاف رغم كل أفعاله وهذا مخيف و...؟

زمجر جيك: «أيتها الوضيعة».

تلاشت شفقتني في غضون ثوان ووقفت تشيلسي بالقرب مني، ووقف غافين أمام الباب وصالب ذراعيه أمام صدره وكأنه حارس أمن، قاوم جيك الحال التي قيده فقلت تشيلسي: «تريد أدي أن تطرح عليك سؤالاً يا جيك».

قال جيك بسخط شديد: «عرفت أنك في صفهم». إذا استطاعت العيون القتل فلا بد أنني كنت سأصبح في عداد الموتى.

تجاهلت تشيلسي كلام جيك وقالت: «تريد أدي معرفة ما حصل لوالدي وكيف مات».

ارتسمت تعابير غريبة على وجه جيك قبل أن يهيمن الغضب عليه، قال: «يجب على أدي أن تذهب إلى الجحيم».

قالت تشيلسي: «كان يفترض بي أن أعرف أنك لن تتعاون معنا»، اتجهت إلى قطعة الأثاث الوحيدة الموجودة إلى جانب الكرسي التي قيد إليها جيك، كانت خزانة متداعية وكان شخصاً ما صنعها دون الالتزام بقواعد الصنع

الصحيحة، فتحت تشييلسي الدرج الأول وحين أخرجت مسدساً حبسه وجيك
أنفاسنا من الذعر.

قلت لنفسي حين شحب وجهه: لم ير هذا من قبل، إنها تسرع من سير
الأمور، قال وكأنه يحاول إقناع نفسه: «لا توجد فيه طلقات».

قالت تشييلسي بهدوء: «على العكس تماماً، يمكنني استخدامه لإرغامك
على الكلام، ولكنني لست متأكدة من أنني أستطيع تحمل سماع نسختك عن
الحقيقة، لذا دعني أساعدك».

جيـك

منذ ست سنوات

فكـرت في سـري: بدا سـايمون أـشـبه بالـطـفـيلـيـات، حين أـخـبرـتـه أـنـني لا أـرـيدـ تـمـضـيـةـ اللـلـيلـ فيـ مـنـزـلـهـ، وإنـنيـ أـرـيدـ الـبـقـاءـ بـمـفـرـدـيـ معـ نـظـامـ الـأـلـعـابـ الـخـاصـ بـيـ. اـعـتـقـدـتـ أـنـهـ سـيـفـهـمـ التـلـمـيـحـ، وـلـكـنـهـ وـصـبـ حـقـيـقـيـتـهـ، وـوـضـعـ ثـيـابـاـ وـفـرـشـاهـ أـسـنـانـ وـرـافـقـنـيـ.

قلـتـ وـنـحـنـ نـقـودـ درـاجـتـيـنـاـ: «ـوـالـدـيـ لـيـسـ فـيـ المـنـزـلـ إـنـهـ تـعـمـلـ فـيـ الـمـكـسيـكـ»ـ.

قالـ سـاـيـمـونـ: «ـقـلـتـ تـعـمـلـ»ـ، بـنـبـرـتـهـ الـمـعـتـادـةـ الـتـيـ يـوـحـيـ مـنـ خـلـالـهـ أـنـهـ يـعـرـفـ كـلـ شـيـءـ، وـخـصـوـصـاـ فـيـ كـلـ مـرـةـ أـتـكـلـمـ فـيـهـاـ عـنـ وـالـدـيـ، تـمـنـيـتـ لـوـ أـنـنيـ لـمـ أـثـقـ بـهـ. بـدـأـتـ الـأـمـوـرـ فـيـ الـمـنـزـلـ تـتـحـسـنـ، وـأـوـشـكـتـ أـنـ أـنـسـيـ الـخـلـافـاتـ بـيـنـ وـالـدـيـ لـوـ أـنـ سـاـيـمـونـ تـوـقـفـ عـنـ اـسـتـحـضـارـ الـأـمـوـرـ مـرـةـ تـلـوـ الـأـخـرـ.

قلـتـ بـحـزـمـ: «ـأـجـلـ، لـدـيـهـ عـمـلـ، كـمـ أـنـ وـالـدـيـ لـيـسـ فـيـ الـمـنـزـلـ هـوـ الـأـخـرـ، فـهـذـهـ الـلـيـلـةـ مـخـصـصـةـ لـلـبـوـكـرـ»ـ.

سـأـلـنـيـ: «ـأـلـمـ تـخـبـرـهـ أـنـاـ قـادـمـانـ؟ـ»ـ.

قلـتـ: «ـلـاـ، لـمـ عـلـيـّـ إـخـبـارـهـ؟ـ»ـ. فـأـنـاـ لـمـ أـظـنـ أـنـهـ سـيـرـافـقـنـيـ.

اقـتـرـبـنـاـ مـنـ مـنـزـلـيـ، فـخـفـفـ سـاـيـمـونـ سـرـعـةـ درـاجـتـهـ، قـالـ: «ـيـبـدـوـ أـنـ وـالـدـكـ فـيـ الـمـنـزـلـ وـلـدـيـهـ رـفـقـةـ»ـ.

نـظـرـتـ إـلـىـ السـيـارـةـ الـزـرـقـاءـ الـغـرـبـيـةـ الـمـرـكـوـنـةـ بـالـقـرـبـ مـنـ سـيـارـةـ الـبـيـ أمـ دـبـلـيـوـ، وـقـلـتـ غـاصـبـاـ: «ـلـاـ يـمـلـكـ أـيـ مـنـ أـصـدـقـاءـ أـبـيـ سـيـارـةـ هـونـدـاـ، رـبـماـ تـكـوـنـ سـيـارـةـ لـتـوـصـيلـ الـطـعـامـ»ـ.

قالـ سـاـيـمـونـ: «ـهـذـاـ رـائـعـ فـأـنـاـ أـتـصـورـ جـوـعـاـ»ـ، رـكـنـاـ درـاجـتـيـنـاـ فـيـ الـبـاحـةـ الـأـمـامـيـةـ، وـلـكـنـ سـاـيـمـونـ لـمـ يـتـجـهـ إـلـىـ الـبـابـ الـأـمـامـيـ، بلـ اـقـرـبـ مـنـ سـيـارـةـ الـهـونـدـاـ وـتـفـحـصـ الـمـقـعـدـ الـخـلـفـيـ.

انـزـعـجـتـ فـسـأـلـتـهـ: «ـمـاـذـاـ تـفـعـلـ؟ـ هـيـاـ بـنـاـ نـدـخـلـ»ـ.

قال سايمون وهو يضع يديه حول عينيه ليلقي نظرة على الداخل: «هناك ملف لشركة كونراد وأولسن، أليست هذه الشركة التي تعمل فيها والدتك؟».

قلت بتوتر: «نعم».

قال سايمون: «هناك حقيقة أيضاً»، حاول فتح الباب الجانبي، وفاجأني عندما فتحه بسهولة «السيارة ليست مغلقة، يا للثقة!».

أبعدت سايمون عن السيارة، وأغلقت الباب: «كف عن هذا! لا بد أنه موظف توصيل إذ إن كونراد وأولسن لا تعطي أجوراً عالية، لا بد أن الموظف يحتاج إلى عمل ثانٍ إذا لم يكن لديه شخص يدعمه في النفقات».

قال سايمون: «لا شئ»، ولحق بي إلى الداخل.

فور دخولنا سمعنا أصواتاً فأوقفت تقدم سايمون، كان مصدر الأصوات المطبخ، قال رجل لم أتعُّرف إلى صوته: «انظر يا سكوت، أنا آسف، لم أظن أنك ستأتي إلى المنزل...».

صرخ والدي قائلاً: «لم تعتقد أنتي سأتي إلى منزلي اللعين؟».

ردد الرجل كلامه وقال: «أنا آسف، سأذهب».

قال والدي: «لن تذهب قبل أن تقول لي ماذا كنت تفعل في غرفة نومي ولماذا كنت توضب ثياب زوجتي؟».

تنفس سايمون بعمق وفتح عينيه: «يا إلهي، إن الأمور سيئة».

قلت بصوت هامس: «اخرس»، ثم سحبته بعيداً عن غرفة المعيشة، جلسنا على الأرض خلف الأريكة الوسطية قرب الطاولة التي زينتها أواني أمي المفضلة.

قال الرجل: «من فضلك يا سكوت»، كرهت هذا الرجل عندما أدركت أنه ألكسندر ألتون، تابع الرجل قائلاً: «أنا آسف على هذا الوضع، ولكنك... تعرف ما كنت أفعله، أنا أحب كاثرين وهي تحبني، وقد رأت أن من الأفضل أن تكون قد انفصلت عنك عندما تعود من المكسيك، كنت آخذ لها بعض الأشياء...».

صرخ والدي قائلاً: «قفْ مكانك»، أنا أعرف ما تعني هذه النبرة حق المعرفة، لا بد أن والدي قبض راحتي يديه بقوه «لا تتجراً وتحدث عن زوجتي بهذه الطريقة، سينتهي الآن أي وهم أصابك أو أصابها، ما كان يجدر بك أن تأتي إلى هنا».

«أنت محق، سأغادر»، حاولت وسايمون أن نخفي نفسينا أكثر، عندما لاحظنا أن أصوات الخطوات تقترب منا، ولكنها سرعان ما اختفت، قال ألكسندر: «من فضلك ابتعد عن طريقي».

قال والدي: «لديّ ولد، هل فَكِّرْت فيه حين طعنتني وغدرتني وحاولت تدمير عائلتي؟».

توقعنا منه أن يجادل والدي، ولكنه تكلم بصوت منخفض: «بالطبع، أنا أفَكِّرْ في جيك كل يوم».

قال والدي: «ماذا؟ لماذا؟»، ازدادت نبرته حدة حين لم يجب ألكسندر «لماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة؟».

قال ألكسندر: «تطن كاثرين... أنك تعرف».
«أعرف ماذ؟».

«لا شيء، لا تشغلي بالك»، صدرت أصوات تحركات وشجار ثم صوت ألكسندر ألتون وهو يقول «بالله عليك يا سكوت، هل فقدت عقلك؟».

أجايه والدي: «ربما، ما الذي ظنت أنني أعرفه؟»، لم يجبه ألكسندر فصرخ قائلاً: «ضفت ذرّعاً من سؤالك بلطف».

خيّم الصمت إلى أن أطلق ألكسندر ألتون تأوهًا بسبب ما فعله به والدي، وعندما تكلم بعدها لم يبُد صوته كالسابق، اختفت نبرة المغاراة والتهدئة منه، وحلّت محلها نبرة غضب بارد طفت على الخوف الكامن: «يا إلهي يا سكوت! يا لك من لعين، هل عليك حقاً أن تتساءل لم ترید كاثرين الهرب منك؟ ولم ترید إبعاد ابننا عنك؟».

اعتقدت أن نبضات قلبي كانت سريعة، ولكن تبيّن لي أنها كانت مجرد عملية إحماء أولية، فقد تسارعت الآن بشكل هائل.

قال والدي بغضب: «ابننا؟ أي ابن؟».

أغمضت عينيّ، وتمنيت أنني كنت قد سدّدت أذنيّ عندما قال ألكسندر: «جيءك».

سأله أبي: «بالله عليك ماذا تقول؟ جيءك ابني».

همس ألكسندر قائلاً: «كلا، إنه ليس ابنك».

قال ألكسندر في اللحظة ذاتها الجملة ذاتها ولكنه أضاف: «إنه ابني».

إنه ابني.

أغمضت عينيّ واحمّر وجهي، لا، هذا مستحيل، فأنا ابن سكوت ربوردان، لطالما كنت ابن سكوت ربوردان ولن يُغيّر شيء هذا، لن أنتمي إلى... عائلة ألتون، هل هذا ما كان الرجل يحاول قوله؟ هذا مستحيل وسخيف للغاية واضطرر والدي إلى إسكاته.

تمكن من فعل ذلك بعد صدور صوت ارتطام عالٍ.

قال والدي بغضب: «انهض، انهض أيها الكاذب»، تنفس بعمق للحظات، وحين تكلم مجدّداً بدا أنه غير متأكد من كلامه «انهض وتراجع عن الهراء الذي تفوهت به».

تنفس سايمون بهدوء، حدق بتمعن إلى الجدار الفاصل بين غرفة المعيشة والمطبخ، وكان لديه نظراً ثاقباً يتيح له رؤية ما وراء الجدار.

تمتم سايمون قائلاً: «هل تعرف شيئاً؟ لا أعتقد أنه سينهض».

الفصل السابع والثلاثون

أدي

الثلاثاء، 21 تموز

أمعنت النظر إلى المسدس الذي أمسكت به تشيلسي وسألت: «كيف تعرفين كل هذا؟».

قالت: «أخبرني سايمون كيليهير به».

فقدت صوابي حين سمعت باسمه: «سايمون؟ كنت تعرفينه؟ أخبرك بما حصل، وماذا جرى بعدها؟ هل التزمنت الصمت طيلة ست سنوات؟».

أشاحت تشيلسي بوجهها: «لم أكن أعرفه، قابلته مرة في الصيف الذي توفي فيه والدي حين كان يعبر فناء منزلنا الخلفي، وقتها لم يُطلعني على شيء، منذ عدة أشهر وصلتني رسالة فيها كل التفاصيل»، أضافت حين رأت تعابير الدهشة على وجهي «استخدم نوعاً من الخوادم التي ترسل بريداً إلكترونياً في وقت لاحق، كتب هذا البريد قبل ثلاثة أيام من وفاته، قال إنه أراد إيجاد حلًّا للأمور العالقة»، نظرت خلفها إلى غافين الذي وقف حارساً عند الباب، «قال غافين إن هذا البريد أرسله شخص ليربكني، ولكنني لم أعتقد هذا ففيه كثير من التفاصيل المنطقية».

تسارعت نبضات قلبي بسبب فيض الأسئلة التي دارت في رأسي. الآن، أخفض جيك رأسه وحدق إلى الأرض، سأله: «ولكن لم لم يخبر سايمون أحداً بما جرى؟».

ضحك تيشيلسي وقالت: «لماذا برأيك؟ لقد تعهد لجيءك أن لا يُخبر أحداً، ولكننا نعرف جميئاً ما موقف سايمون من الأسرار، أليس كذلك؟ لا بد أن تكشف في يوم من الأيام».

خرجت الكلمات مني من دون تفكير: «لم يكذب سايمون يوماً في حياته»، ثم أشحت بوجهي كي لا أرى عينيّ جيءك اللتين تقدحان شرراً «ولكن يا تيشيلسي، لم لم تخبرني أحداً حين وردتك الرسالة؟».

قالت: «لأنها وردت في الوقت الذي ظهرت فيه قصة المحقق المجهول، عرفت أن لا جدوى من الكلام وحتى لو استطعت إثبات أن الرسالة وردت من سايمون فمن سيكترش لذلك؟ لم يجد أحد أي اهتمام حين حاول جيءك قتلاً»، رفعت يدي إلى عنقي حين أضافت: «اعتقدت أن جيءك ساعد سايمون في خطة انتقامه بسببك أليس كذلك؟ لأنك خنته وأراد الانتقام منك».

قلت وأنا أشعر بضغط شديد حول حنجرتي: «في الحقيقة، أجل لأنه أوضح الأمر تماماً»، لقد فهمت بعد كابوس تي جي أن جيءك لا يتسامح في موضوع الخيانة أبداً، ولكنني لم أتخيل السبب المرضي الكامن وراء ذلك.

قالت تيشيلسي: «إنه سبب إضافي، ولكنه ليس السبب الرئيس، كان جيءك يدين لسايمون بخدمة لقاء صمته على ما جرى مع والدي».

لبرهة، تحاشيت النظر إلى عينيّ جيءك، ولكن حين نظرت إليه الآن لم يبادرني النظارات، تفرّست وجهه لأنني كنت أتوق للحصول على إجابات، هل هذا صحيح؟ هل هذا حقيقي؟ لم يشارك جيءك سايمون في خطته بسبب غضبه مني فحسب بل لأن سايمون كان يعرف سراً أعظم يتعلق بجيءك، هل هذا ما جرى فعلًا؟

رأيته يصرّ أنسانه، فحصلت على كل الإجابات التي أبحث عنها، نعم.

حدّقت تيشيلسي إلى عينيّ جيءك: «يا إلهي، هل كنت أحمق إلى هذا الحدّ، وصدقت أنه سيكتتم سرّك؟ أمضيت كل وقتك معه في رسم خطة تدمير حياة كل من كرههم، ولم يخطر في بالك أنه يكرهك أنت أيضًا؟».

ز مجر جيءك في وجه تيشيلسي ولكنها تابعت: «وبعد انتهاءي من قراءة الرسالة شعرت أن والدي مات مرة أخرى، لم أستطع التوقف عن مشاهدة حملاته الإعلانية القديمة وخصوصاً الحملة التي كان يعمل عليها قبل أن يتوفى تماماً، التمرين يصنع الأفضل، لا يُقدّر معظم الناس عظمة هذا الشعور ففيه كثير من المعاني المضمنة»، ازدادت نبرة صوتها حدة وقالت: «انتشر الإعلان

كثيراً في بيفيو حيث يفضل الناس تدليل الشباب من أمثال جيك، فهم يتدرّبون دائمًا ويصقلون حياتهم للوصول إلى المثالية، أليس هذا صحيحاً يا جيك؟».

ضربت قدمه فانتفض وكأنها حرقته، تابعت: «ولكننا نعرف جميّعاً ما هي لعبة بيفيو الحقيقية أليس كذلك؟ الانتقام، ولكنهم لم يتقدّموا هذه اللعبة فلا يستهدف أحد أفراداً مذنبين فعلاً، على الرغم من أن هذه البلدة تعج بهم، قررت أن الوقت قد حان لتغيير هذا. حين ظهر أمر المخلف المجهول أيقنت أنه سيُطلق سراح جيك – كنت سأراهن بكل قرش ورثته من بوليصة التأمين على حياة والدي على هذا الأمر – في أيار انتقلت وغافين إلى بيفيو، ويوم جلسة استماع جيك استخدمت كلمة المرور الخاصة بأبي لاختراق لوحة كلاريندون الإعلانية لأعلم الجميع بأننا سنلعب وفقاً لقادتي، التمرّن يؤدي إلى الأفضل، أردت فعل شيء من أجل والدي بهدف تحقيق العدالة له، خطوة بخطوة».

رددت وراءها: «خطوة بخطوة؟».

أومأت برأسها وقالت: «كانت الخطوة الأولى بحق شخص ارتكب خطأ، ولكنه ليس فادحاً، أي بحق شخص يمكن تعليمه، أردت أن تكون فانيسا هذا الشخص بسبب الطريقة التي دعمته فيها»، أشارت إلى جيك بالمسدس، ثم تابعت «لقد شجّعت تصرفاته السيئة، هل تعرفي أن شخصية الشباب من أمثال جيك تشكّل شيئاً فشيئاً؟ وأدت فانيسا دورها بشكل يفوق أي طالب آخر في ثانوية بيفيو، ولكن فيبي سرقت كأس فانيسا التي وضعت فيها مخدراً في حفلة نيت، وبعد أن أوشكت على أن تفقد وعيها في الفناء الخلفي أخبرتني بما حصل مع جيرارد جاكسون حقيقة».

تفاجأت بكلامها فقلت: «ماذا؟ ماذا تقصدين؟».

حركت تشييلسي رأسها وقالت: «ألم تخبرك فيبي كيف حمى أخوها إيمانويل لعبه حقيقة أو جرأة تستمر إلى أن قُتل براندون؟ لقد كانت تغطي عليه طوال الوقت»، اعتلت وجهي تعابير الدهشة عندما سمعت ما قالت، أما هي فضحكت ولكن وجهها عَبر عن حقد دفين. «لا أعتقد أن عليّ أن أندّهش، إنها كاذبة ماهرة إلى أن تنسى خط الدفاع الذي رسمته لنفسها، حالما جرى مفعول التخدير لم تستطع أن تطبق فمها، استمعت إلى كل تبريراتها المثيرة للشفقة وعندها استبدلت فيبي بفانيسا».

فيبي، أوبن، يا إلهي، لا عجب أنها كانت مدمرة كل هذا الصيف، أردت أن أعرف المزيد، ولكنني لم أرد أن أزيد من غضب تشيلسي الشديد تجاه فيبي، تجاهلت سؤالي وقلت: «ماذا عن ريجي؟».

رأيت شيئاً من الندم والغضب يرتسם على وجه تشيلسي: «لم يكن لريجي أي مشكلة في إخبار العالم أن جيك رجل جيد رغم كل ما فعله بك وبأصدقائك، وبسيامون، لطالما كان جيداً معنـي»، قالت العبرة الأخيرة بطريقة أثبتت أنها حفظت أيضاً مقال صحيفة بـايـفيـوـ ذـاكـ. ابتسـمـ جـيكـ الذـيـ ظـلـ صـامـنـاـ طـوالـ الـوقـتـ عـلـىـ نـحـوـ غـيرـ مـعـهـودـ وـمـعـ الـأـسـفـ لـمـ تـرـ تشـيلـسـيـ تـلـكـ الـابـتسـامـةـ الصـفـراءـ.

تابعت كلامها: «كما أن ريجي كان متنمراً مقرضاً، رأيت حساب كاترينا لوت على تيك توك كأي شخص عاش في بـايـفيـوـ، أثبتت التعليقات أنه لم يتغير، وعرفت أنه لن يتغير، إلا إذا تعرض لصـدـمةـ مـخـيفـةـ فيـ حـيـاتـهـ»، أخفضـتـ صـوـتهاـ وقالـتـ: «ـماـ كـانـ يـجـدـرـ بـهـ أـنـ يـمـوتـ، فـمـاـ حـصـلـ كـانـ أـمـراـ غـيرـ مـقـصـودـ، عـلـىـ عـكـسـ جـيكـ الذـيـ...ـ».

شعرت بالذعر يجري في جسدي، وحاولت أن أهدئ من روعي، ما أخافني في تشيلسي هو هدوءها الصادم، ومدى ثقتها بنفسها، اعتقدت أن بوعي إنقاذ الجميع، إذا استطعت زرع شيء من الشك في كل هذه الثقة «هذا فطـيعـ يـاـ تـشـيلـسـيـ، وـأـنـفـهـمـ مـاـ تـشـعـرـيـنـ بـهـ مـنـ غـضـبـ، وـلـكـ جـيكـ كـانـ صـغـيرـاـ عـنـدـمـاـ قـتـلـ وـالـدـهـ» - ليس والده الفعلي على ما أعتقد ولكنها ستفهم قصـديـ - «ـوـالـدـكـ، أـنـاـ وـاثـقـةـ أـنـ جـيكـ كـانـ سـيـوـقـفـ الـأـمـرـ لـوـ شـعـرـ أـنـ بـوـسـعـهـ فـعـلـ ذـلـكـ، لـاـ بـدـ أـنـهـ شـعـرـ بـالـخـوـفـ الشـدـيدـ».

سألت تشيلسي بـحـقـدـ: «ـأـحـقـاـ هـذـاـ يـاـ أـدـيـ؟ـ هـلـ هـذـاـ هـوـ جـوابـكـ بـعـدـ كـلـ شـيـءـ فـعـلـهـ بـكـ؟ـ».

حان وقت استراتيجية أخرى خصوصاً أنها لم تتكلم سوى الحق، إذا فـكـرـتـ فـيـ هـذـاـ مـطـوـلـاـ سـيـصـعـبـ عـلـيـ فعلـ الصـوـابـ، قـلـتـ لـهـ: «ـوـلـكـنـكـ قـلـتـ إـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ يـتـمـحـورـ حـوـلـ تـحـقـيقـ الـأـنـتـقـامـ بـطـرـيـقـةـ صـحـيـحةـ أيـ اـسـتـهـدـافـ الـمـذـنـبـينـ الـحـقـيـقـيـيـنـ بـالـفـعـلـ، لـمـ لـحـقـتـ بـجـيكـ إـذـاـ لـاـ بـسـكـوتـ رـيـورـدـانـ؟ـ»ـ.ـ لـاـ شـكـ فـيـ أـنـ خـسـارـةـ سـكـوتـ الذـيـ قـتـلـ أـلـكـسـنـدـرـ أـلـتوـنـ كـيـ يـحـفـظـ بـاـنـهـ عـقـابـ مـرـقـعـ،ـ وـلـكـنـيـ لـمـ أـشـعـرـ أـنـهـ مـنـاسـبـ،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـيـ لـمـ أـعـرـفـ شـخـصـيـةـ تـشـيلـسـيـ هـذـهـ حـقـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـلـكـنـيـ اـعـتـقـدـتـ أـنـ هـذـهـ الـمـفـارـقـةـ تـعـنـيـ لـهـ كـثـيرـاـ.

ابتسمت تشيلسي ابتسامتها الصفراء التي بدأت تخيفني بشدة، بدت وكأنها انتظرتني لأطرح هذا السؤال، وسرت لأنني سأله أخيراً، قالت: «لأنني لم أخبرك بكل محتوى الرسالة، لم يكن هذا كل ما قاله سايمون».

سايمون

منذ ست سنوات

أصغينا مطولاً، وشعرنا أن الوقت يمر ببطء شديد، أصغينا إلى السيد ريورдан حين يئس من إنعاش ألكسندر ألتون وراح يمشي جيئةً وذهاباً في المطبخ، وتنقل بتواتر بين الغرف، شعرت أن عدم اكتشاف السيد ريوردان لوجودنا كان معجزة، فقد مر بالقرب من المكان الذي كنا نختبئ فيه عدة مرات، وأيقنت أن السيد ريوردان فكر على هذا النحو: تخلص من الجثة، تخلص من سيارة ألكسندر ألتون، لقد توسل وتمنى ألا يكون هنالك أحد في الأرجاء لاحظ وجود سيارته، فكرت في أن آل ريورдан من أكثر الناس المحظوظين لأن الظلام قد حل وهذا يصب في مصلحة السيد ريوردان.

همس جيك لي بتواتر عندما توجّه السيد ريوردان إلى الرواق: «لا يمكنك إخبار أحد فلم يقصد فعل هذا».

أجبته بصوت خافت: «هل أنت متأكد؟».

«عدني يا سايمون من فضلك».

قلت كي أُسكته: «أنا أعدك».

وضع جيك رأسه بين يديه، وتقوقع خلف الأريكة، لا يزال السيد ريوردان بعيداً، ولكنه سيعود قريباً، بعض النظر عما خطّط له، لا شك في أنه لم يرد أي شهود، بدأ جيك يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف، وبدا هائماً في عالمه الخاص، فاستغللت الفرصة لأقف وأتسلل إلى الخارج بسرعة من دون أن أصدر صوتاً.

طوال طرقي على العشب صوب دراجتي شعرت بيد على ذراعي - يد جيك أو السيد ريوردان تحاول إيقافي والتسلل إلى للتكتم عن الأمر، لعلهما أرادا الإصرار على هذا الأمر أو الغضب مني وتهديدي إلى أن ينتهي بي المطاف كألكسندر ألتون، انهمكت في توقعاتي الدرامية التي جعلتني أشعر وكأن هذه المواجهة حتمية الحدوث لدرجة أنه حين وصلت إلى دراجتي خاب أملني لأنني لم أر شيئاً سوى مرج العشب الذي عبرته.

لقد كنت شاهداً على جريمة قتل ولا يزال آل ريورдан يعاملانني كأنني غير موجود.

أبعدت دراجتي عن العشب وركبتها ثم توقفت، لأنني لم أستطع الكف عن النظر إلى منزل آل ريورдан. لم أرد المغادرة الآن فقد أردت معرفة ما سيحصل.

عدت إلى نافذة مطبخ آل ريوردان، ورفعت نفسي حتى أرى ما يحصل في الداخل، تعرفت إلى جثة ألكسندر ألتون التي كانت في وضعية غير طبيعية، ورأيت جيك يقف بالقرب منها وهو يحدق إلى الأرض بعينين سوداويتين وفارغتين.

حدثت نفسي: سيعود السيد ريوردان في أي لحظة ليرى الابن الذي طالما اعتبره ابنه وهو يقف فوق جثة والده الحقيقي، لا أستطيع أن أعرف ما سيحصل عندها، إنها أغرب تجربة أمر فيها بحياتي، ما لم يتبيّن أنني أحلم.

عندما تحركت الجثة.

كدت أقع من حيث أقف، واعتقدت أن هذا محض خيال، إلى أن رأيت الصدمة بادية على وجه جيك، لم يتخيّل أي منا شيئاً مثل هذا؛ تحركت يد ألكسندر ثم رأسه بشكل طفيف ولكن أكيد.

ماذا؟ لا يزال على قيد الحياة! هل كان السيد ريوردان سيتصل بالإسعاف؟ كيف كان سيشرح لهم الأمر؟ وما موقف ألكسندر ألتون بعد خروجه من المنزل؟ حدثت نفسي: كان بوسعي أخذ جيك بعيداً فلا بد أن هذا ما خطط له مع السيدة ريوردان منذ البداية.

قبل أن أفکّر أكثر أمسك جيك بمنشفة معلقة على باب الفرن وطواها، انحني قرب ألكسندر ألتون، ورأيته يضغط بها على وجه ألكسندر، وعلى الرغم من أن ألكسندر نازع قليلاً، إلا أن جيك لم يبعد المنشفة، ولكن حركته توقفت بعد دقائق مرت ببطء.

قفزت من مكاني لاهثاً، اعتقدت أن بوسعي كشف السر وتدمير عائلة ريوردان وإخبار تشييلسي ألتون وشقيقها بما حصل لوالدهما تماماً، كان هذا ما على فعله على الأرجح، ولكنه ما كان سيعيد ألكسندر ألتون إلى الحياة.

وعدت جيك بكتمان السرّ، ولكنني وعدته عندما كنت أطّن أن موت ألكسندر ألتون مجرد حادث، والآن تحرّرت من وعدي.

أصبح جيك الآن مديّنا لي.

أصبح جيك يدين لي بخدمة كبيرة بعد أن أكمل ما بدأه السيد ربوردان،
أصبح في مقدوري أن أمره بفعل أي شيء.

ركبت دراجتي وقررت الانتظار، أردت أن أنتظر لأرى كيف سيتخلص
السيد ربوردان مما فعله، ربما شعر هو وجيك أنهما في أمان حينها وكأنهما
العائلة المثالية التي تظاهرا بها كل حياتهما ولكنهما لم يعودا كذلك، فبوسعي
كشف الحقيقة في أي وقت.

قلت وأنا أتحرك على دراجتي: الأسرار هي القوة الحقيقية.

الفصل الثامن والثلاثون

۱۷۳

الثلاثاء، 21 تموز

أرتعشت وأنا أقول: «هل جيك هو من قتل والدك؟».

أجبت تشيلسي: «والده أيضًا».

قال جيك بغضب: «ليس والدى! لقد كذب سايمون!».

«لم يكذب سايمون يوماً في حياته»، في هذه المرة قلتها دون أن أنظر بعيداً.

عرفت قدرة جيك ونجوت منها بأعجوبة، ولكنني اعتقدت حتى هذه اللحظة أنني من أخرج الوحش من حجره، لم ألحظ أنه موجود قبل أن تلتقي.

قال جيك بسخط: «أصبح سايمون رمز الفضيلة الآن أليس كذلك؟ ستصدقين أي شيء يقوله رغم أنه سعى لتدمير حياتك».

قلت يهودي: «كما سعيت أنت تماماً».

أخطأ تشييلسي بشأن جيك إذ إنه لم يصدق أن سايمون سيكتم سره لأنه أحمق، صدقه لأنه مغدور وأناني، إذا عزم جيك لبرهة على فهم سايمون كيليه الصبي الذي عرفه منذ الروضة كان سيكتشف أنه لن يترك سرّاً كهذا طي الكتمان.

لكن ما لم أستطع اكتشافه هو سبب إخبار سايمون تشيلسي بهذا السرّ، لم لم يوجّه هذه الرسالة إلى والدتها – التي كانت على قيد الحياة حين توفي سايمون – أو إلى شقيقها أو شقيقتها؟ هل لأن سايمون قابل تشيلسي مرة؟ أي لأنه شعر أن بسعها الإقدام على شيء كهذا؟ ولكن هذا مستحيل لأن تواصلهمما كان قصيراً للغاية، ولكن بطريقة ما وبعد سنة من وفاته تمكّن سايمون من رمي عود ثقاب على كيس من البارود.

ضحك جيك بسخرية وقال: «كنت محظوظة بمرافقتي».

تقدّمت تشيلسي وقالت: «أحسنت صنعاً يا جيك، شكرًا لأنك أثبتت أنه من المستحيل أن تتغيّر، لقد تفهمت الأمر يا أدي أليس كذلك؟ لا أستوي صنيعًا لي ولك ولشقيقتي وحسب بل للعالم بأسره أيسًا». سمعت صوت طقطقة حين حررت مفتاح أمان المسدس وأخفضت ذراعها ووجهت المسدس إلى قلب جيك تماماً: «يمكنك الاعتراف بأنك تريدين تحقّق هذا الأمر».

«أنا...». حدقت إلى قطعة الحديد بيديها ولاحظت أن جيك بدأ يتنفس بسرعة، أردت عدة أمور الآن: أن يكون نيت على ما يرام، وأن تخرج فيبي من هنا بأمان، وأن تعمل برونونين مع ميف بسحر آل روخاس المعهود بحيث يتسلّى لي رؤية أصدقائي وعائلتي مجدداً ومقابلة ابن أو ابنة أخي.

ولكنني لم أرد هذا الأمر.

قلت لها: «يمكنك زج جيك في السجن وسيتحقّق انتقامك حينها».

ضحك تشيلسي باستهزاء: «هل أنت جادة؟ لم يبقوه خلف القضايا حين ضبطوه بالجريمة المشهود وهو يخنقك بيديه، هل تعتقدين أنهم سيكترون برسالة كهذه؟ افترضي أننا وجدنا طريقة لإثبات أن سايمون هو من كتب الرسالة ولكنك سمعته أليس كذلك؟»، أشارت إلى جيك برأسها وتتابعت: «لن يتوقف عن الإصرار على أن سايمون يكذب، وليس هناك دليل، اعتقدت أن ما حصل هو أن سكوت ريو DAN قاد سيارة أبي إلى الشاطئ وألقى بجثته في المحيط، ربما ساعده جيك وربما لم يساعدته»، توقفت قليلاً قبل أن تتابع: «ولكن والدتي توفيت وتهشمّت السيارة ولن أستطيع أن أثبت شيئاً».

قلت لها: «يمكنك إجراء فحص أبوة، سيظهر هذا أن الرسالة أصابت في شيء واحد، كما أن الفحص سيعطي دافعًا».

قالت تشيلسي: «ليس كافياً، أنت تدركين أن هذا ليس كافياً».

قلت لها بتossl لأنني لم أجد حجة أخرى: «ليست هذه الطريقة الصحيحة، فلن تُشعرك بأي تحسن».

قالت: «ربما لا، ولكنها لن تُشعرني بالسوء».

قال غافين فجأة: «تشيلسي»، أوشكت على نسيان وجوده لأنه ظل صامتاً طوال الوقت، تابع قائلاً: «انتظرني، هل تسمعين هذا؟».

لم أفهم ماذا يقصد في البداية، لأنني كنت مرّكزة على تشيلسي، ثم سمعت ما تحدث عنه: صوت ارتطام دواليب سيارة بالحصى على الممر الأمامي. خفق قلبي بسرعة حين ذهب غافين إلى النافذة ونظر خارجاً، سأل: «من يقود سيارة سوبارو سوداء؟».

سألت تشيلسي: «ماذا؟». عندها صرخت بأعلى صوت: «كوبر!»، أردت أن أضع يدي على فمي كي أردع نفسي من قول الاسم، ولكن فات الأوان.

بدأ جيك يضحك باستهزاء ووضع نهاية لأملبي، قال بصوت هادر: «أتى كوبر كلاي لينقذ مجدها، ولكنك الآن أنت من ستتلقين الضربة على رأسك».

قال غافين: «معه رجل آخر، ضخم وداكن الشعر، لا أعرفه»، اعتقدت أنه لويس ولكنني كبحت نفسي عن الإفصاح عن اسمه، ابتعد غافين عن النافذة وأضاف: «لا أعتقد أن بوسعي هزيمتهما يا تشيلسي حتى لو فاجأتهما»، نظر إلى المسدس بيد تشيلسي وقال: «إلا إذا...».

قالت تشيلسي بقرف: «يا إلهي يا غافين! لن نقتل كوبر! فهو لم يفعل لنا شيئاً»، رغم كل ما فعلته شعرت بالامتنان حين قالت هذا، إنني قلقة جدًا على نيت فلن أستطيع تحمل أن يتعرض صديق آخر لي للأذى وهو يحاول حمايتي.

«حسناً، علينا أن نغادر»، أمسك غافين بذراع تشيلسي حين صدر صوت ضوضاء عالية من الأسفل، بدا أن كوبر ولويس استخدما كل ما يمتلكان من قوة لفتح الباب الأمامي، قال غافين: «هيا يا تشيلسي، لقد فعلت كل ما بوسعي».

قال جيك وهو يبتسم: «ولكن ليس بالجودة المطلوبة».

بدت تشيلسي غير واثقة بنفسها للمرة الأولى منذ أن رأيتها في المطبخ، قالت: «لا... لا أعرف ماذا عليّ أن أفعل».

قال غافين: «دعينا نغادر من الباب الخلفي يا حبيبي، هيا، سنختفي
بأسرع مما خططنا له».

بدت عينا تشيلسي كالبلور حين سمحت لغافين باصطحابها إلى الرواق وهي لا تزال ممسكة بالمسدس الذي وجهته صوب الأرض حينها، تجمدت في مكاني، وأنا أنقل نظري بين ابتسامة جيك الخبيثة ووجه تشيلسي الكئيب وكدت أفوّت تغير ملامحها، اعتلت ملامح البرود وجهها مجدداً، وابتسمت ابتسامتها الصفراء التي عرفتها تماماً ورفعت ذراعها.

قالت: «أنا أمنز فقط، أعرف تماماً ما على فعله» ثم ملأ صوت إطلاق النار أذني.

الفصل التاسع والثلاثون

فيبي

الثلاثاء، 21 تموز

بالغت تشيلسي في وصف هذه الغرفة إذ لم تكن معزولة تماماً، استطاعت سماع عدة أشياء، صوت طرق متكرر وصوت طلقة بعيد يشبه آخر فرقعة في الألعاب النارية، وصوت صرخة طويلة.

عم الصمت، وشعرت بالوقت يمر ببطء إلى أن سمعت صوت خطوات أقدام تقترب مني، خفق قلبي في صدري، وأنا أحاول تجهيز نفسي لما ينتظري خلف الباب، تمنيت أن تكون الخطوات عائدة لرجال الشرطة حتى أني رضيت بقدوم تشيلسي، ذكرت نفسي: لو أرادت قتلي لكنت في عداد الموتى الآن.

لكنني أينقت إلى حد ما أن الصرخة صدرت من فتاة، إن أسوأ سيناريو هو أن يكون جيك قد فعل شيئاً لتشيلسي وهو يتوجه صوبى الآن.

ضغط على مقبض الباب، ولكنه لم ينفتح، اهتز وقرقع فقلت في نفسي: ليست تشيلسي، وانكمشت معدتي من الخوف، ثم صدر صوت ارتطام حديد بحديد، ففتح الباب ودخل كوبر.

لم تسعني الدنيا من الفرح، بدا كوبر فرحاً برؤتي و هو يلقي مفكاً على الأرض ويقول: «مرحباً يا فيبي، هل أنت على ما يرام؟».

لم أستطع فعل شيء سوى أن أرمي وهو يتقدم نحوه ويجهو بالقرب مني، قال بصوت لطيف يضاهي رقة يديه وهو يحاول فك وثافي: «دعينا نفك وثاقي، وسيكون كل شيء على ما يرام».

تلعثمت وأنا أقول: «كيف... كيف عثرت علىّ؟ أين تشيلسي؟».

ناداني صوت مألهوف قبل أن يجيئني كوبر: «فيبي!»، تفاجأت كثيراً حين رأيت أدي ترکض إلى الغرفة، قالت لي: «هل كل شيء على ما يرام؟».

لم أستطع قول شيء أفضل: «ماذا تفعلين هنا؟».

قالت أدي وهي تلتقط أنفاسها: «كنت مع غافين - الذي هو صديق تشيلسي الحميم منذ الثانوية، إنها قصة طويلة، حين اكتشفت من كانوا هاجمه غافين وأمسك بي و...»، حولت تركيزها على كوبر الذي استطاع حل العقدة التي قيدت معصمي، «لا بد أن نيت على ما يرام أليس كذلك؟ أليس هو من أخبرك أنت ولويس عن مكاننا؟».

سألت: «هل لويس هنا؟» على الرغم من أنه لم يجدر بي أن أندھش على الأرجح بأن بتحول هذا الوضع إلى اجتماع ارتجمالي لنادي القتل.

قال كوبر باختصار: «في الأعلى»، سقط الجبل إلى الأرض، ودلكت معصمي حين أضاف كوبر: «لا أعرف ماذا جرى مع نيت يا أدي، أتيت إلى هنا لأن مارشال ويتفييلد أتى إلى منزلي ليقول لي إنه رأى فيبي تدخل مبني سكنياً ورأى شخصين يضعانها في سيارة ويقودان بعيداً».

حدقت أدي إلى عينيه، وكأنها لم تصدق ما سمعته، ردّدت: «مارشال ويتفييلد؟ المُحَلَّف المجهول؟ هل تقول لي إن هذا الرجل فعل شيئاً خيراً في النهاية؟».

قال كوبر وهو يركز على معصمي: «أعتقد هذا، خشي من الذهاب إلى الشرطة لأنها اعتقد أنها ستعتبره متعقباً، لذا لجأ إلىّ، أرسلت رسالة إلى طاقم بايفيو فأعطتني مايف العنوان، قالت إنه لا يزال ملكاً لعائلة ألتون لذا أتيت ولويس للتحقق من الأمر»، زم شفتيه وهو يضيق: «وقالت إن نيت مصاب ولكن... هذا كل ما قالته».

قالت أدي وهي تتحرك على غير هدى: «يا إلهي! أحتاج إلى هاتفي، أخذه غافين ولا بد أنه لا يزال معه...»، نظرت إلى كوبر «هل أستطيع استخدام هاتفك؟».

قال كوبر: «بالطبع» توقف لبرهة ليخرجها من جيده ويفتح قفله «لا بد أن لويس يتحقق من الأمر بالفعل أو ربما... تعرفين ما أقصد»، تنهنج وهو ينحني مجدداً كي يفك وثاق قدمي «يخبر الشرطة بما جرى في الأعلى».

«في الأعلى؟، ولّى شعور الارتياح، وحلّ محله الذعر الشديد وتابعت: «ما الذي تتكلّم عنه؟ وماذا حصل لنيت؟».

تنفست أدي بعمق وقالت: «أنا... أنا متأكدة أنه بخير، عليّ إجراء بعض الاتصالات وحسب، ولم يجدر بي ترك لويس بمفرده في... ذلك الوضع»، خرجت إلى الرواق، وشعرت فجأة بالحزن حين فكرت أنها ستبتعد عنى.

ناديتها وقلت: «أدي، انتظري! بمفرده؟ وفي أي وضع؟».

تجمّدت أدي في مكانها، وتوقفت فجأة لدرجة أنها وضعت يدها على الجدار للمحافظة على توازنه، ثم قالت دون أن تنظر إلى: «لقد مات جيك».

الفصل الأربعون

فيبي

الجمعة، 24 تموز

بعد ثلاثة أيام، أصبح العالم مختلفاً للغاية مع أنني لم أختبر كثيراً من جوانبه، التزمت عائلتي شقتنا منذ انتشار الخبر، أما أنا فغادرت مرة لأزور نيت في المستشفى بعد أن استعاد أخيراً وعيه، رأيت برونوين كالعادة بالقرب منه وهي تمسك يده، فجلست على حافة كرسي قرب سريره.

سألته: «لم أنت الوحيد الذي يتعرض لإصابات؟».

أجابني: «لأنني مغفل يسهل التخلص منه، وبغض النظر عن أي جريمة نتعامل معها، لطالما كنت خارج العمل حين تسوء الأمور».

فذكرته بأنني: «كنت خارج العمل أنا الأخرى»، فكافأني بابتسمة صغيرة.

قال نيت: «حسناً، ولكن عليك التدرب كي تصل إلى مستوىي، فأنا فزت بثلاث جولات على التوالي»، مددت يدي لتصافح وكان لطيفاً بما يكفي كي لا يتجاهلني.

أبعدت برونوين خصلة داكنة عن جبهته، وقالت: «أنت تنظر إلى الأمور من منظور خاطئ، ما كنا سنكتشف أي شيء لولاك، لو لم تمض وقتاً مع والدك لما عثروا على فيبي أو ريجي، ولم يكن بوسع أحد غيرك إحضار فانيسا أو جمعها مع السيدة ريوordan كما أنك الوحيد الذي عرف غاففين...».

اكفر وجه نيت وقال: «لا أعتقد أنني أريد تلقي المدح على هذا الجانب».

قالت برونونين: «أنت محور كل شيء، هل تخيلت حدوث هذا منذ سنتين؟».

تمّت نيت: «لم أتخيل الحصول على هذا العدد من الندوب»، مُرر يده على الندبة الجديدة فوق جبهته، ولكنه بدا راضياً.

قلت له: «يسريني أنك بخير»، شعرت أنني لا أعرف نيت بقدر ما عرفت البقية من خلال محادثة طاقم باليفيو إذ حلول الوقت الذي بدأت فيه صداقتنا بدأت أخفي الأسرار، ولكنني أردت تفسير هذا، وخصوصاً الآن، فلم يعد أمامي شيء أخفيه.

كُشف كل شيء يتعلّق بأوين وأصبحت عائلتي تحت أنظار الصحافة، استعددت للأسوء، ولكن برنامج ميخائيل باورز تدخل باكراً وسلط الضوء على بايفيو ليلة قتل تشيلسي لجيك، قال ميخائيل في نشرته الأولى: «خطّطت تشيلسي ألتون لانتقام مفصل يتمحور حول معاقبة المسؤولين عن ماضي بايفيو الدموي والمريض، والبلدة الآن أمام خيارين، هل سيصيغون فتى نادماً عزم على قرار مروع أو سيركزون على المشكلة الاجتماعية الأوسع ألا وهي التحيز والاستحقاق اللذين أصبحا إرث هذه البلدة؟».

بدا أن بلدة بايفيو تميل إلى الخيار الثاني حتى أن الناس أبدوا تعاطفهم معه وقلّهم على أوبين، إن مشاركة محامي إيما مارتن مكوي في حلقة ميخائيل باورز الثانية وعرضه للمراسلات الأخيرة بين جيرارد وأوبين ساعد في تحسين الوضع، كتب أوبين بعد وفاة براندون: لم يكن من المفروض حدوث هذا، شرح مارتن أن جيرارد لم يذكر شيئاً في كل الرسائل عن قتل براندون إلى أن حصل الأمر، لم يلحظ أوبين أنه شارك في التخطيط لجريمة قتل، لقد فهمت إيما عندما كانت في السابعة عشر من عمرها أن هناك خطباً ما في جيرارد فتوقفت عن التعامل معه، ولكن أوبين الذي يصغرها بخمس سنوات لم يملك الحدس ذاته.

دارت نسبة كبيرة من التغطية على السيد ريورдан على الرغم من أن مصيره ليس واضحًا لغاية هذه اللحظة، حاولت شرطة بايفيو إثبات أن الرسالة التي تلقتها تشيلسي أرسلها سايمون، وقال مارتن إنها ستعتبر شائعة حتى لو استطاعوا إثبات أن سايمون من أرسلها، ولكن كان هناك ما يكفي من التفاصيل حول ما حدث إذ إن معظم الناس يصدقون أن هذه الرسالة قريبة من الحقيقة، وكما اعتادت أدي أن تقول: إن السبب الرئيس وراء تحكم سايمون كيليهير بعدد كبير من الناس ولسنوات طويلة هو أنه لم يكذب يومًا في حياته.

استطاعت كل من تشيلسي وغافين مغادرة بايفيو بعد قتلها جيك، ولا أحد يعرف مكانهما، تركت خلفها ملاحظات مفصلة في شقتها - أشبه ما يكون بكتيب سايمون منذ سنتين - واعترفت بمسؤوليتها عن كل ما جرى لفيفي وريجي وجيك، كتبت في النهاية: أنا آسفة لأن ريجي قد توفي لأنني حاولت إخافته وحسب، ولكنني لست آسفة على ما فعلته بجيك، فقد سلبني أبي، وساعد سايمون كيليهير على الانتحار، وحاول قتل أدي برينتس، كان سيمضي كل حياته في إيذاء الناس، وما كان أحد ليضع له حدًا. لذا توليت المهمة بنفسني.

هناك عملية بحث مكثفة عن تشيلسي وغافين ولم تنفك الشرطة عن السؤال عن أي تفاصيل يمكن أن تفيدهم في ملاحقتهما، اعتتقدت أن بوسعي القول لهم إن تشيلسي قالت لي مرة إنها تحلم بالعيش في كولورادو ولكن... لم أقل ذلك، لم أستطع أن أكرهها، ولا أعتقد أنني أريد أن يُقبض عليها، ففي النهاية شنت نصف عائلتي حملة انتقام بعد وفاة والدي مع أن تعطيل براندون للرافعة لم يكن متعمدًا، لم أستطع تخيل الغضب الذي كنا سنشعر به إذا فعل شيئاً مثل جيك.

صحيح أن تشيلسي مضطربة، إلا أنها محقّة بشأن عدة أمور وخصوصاً في ما يتعلق بي وبإيما وبأوين.

لقد أمضينا كثيراً من الوقت العائلي خلال الأيام القليلة الماضية، واستغرقنا وقتاً طويلاً في التبرير لأمنا لم التزمنا الصمت؛ فلم تكن المسألة قلة ثقة بل محاولة فاشلة في حمايتها لأنها عانت كثيراً بالفعل، وكان هذا خياراً فظيعاً كما كررت أمي لنا عدة مرات. كما قالت إن ضريبته هي العلاج النفسي لوقت غير محدد بدءاً من أول جلسة عائلية يوم غد وجلسات منفصلة ابتداء من الأسبوع القادم.

في الحقيقة، كنت أتطلع للعلاج إذ إننا في أمس الحاجة إليه.

تمتم أوبن، وهو يجلس على الأريكة حين ظهر إعلان في برنامج ميخائيل باورز: «هل يمكننا متابعة شيء آخر؟»، لقد جلس بيبي وبين إيماء في حين جلست أمي على كرسي عال في المطبخ، وقطبت حاجبيها وهي تنظر إلى حاسوبها المحمول، في هذه الأيام ما كنا نبتعد عن بعضنا أكثر من عدة أقدام إلا عندما ننام.

قالت إيماء وهي تمد يدها لتمسك بجهاز التحكم: «أعتقد أن ليز روسين ستقدم تقريراً حصرياً على القناة السابعة، قيل إنها ستستضيف مارشال ويتفيلد».

تمتمت: «يا إلهي!»، سرت لأن مارشال لم يعد خبيئاً ولكنني لم أستطع أن أعتبره بطلارغم أنه ساعدني في الخروج من منزل تشيلسي.

قال أوبن وهو ينكمي على ذاته: «قصدت شيئاً مختلفاً، لا أستطيع أن أتحمل سماع اسمي أكثر».

أوقفت إيماء القناة بشكل مؤقت بدلاً من إغلاقها، وقالت: «ولكن الناس يقون في صفك».

قال أوبن: «هذه هي المشكلة في حّذاتها، أنا واحد من أولئك الناس الذين يتكلم عنهم الجميع، هل تفهمون قصدي؟ أي الناس الذين لا يواجهون عواقب أفعالهم السيئة».

اقتربت منه لأمسك بيده، وتفاجأت حين سمح لي بذلك، صحيح أنه أصبح أطول مني، ولكنه بدا كأخي الصغير للمرة الأولى منذ أشهر «ستواجه عواقب بالفعل، ولكنها ستكون متناسبة مع عمرك».

تنفس أوبن بعمق وقال: «حتى والدا براندون كانوا لطيفين معي».

لم أذكر له أن والدي براندون لا يزالان يعيشان مع ذنب طيش براندون الذي تسبب بالحادث الذي قتل والدنا، استطاعت التعاطف معهما الآن ومع الأسباب التي دفعتهما لحمايته، فنحن فعلنا الشيء ذاته مع أوبن، اخترت أن أقول له: «عُرفاً أنك لم تفهم ما يخطط له جيرارد».

سبقني وقال: «كنت في قمة الغباء، ولا تقولي إنني كنت مجرد فتى في الثانية عشرة، لقد كنت أدرك عواقب ما أقدمت عليه ولكنني... اشتقت

إلى أبي للغاية فلم أستطع التفكير بشكل سليم».

قالت إيماء وهي تمسك بيده الأخرى: «أعرف هذا، وأنا أيضًا».

قلت: «وأنا كذلك»، وفكرت بحسنة كم كان أبي سيسعد برؤيتنا ونحن نمسك مجددًا بأيدي بعضنا رغم أنها قاسينا الكثير للوصول إلى هذه المرحلة.

قالت إيماء: «يا لفببي المسكينة! يجب ألا تشعري بالذنب إلى هذا الحد، ولكنك دائمًا تضعين كل شيء على عاتقك».

قلت لها: «على الأقل لست نيت».

قالت أمي من أعلى حاسوبها المحمول: «عمن تتحدثون؟».

قالت إيماء: «عن شعورنا المتواتر بالذنب»، أصبحت الصراحة المطلقة إحدى أهم القواعد الجديدة في عائلتنا.

قالت أمي وهي تنظر إلى وجه ميخائيل باورز المتجمد على شاشة التلفاز: «ربما حان الوقت لمشاهدة شيء آخر».

قال أوبين: «هذا ما قلته لهما».

سألت بتوتر ما دامت قد جلست أمام الحاسوب المحمول مطولاً: «ما الأخبار يا أمي؟ هل حصل شيء جديد؟».

قالت: «أتبادل الرسائل مع مارتن، إنه متعاون للغاية، ستنقابل على الغداء يوم غد لنتحاور بشأن استراتيجية الدفاع، لا يعتقد بأن تهمنا ستقدم بحق أوبين بسبب التعاطف العام ولأن الرسائل أظهرت بوضوح عدم وجود نية قتل، ولكنه قال إن علينا الاستعداد لأي شيء».

تنحنحت إيماء وقالت: «بمناسبة الصراحة المطلقة يا أمي، أريد أن أقول لك إن مارتن يستعد ليطلب منك الخروج في موعد ليس له علاقة بالقانون على الأرجح».

عممت لحظات من الدهشة قبل أن تتلعثم أمي وتقول: «هذا غير معقول!»، تمدد أوبين على الوسائد عندما مددت يدي لأضرب إيماء على كتفها.

قلت: «لقد فكرت في الأمر ذاته!» ثم تبادلنا الابتسامة.

قالت: «إنه التخاطر مجددًا، لصالح الخير».

قالت إيماء: «نعم بالطبع، ولكنني قصدت من الآن فصاعداً».

رن الهاتف الداخلي ونهض أويين بسرعة حتى لا يضطر لتحمل عناق جماعي مجدداً، قال وهو يتجه إلى الباب: «سأرد على الهاتف، سمعت صوتاً لم أميزه ثم عاد أويين وجلس على الأريكة مجدداً، قال: «إنه نوكس، لقد فتحت له الباب».

«حقاً؟»، نظرت إلى هاتفي لأرى إن كنت قد فوّت إشعاراً ما «لم أتوقع قدومه ولكن... حسناً، دعوني فقط...»، نهضت وعاينت شقتنا المزدحمة والوجوه الثلاثة التي تحدق إليّ وكأنها انتظرت مني مصارحتها بشيء، إن الصراحة المطلقة لا تعني انعدام الخصوصية أليس كذلك؟ «سأقابله في الأسفل».

قال أويين وأنا في طريقي إلى الباب: «إنه في طريقه إلى الأعلى».

قلت وأنا أنسحب من الغرفة: «سأقابله في الرواق إدّا».

لا بد أن الحظ قد حالف نوكس في ما يخص توقيت المصعد إذ إنه دخل الرواق فور إغلاقي للباب، توقف مكانه وقال: «مرحباً، أردت رؤيتك».

قلت: «أعرف هذا، هل يمكننا التحدث في الخارج؟ لأن شقتي الآن مزدحمة قليلاً».

قال نوكس: «بالطبع، أو يمكننا الصعود إلى السطح إن أردت».

رفعت حاجبي وقلت: «أنت؟ على سطح؟».

قال مع ابتسامة كئيبة: «بدأت أتأقلم مع المرتفعات».

قلت وأنا أضع يدي على باب الدرج: «هياً بنا إن كنت واثقاً».

«أنا واثق».

عندما فتحت الباب ولحق بي نوكس، تبادلنا الرسائل بكثافة منذ أن أخرجتني الشرطة من منزل تشيلسي، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أقابله فيها، أردت رؤيته، ولكنني لم أعرف ماذا سأقول، واعتقدت أنه كان مثلي لأننا لم نتفوه بحرف واحد ونحن نصعد الدرج.

أخيراً قال عندما وصلنا إلى الدرج: «آسف لأنني ظهرت فجأة، ولكنني خشيت أنك ستمعنيني من القدوم إن أعلمتك مسبقاً».

الآن، أصبح هناك طاولات على السطح، فاخترت طاولة قريبة من مركز السطح جلست إليها وسألته: «لماذا ظننت أنني سأمنعك؟».

«بسبب الطريقة التي تصرفت بها حين أخبرتني عن أوين»، مرر نوكس أصابعه عبر شعره الذي أنارتة الشمس وهو يجلس أمامي «لم أتعامل مع الأمر بشكل جيد وارتكتب أخطاء كثيرة...».

قاطعته وقلت: «لا، كنت محقاً في كل شيء»، لو صارت أمي في تلك الليلة لا بد أن أوين كان سيعترف قبل أن تتمكن تشيلسي من وضع قلادة ريجي في حقيقته، وما كنت سأذهب إلى شقتها وأتعرض للاختطاف مجدداً، ربما ما كان سيتغير شيء سوى أن تشروع العائلة في الالتحام مجدداً وفي وقت أبكر.

قال: «ومع هذا، لم أُعِّبر عن حقيقة قصدي»، تأملني قليلاً ثم نظر إلى السماء الواسعة قبل أن ينظر إلى عيني «إن اطلاعك لي على الأمر عنى لي الكثير وشعرت أنني خييت أملك».

قلت له: «لم تفعل هذا».

«يسريني هذا لأنني لا أريد التوقف عن التحدث إليك».

قلت له: «ولا أنا أريد ذلك»، تبادلنا ابتسامة أزاحت الضيق عن صدري. فجأة قال نوكس: «تبدين رائعة»، ثم تبدلت تعابير وجهه وكأنه شعر أن الوقت غير مناسب للإطراء «أقصد رغم كل ما مررت به».

ابتسمت وقلت: «ما تقييمك لروعتي؟».

«لا، في الواقع، من غير المفاجئ أن يتأثر مظهرك بالظروف التي... مررت بها...»، كدت أضحك لأنني استمتعت بارتباكه فشعر بالذنب ولكنه قال: «ما قصدت قوله هو أنك تبدين جميلة يا فيبي كالعادة».

«آه»، ارتكتب بسبب نظرة نوكس المفعمة بالمشاعر «شكراً لك».

«هل تريدين...»، توقف عن الكلام ونظر حولنا، نبض قلبي بسرعة إلى أن قال: «العودة إلى شقتك»، لا بد أنني بذلت خائبة لأنه أضاف في الحال:

«أعرف أن لديك كثيراً من الأمور العائلية لذا...».

قلت له: «هذا صحيح، فالوقت غير مناسب، ولكنه على هذا الحال دوماً حين يصل الأمر لي ولك، وسئمت من هذا لذا...»، أمسكت بيده وشبكت أصابعنا «أريد النزول إلى الأسفل، ولكنني أريد الذهاب إلى منزلك ومشاهدة الأفلام في غرفتك»، ابتسمت حين رأيت وجهه يحمرّ خجلاً، إنه طريف للغاية حين يخجل «إلا إذا أردت البقاء في غرفة المعيشة ففي هذا الحال سأصنع وعاء فوشار كبيراً لنضعه بيننا ولن نتحدث عن هذا الأمر مجدداً».

قال بصوت أخش: «لا، يا إلهي، لا أريد غرفة المعيشة».

قلت له: «هذا رائع، دعنا نخبر أمي أننا ذاهبان»، نهض نوكس بسرعة وهو لا يزال يمسك بيدي، وضحكـت حين ارتطمت ركبـتاه بالطاولة، قـلت له مـمازحة: «لا تؤذ نفسك ولا تـنـظـرـ منـ الحـافـةـ فـسـتـشـعـرـ بـالـدـوـارـ».

قال نوكس وهو يبتسم ويسـمـحـ لي بـسـحبـهـ إـلـىـ الـدـرـجـ: «ـفـاتـ الـأـوـانـ،ـ وـلـمـعـلـوـمـاتـكـ،ـ لـيـسـ الـارـتـفـاعـاتـ هـيـ السـبـبـ».

الفصل الحادي والأربعون

٦٧

الثلاثاء، 28 تموز

سألتني أمي وقد اعتلى القلق تعابير وجهها: «هل يجدر بك حضور الحفلة؟».

قلت وأنا أنهض بهدوء وحذر عن الأريكة في غرفة معيشتها: «ستكون حفلة هادئة للغاية»، لم يعد رأسي يؤلمني بشدة إلا إذا نهضت بسرعة «لا أفعل شيئاً في هذه الأيام سوى التنقل بين أريكتك والكرسي المريح في باحة برونوين الخلدية».

قالت أمي: «أعرف هذا، ولكن يجب أن تهون على نفسك»؛ احتضنتني بذراعها وكأنني احتجت لمساعدتها في الوصول إلى الباب الأمامي، لم أحتاج لأي عون، ولكني لم أقل شيئاً، توصلتني قائلة: «لن أستطيع احتمال تكرار ما حدث في الأسبوع الماضي محدداً» وأنا ألوح لأدي التي ركنت سيارتها أمام منزل أمي «تعرف أني أحب أصدقاءك، ولكن لا يمكنك أن تضع نفسك في هذه المواقف مراراً و...».

قلت لها: «لن أفعل هذا يا أمي»، ما قصدت قوله هو أنني لم أعد مضطراً إلى ذلك لأنني اعتقدت أن باليفيو استقرت أخيراً، ولكنني شعرت أنني سأشحضر شيئاً يشغلاً إذا قلت هذا بصوت مرتفع.

قالت: «حسناً، دعني أعانقك».

عائقتها وتمسكت بي بشدة لدرجة أني تنحنحت وقلت لها: «ستكون الحفلة على وشك الانتهاء بحلول الوقت الذي سأصل فيه».

قالت أمي وهي تمسح عينيها وتفلتني: «حسناً، قل لأدي إني أتمنى لها أن تمضي وقتاً ممتعاً في بيرو».

«سأفعل».

حين اقتربت من سيارة أدي اكتشفت أنها ليست بمفردها – هناك فتاة أخرى في المقعد الخلفي منحنية فوق وحدة التحكم. أعلنت فانيسا بلطف وأنا أفتح باب السيارة: «أصبحت عضواً في نادي القتل الآن»، عبّست أدي وأضافت فانيسا: «عذراً، لم نعد نطلق عليه نادي القتل؟ أعتذر، كيف رأسك يا نيت؟».

قلت لها وأنا أضع حزام الأمان: «لا يزال قطعة واحدة، كيف كانت كيب كود؟».

أجابت فانيسا بحماسة: «رائعة، ترسل كيلي لكم تحياتها».

قادت أدي ببطء وحذر في ممر منزل أمي، ورُكِّزت عينيها على الطريق، سالتها: «وكيف كانت كيب كود بالنسبة إليك؟».

قالت بهدوء حين توقفت لبرهة عند إشارة وقوف: «جيدة».

انحنىت وحاولت النظر إلى عينيها، ولكنها حدقت إلى الأمام، قلت لها: «لا تبدين متأكدة من هذا».

قالت أدي: «كانت رحلة رائعة، لقد استمتعنا بوقتنا للغاية، كانت أشبه بأيامنا الخوالي إلا أننا كنا أكثر لطفاً ببعضنا مع بعض...».

أضافت فانيسا: «لقد كانت كل من كيلي وأدي لطيفتين، ولكن لا بأس بهذا، أنا أجيد دور العجلة الثالثة إذ إني أعرف متى يجدر بي الابتعاد».

قلت وهي تسند ظهرها إلى المقعد الخلفي وتنهد بصوت عالٍ: «وماذا عن الآن؟». سألت أدي بصوت منخفض: «هل أنتِ بخير؟».

قالت أدي: «أنا بخير حَقّاً، كانت رحلة جيدة إلا أن...».

قلت لها: «أعرف هذا».

لقد تأذيت جسدياً إلى حد كبير في هذه المممعة ولكن أدي... أدي تعرضت مجدداً إلى أكبر أذى عاطفي، مات جيك أمامها. وعلى الرغم من أنها أدركت عدم وجود أي طريقة لإنقاذه إلا أنها أديليد برينتس؛ أي أنها أرادت محاولة إنقاذه بالفعل رغم كل ما فعله بها، وما كان سيفعله بها لو أتيحت له فرصة.

قلت لها: «سأتحسن»، أومأت أدي برأسها فأضافت: «لا يمكنك إنقاذه الجميع يا أدي».

أوشكت على أن تبكي حين قالت: «أعرف هذا».
«ولكنك أنقذتني هذه المرة حرفياً».

نظرت إلى بحيرة وسألتني: «ومتي أنقذتك بشكل مجازي؟».

«حين أرغمنتي على الذهاب إلى حفلة البيانو التي أقامتها برونوين لأعترف لها بمشاعري، كنت أخسر أفضل شيء حصل في حياتي بسبب عنادي وغبائي، وكل هذا بفضلك».

ارتسمت ابتسامة جميلة على شفتي أدي وقالت: «كنت ستعترف لها بمشاعرك في نهاية المطاف».

قلت لها: «ولكنني احتجت إلى دفعه، لم أعتقد أنني أستحق شيئاً جيداً أما أنت؟ فلم تكفي عن إخباري بعكس هذا»، ضحكت أدي قليلاً فأضافت: «أنت صديقة رائعة».

لبرهة خيّم الصمت، ولم نسمع سوى صوت فانيسا وهي تتنشق الهواء، ضغطت أدي على الضوء الوامض كي تتعطف إلى شارع منزل برونوين وقالت: «توقف عن هذا لأنك ستجعلني أجهش بالبكاء».

انتظرت إلى أن اقتربنا من منزل برونوين وأجبتها: «هل تعرفين؟ لطالما كرهت أني ولد وحيد أما الآن فأشعر أن لديّ أخاً».

قالت أدي وقد ترقرقت عينها بالدموع: «يا إلهي! أنا أضع مسكرة على عيني أيها الوغد».

ركنت السيارة وعانتني وبكت على كتفي. أمضيت وقتاً طويلاً مع أدي في الأسبوع المنصرم وأصبحت أعرف متى توشك على أن تنهار، إذا لم تخرج

ما بداخلها الآن ستقضى وقًّا تعيسًا في الحفلة. التزمت فانيسا الصمت إلى أن ابتعدت أدي عني وأثبتت أنها تؤدي دور العجلة الثالثة بشكل جيد.

سألت فانيسا بلطف لدرجة أني التفت كي أتأكد أنها فانيسا بالفعل: «هل أنتِ بخير؟».

قالت أدي وهي تمسح عينيها: «أجل، دعونا ندخل».

لقد كنا آخر الواصلين، تزينت باحة برونوين الخلفية بأبهى حلة، ولمعت الأشجار بسبب المصابيح التي ثبّتها برونوين مع مايف بعد الظهر، ووضع طاولة على العشب وسحرتنا رائحة شطائير البرغر.

قالت أدي: «أراهن أن كريس هو من يشوي اللحم»، تغير مزاجها كثيراً منذ أن دخلت إلى سيارتها ولم يبق أي دليل على حالتها السابقة سوى عينيها الحمراوين.

قلت: «سأقبل برهانك وستخسرين لأن خافير اشتري شواية متطرفة لا يسمح لأحد بلمسها»، انعطفتنا حينها وظهرت باحة برونوين ورأينا والدها يقلب اللحم فقلت: «لقد فزت».

قال كوبر وهو يلوح لنا: «ها قد أتيتم أخيراً!»، إنه بطل بايفيو مجددًا الذي ظهر مع لويس في آخر لحظة لإنقاذ اليوم، ولكن الوضع كان أكثر تعقيداً هذه المرة إذ لم يستطع منع تشيلسي من قتل جيك والهروب، أما أنا فصالحت مع فكرة أن غافين ضربني على رأسي بسبب توتره وذعره. لست قلقاً من احتمال أن ينهي ما بدأ به أينما يكن لأنني أينقت أن أولويته هي التواري عن الأنظار.

قالت أدي وهي تلوح لكوبر: «ها نحن ذا!».

تعانق الجميع بشدة، إذا نظر إلينا أحد لم يعرف ما مررنا به، وسيطر أنه مرّت سنوات على المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضنا بعضاً، وحين انتهينا من العناق جلسنا إلى الطاولة. خاض كريس نقاشاً مطولاً مع فانيسا بشأن حذائه الذي بدا أنه أعجبها للغاية، اعتقدت أن صداقتهما أمر طبيعي بالنسبة إلى الأمور الغريبة التي صادفتنا.

سألت كوبر: «هل أنتما متحمسان للذهاب إلى ألمانيا الشهر القادم؟».

ابتسم وقال: «لا أطيق الانتظار، لم أقابل عائلة كريس سوى على فييس تايم»، مذيده فوق الطاولة ولمس ذراع فيبي «ستعثين بنوني في غيابي

أليس كذلك؟».

قالت: «بالطبع»، كانت تجلس قرب نوكس، وبدت في غاية السعادة منذ فترة طويلة «لدينا خطط عديدة، ستعلمني لعبة البريدج وسأعرفها على برامج المواجهة التي تعرض على تلفزيون الواقع، هل أنت واثق من أنك تريد السفر إلى ألمانيا والتخلي عن كل هذا؟».

ضحك كوبر وقال: «إن هذا مغر ولكن ثمن تذكرتني غير قابلتين للاسترداد».

تنهد لويس وقال: «سيغادر الجميع، أي أنتما وأدي ومايف...».

نوهت مايف: «فقط لشهر، ثم سنعود لغادر برونونين»، تظاهرت بأنها تمسح دمعة عن وجهها.

قالت أدي: «وأخيراً، سأبدأ في التقدم إلى جامعات، أعتقد أن هذا ما سيكون عليه الحال دائمًا، تغييرات مستمرة».

قال نوكس: «ليس بالنسبة إلى الذين عليهم إنهاء المدرسة الثانوية».

أسندت فيبي رأسها على كتفه وقالت: «لم يبق سوى سنة».

قالت مايف: «ثم سأغادر هذه البقعة المسئومة وأتجه إلى أوروبا»، نظر إليها لويس مندهشا فأضافت: «ماذا؟ يمكنك مرافقتي، ألا ت يريد أن تحظى بأول نجمة ميشلان لك في باريس؟».

في البداية، بدا لويس أنه يحسب البعد بين برج إيفل وأقرب شاطئ ثم ابتسם وقال: «لن أبذر الأمر بالطبع».

قال كرييس وهو ينظر إلى كوبر: «هل تعرفون أنني اعتدت أن أكره بایفیو؟ لم أعدها سوى المكان الذي لا يستطيع كوبر فيه أن يكون على سجنته، ثم تحولت إلى شيء أفضطع، أعتقد أننا نتفق على فكرة عدم رغبة أي أحد عاقل بالانتقال إلى هنا من تلقاء نفسه، ولكن في الوقت ذاته...» عاين فناء برونونين الخلفي وقال: «ولكنني أشعر أنها دياري الآن وربما سأشتاق إليها حين أغادر».

خيم الصمت لبرهة إلى أن قال كوبر - في أهدا نبرة وبصبر شديد - «لقد فقدت عقلك يا عزيزي كرييس».

ضحك الجميع، ثم نادى خافيير روخاس: «لقد أصبح اللحم جاهزا!!» تهافت الجميع إلى الشواية، ولكنني طوقت خصر برونوين بذراعي لأبقيتها بجانبي.

قلت لها: «انتظري».

تفحصت عيناهما الندبة على جيتي، سألتني بتوتر: «هل أنت على ما يرام؟» لقد شعرت بالدوار عدة مرات أمامها هذا الأسبوع.

قلت: «أنا بخير، ولكن أدي جعلتني أفكّر حين ذكرت التغيير، ستفادرين قريباً و...».

قالت برونوين بصدق وهي تمسك يدي: «ولن تواجهنا أي من المشاكل التي وقفت في طريقنا السنة الماضية، سنتحدث كل يوم، وسأأتي إلى هنا كلما أتيحت لي الفرصة، وستزورني أليس كذلك؟».

«نعم، ولست قلقاً بهذا الشأن. إن الأمر وما فيه... انتظري يا برونوين، أعرف أن لديك خطة لخمس أو عشر سنوات» – أدركت أنها أرادت مقاطعتي لذا تكلمت بسرعة – «وأنا أيضاً، لدى خطة لخمسين سنة وأنت فيها، إنها تدور حولك بنسبة كبيرة لأنني وقعت في حبك منذ الصف الخامس ولن يتغير هذا أبداً»، وعندها شبكت أصابعها بأصابعها «ليس لدى حاتم أو ما شابه لأنني أعرف أن أمامنا طريقاً طويلاً قبل أن تصبح هذه الفكرة منطقية كما أنك لا تحبين الألماس...».

قالت وهي تحبس أنفاسها: «إنه لا يطابق معايير الاستدامة».

«أعرف هذا، لذا سيكون هناك شيء مختلف مع مرور الوقت ولكن – هذا الوقت سيأتي، هل تعرفين هذا؟» حدقـت إلى عينيها الرماديـتين والمنـيـ قليـ من شـدة حـبـي لـهـذـه الفتـاة «ليـكـنـ بـعـلـومـكـ يا بـرونـوـينـ روـخـاسـ، سـأـتـزـوـجـكـ يـوـمـاـ ماـ».

احتضنت وجهـي بيـديـهاـ، وجـذـبـتـنيـ نحوـهاـ كـيـ تستـطـعـ تـقـبـيلـيـ، ولكنـهاـ قـالـتـ أوـلـاـ: «أـعـرـفـ هـذـاـ بـالـفـعـلـ».

الفصل الثاني والأربعون

أدي

الخميس، 30 تموز

قالت أشتون وهي تعاين أكواام الثياب في غرفتي: «اعتقدت أنك جاهزة».

قلت لها: «أنا فعلًا جاهزة لوضع كل هذه الثياب في حقيبتي».

ذكرتني قائلة: «ستغادرین غدًا».

قلت لها وأنا أضيف حذاء مفتوحًا إلى إحدى الأكواام: «أعرف هذا».

أطلت أمي ولّحت بجواز سفري وقالت: «يجب ألا ترمي هذا في أي مكان».

قلت لها: «لم أرميه في أي مكان، إنه في المكان المخصص له، لدى نظام معين يا أمي، هل يمكنك إعادته إلى مكانه؟».

تنهدت بشكل درامي ثم استسلمت، قالت وهي في طريقها إلى الطابق السفلي: «لا تلوميني إذا فاتتك الطائرة غدًا بسبب فشل نظامك».

قلت لها: «حسناً، أيتها الجدة جي ما!».

جلست أشتون على حافة سرير، ووضعت يدها على بطنها الذي ينمو باستمرار: «لا يمكنك أن تقولي لها أنها تخطئ في تهجهة هذه الكلمة وتكتب ج - ي - م - ا، لقد أصبحت توقع بريدها الإلكتروني بهذه الطريقة، إنها لطيفة حفّا».

قلت لها: «إنه سرّنا الصغير»، ومثلت أنني أقفلت فمي.

سألت أشتون وهي ترفع حاجبيها: «هل هو الوحيد؟»، ترددت في الإجابة، فأنا لم أفهم ما الذي ترمي إليه، تذمرت قائلة: «اعترف إلي ليلة البارحة أنه لم يرم المغلف الذي أعطانا إياه الطبيب النسائي، إنكما خبستان للغاية» وابتسمت «هل أقيمت نظرة؟».

«لا، هل تريدين استعادته؟».

قالت: «لا، أريدك أن تخلصي منه كي لا أسألك في لحظة ضعف حين أصبح حاملاً في الشهر التاسع».

قلت لها: «حسناً، سألقي بالمغلف في المحيط».

قالت أشتون وهي تبتسم: «ليس عليك المبالغة!».

تنهدت وقلت: «حسناً». ثم تمددت بالقرب منها على السرير.

سألتني: «هل تريدين معرفة سرّ آخر؟».

«بالطبع».

«لقد استقر رأينا على اسمين».

«بالطبع!».

«إذا أجبت صبيّاً فسنسميه ويليام إيليا على اسم إلي، وسنناديه ويل».

«هذا رائع»، سألتها: «إذا أجبت فتاة؟ لا تختراء اسمًا يبدأ بحرف الألف»، ولكنني لاحظت أن تعليقي ليس في محله ولم يجرد بي قوله قبل أن تعلن أشتون الاسم «إلا إذا كان اسمًا رائعاً بالطبع وأنا واثقة من هذا، أنا أفكّر في القدر والنمط وربما...» ربما علينا خلق أنماط جديدة لفتيات هذه العائلة.

ولكن هذا أمر سخيف، لقد حققنا هذه الخطوة بالفعل.

قالت أشتون: «ليس اسمًا يبدأ بحرف الألف»، توقفت قليلاً لتشوقيني أكثر فقضمت أظافري من شدة لهفتي «إذا رزقنا بفتاة سنسميهها آيرس أديليد»، حدق إلية وقد ترقرقت عيناي بالدموع وأضافت: «على اسم خالتها القوية».

ارتعدت قائلة: «يا إلهي!» ثم تمنت على كتف أشتون لأنني عانقتها بشكل جنبي: «حَقّاً؟ إنه... إنه اسم رائع، شكرًا لك».

قالت أشتون وهي تعانقني بدورها: «ماذا عسانا نسميه؟ لم أستطع استخدام أديليد للاسم الأول لأن هناك أدي وحيدة في هذه العائلة، ولكنني أتمنى أن تكون مثلك حَقّاً».

«ربما»، تنفست بعمق عندما فَكَرَت في كل الأخطاء التي ارتكبتها في السنوات الأخيرة، لم أعرف إن كان بوسعي فعل شيء مختلف لإيقاف تشيلسي، ولكنني أردت أن نحظى بفرصة لخوض محادثة حقيقية حين كانت تدعى إيفي، أي قبل أن تفعل ما فعلته وهذا ما غير حياتها إلى الأبد، اعتقدت أنني كنت سأفهم كيف مات والدها وبشكل يفوق تصورها «ربما عليها لا تكون مثلني تماماً».

قالت أشتون: «اصمتي يا عزيزتي، لا أريد تغيير أي شيء».

احتجت للنوم قبل رحلة الغد المتعبة، ولكن هناك شيئاً آخر على القيام به وأردت أن يكون الشاطئ لطيفاً ومحجوراً حين أفعله، إن الجو بارد قليلاً في منتصف الليل. سررت لأنني ارتدت سترتي السميكة وبنطالي الطويل.

عندما كنا نقيم الحفلات على الشاطئ أيام الثانوية لم أقدم أبداً على إشعال النار، لطالما أراد جيك فعل هذا ليشرح طرقه الخاصة بتفصيل ممل، لقد أضرمت الكثير من النيران في المخيم مع أبي وأشتون في صغرنا، ولكنني أصغيت له ولم أقل له أنني خبيرة في هذا.

ولم يسألني يوماً.

إن النار التي أضرمتها الآن صغيرة لعدم وجود حفلة، حين حزمت حقائي سقط مني زوج حوارب وراء سريري، وحين بحثت عنه عثرت على قصاصة ورق، لاحظت أن عليها صوراً لي ولجيك في ركن تصوير يعود لمعرض السنة الثانية، اعتقدت أنني رميتها منذ زمن بعيد، كنا في الخامسة عشر وتصورنا بوضعيات سخيفة - كنت أفتح عيني وكأنني مندهشة أما هو فكان لسانه يلامس أنفه، وحين استعدت الماضي استنتجت أن معظم ذكرياتي مع

جيـك سـيـئـة، وـلـكـنـي تـذـكـرـتـ أـنـ هـذـاـ الـيـوـمـ كـانـ مـمـتـعـاـ لـلـغـاـيـةـ، كـانـ جـيـكـ آـسـرـاـ لـلـغـاـيـةـ وـحـيـنـ رـكـزـ سـحـرـهـ عـلـيـ شـعـرـتـ أـنـيـ أـهـمـ فـتـاهـ فـيـ الـعـالـمـ.

لـمـ أـعـرـفـ مـتـىـ هـيـمـنـ عـلـيـهـ جـانـبـهـ الـمـظـلـمـ، رـبـماـ لـمـ يـفـارـقـهـ يـوـمـاـ نـظـرـاـ لـمـ اـكـتـشـفـنـاهـ عـنـ الـوـالـدـ الـذـيـ تـرـعـرـعـ مـعـهـ، رـبـماـ هـذـاـ هـوـ الـاـسـتـحـقـاقـ الـذـيـ فـضـلـ الـاعـلـامـ الـحـدـيـثـ عـنـهـ، لـمـ أـمـلـكـ وـقـتاـ لـأـضـيـعـهـ عـلـىـ التـسـاؤـلـ لـأـنـيـ عـذـبـتـ نـفـسـيـ بـهـ بـمـاـ فـيـهـ الـكـفـاـيـةـ، وـلـاحـظـتـ أـخـيـرـاـ أـنـيـ لـمـ أـعـرـفـ حـقـيـقـةـ جـيـكـ أـبـدـاـ.

أـلـقـيـتـ نـظـرـةـ أـخـيـرـةـ عـلـىـ وـجـهـيـنـاـ السـعـيـدـيـنـ، ثـمـ أـلـقـيـتـ الـورـقـةـ فـيـ النـارـ، قـلـتـ حـيـنـ اـحـتـرـقـتـ أـطـرـافـ الـورـقـةـ: «وـدـاعـاـ يـاـ جـيـكـ، أـتـمـنـيـ أـنـ تـرـقـدـ بـسـلـامـ».

فـيـ غـصـونـ ثـوـانـ، تـحـولـتـ الصـورـةـ إـلـىـ رـمـادـ. لـبـرـهـةـ، رـاقـبـتـ لـهـبـ النـارـ وـهـوـ يـتـرـاـقـصـ ثـمـ أـخـرـجـتـ مـغـلـفـاـ مـنـ جـيـبـيـ، وـضـعـتـ إـصـبـعـيـ تـحـتـ الـخـتـمـ، وـسـحـبـتـهـ وـأـنـتـشـلـتـ وـرـقـةـ، فـتـحـتـهـ وـقـرـأـتـهـ بـهـدـوـءـ وـرـسـمـتـ عـلـىـ وـجـهـيـ اـبـتـسـامـةـ عـرـيـضـةـ لـلـغـاـيـةـ، طـوـيـتـ الـورـقـةـ مـجـدـدـاـ وـأـعـدـتـهـ إـلـىـ جـيـبـيـ، عـزـمـتـ عـلـىـ التـخـلـصـ مـنـهـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ لـأـنـيـ وـعـدـتـ شـقـيقـتـيـ بـهـذـاـ، وـلـكـنـ لـيـسـ الـآنـ، أـرـدـتـ اـصـطـحـابـ الـمـغـلـفـ مـعـيـ إـلـىـ الـبـيـرـوـ إـذـ أـرـدـتـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ أـوـلـ مـغـامـرـةـ لـنـاـ مـعـاـ، كـمـ أـمـلـتـ أـنـهـاـ بـدـاـيـةـ خـيـرـ لـمـغـامـرـاتـ كـثـيـرـةـ.

رـمـيـتـ الـمـغـلـفـ فـوـقـ النـارـ وـقـلـتـ: «أـتـشـوـقـ لـمـقـابـلـتـكـ كـثـيـرـاـ يـاـ آـيـرـسـ أـدـيـلـيـدـ».